بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة ، وذكر فتح مكة

فى [شهر] رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه إلى مُؤْتَةَ جُمَادَى الآخرة وَرَجَبًا

الحرب بين بنى بكر وخزاعة

ثم إن بنى بكر بن عبد مَنَاةَ بن كنانة عَدَتْ على خُزَاعَة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الْوَتِيرُ ، وكان الذى هاج مابين بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الْحَضْرَمِىّ ، واسمه مالك بن عَبَّاد ، وَحِلْفُ الْحَضْرَمِىّ يومئذٍ إلى الأسود بن رَزْنٍ[1] ، خرجَ تاجراً ، فلمَّا توسط أرض خُزَاعَةَ عَدَوْا عليه ، فقتلوه ، وأخذوا ماله ؛ فعَدَتْ بنو بكر على رجل من خُزَاعة فقَتَلُوهُ ، فعدت خُزَاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رَزْنٍ[1] الديلى وهم مَنْخَرُ[2] بنى كنانة وأشرافهم — سَلْمَى وَكُلْثُوم وَذُؤَيْب — فقتلوهم بِعَرَفَةَ عند أنصاب الحرم[3]

---

(١) « رزن » قال أبو ذر : « يروى ههنا بكسر الراء وفتحها وباسكان الزاى وفتحها ، وقيده الدارقطنى بفتح الراء وإسكان الزاى لا غير » اهـ كلامه

(٢) منخر بنى كنانة : يعنى المتقدمين منهم ؛ لأن الأنف هو المقدم من الوجه

(٣) أنصاب الحرم : أراد بها الحجارة المنصوبة التى وضعت لتكون علامات وحدودا بين الحل والحرم

قال ابن إسحق : وحدثنى رجل من بنى الديل قال : كان بنو الأسود بن رَزْنٍ يُودَوْنَ فى الجاهلية دِيَتَيْنِ دِيَتَيْنِ ونُودَى دية دية لفضلهم فينا

قال ابن إسحق : فبينا بنو بكر وخُزَاعَةُ على ذلك حَجَزَ بينهم الاسلام وتشاغل الناس به ، فلما كان صلحُ الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط لهم — كما حدثنى الزهرىُّ ، عن عُرْوَةَ بن الزبير ، عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ ومروان ابن الحكم وغيرهم من علمائنا — أنه من أَحبَّ أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش [وعهدهم] ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم [وعهده]

قال ابن إسحق : فلما كانت الهُدْنَةُ اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة وأرادوا أن يُصِيبُوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رَزْن ؛ فخرج نَوْفَلُ بن معاوية الديلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تابعه ، حتى بَيَّتَ خُزَاعَةَ وهم على الْوَتِيرِ ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا ، واقتتلوا ، وَرَفَدَتْ بنى بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش مَنْ قاتل بالليل مُسْتَخْفِيًا حتى حَازُوا خُزَاعَةَ إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر : يانوفل ، إنا قد دخلنا الحرم إِلٰهَكَ إِلٰهَكَ ، فقال : كلمة عظيمة لا إله له اليوم ، يابنى بكر ، أَصيبُوا ثأركم فلعمرى إنكم لَتَسْرِقُونَ فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟ ! ! وقد أصابوا منهم ليلةَ بَيَّتُوهم بالْوَتِيرِ رجلاً يقال له مُنَبِّه وكان منبه رجلا مَفْؤُدًا [1]

(١) « مفؤداً » أى : ضعيف الفؤاد ، وقد ثبت هذا التفسير فى الأصل فى بعض النسخ

خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، فقال له مُنَبِّه : ياتميم ، انْجُ بنفسك ، فأماأنا فوالله إنى لَمَيِّتٌ قتلونى أوتركونى ، لقد انبَتَّ فؤادى (١) ، فانطلق تميم فأَفْلَتَ ، وأدركوا مُنَبِّهًا فقتلوه ، فلمادخلت خُزَاعَةَ مكة لجئوا إلى دار بُدَيْل بن ورقاء ودار مولًى لهم يقال له رافع ، فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن مُنَبِّه : —

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِى نُفَاثَةَ أَقْبَلُوا يَغْشَوْنَ كُلَّ وَتِيرَةٍ وَحِجَابِ (٢)

صَخْراً وَرَزْناً لاَ عَرِيبَ سِوَاهُمُ يُزْجُونَ كُلَّ مُقَلَّصٍ خنَّابِ (٣)

وَذَكَرْتُ ذَحْلاً عِنْدَنَا مُتَقَادِمًا

فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْقَابِ (٤)

---

(١) « انبت فؤادى » أى : انقطع ، والبت : القطع

(٢) « وتيرة » تروى هذه الكلمة بالتاء المثناة ، وتروى بالثاء المثلثة ، فأما من رواه بالمثناة فانما عنى الأرض الممتدة ، وأما من رواه بالمثلثة فانما أراد الأرض اللينة الرطبة ، ومنه يقال : فراش وثير ، إذا كان لينا رطبا ، والحجاب ههنا : ما اطمأن من الأرض

(٣) لاعريب : يريد لا أحد ، وهذا اللفظ من الألفاظ التى لاتستعمل إلا بعد الجحد ، ومثله ديار ، وأحد ، تقول : مابالدار أحد ، ومابهاعريب ، ومابها ديار ، وما بها كتيع ، وما بها ذبيح ، وكلها بمعنى واحد ، وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام : (رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا) ، ويزجون : يسوقون ، والمقلص : الفرس المشمر . والخناب : الواسع المنخرين ، ويروى فى مكانه « خباب » بباءين ، وهو صيغة مبالغة من الخبب ، وهو السير السريع

(٤) الذحل : طلب الثأر ، والأحقاب : السنون

وَنَشَيْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ

وَرَهِبْتُ وَقْعَ مُهَنَّدٍ قَضَّابِ (١)

وَعَرَفْتُ أَنْ مَنْ يَثْقَفُوهُ يَتْرُكُوا لَحْماً لِمُجْرِيَةٍ وَشِلْوَ غُرَابِ (٢)

فَوَمْتُ رِجْلاً لا أَخَافُ عِثَارَهَا وَطَرَحْتُ بِالْمَتْنِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي (٣)

وَنَجَوْتُ لاَ يَنْجُو نَجَائِي أَحْقَبٌ عِلْجٌ أَقَبُّ مُشَمَّرُ الْأَقْرَابِ (٤)

تَلْحَى وَلَوْ شَهِدَتْ لَكَانَ نَكِيرُهَا

بَوْلاً يَبُلُّ مَشَافِرَ الْقَبْقَابِ (٥)

الْقَوْمُ أَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ مُنَبَّهًا

عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَاسْأَلِي أَصْحَابِي

قال ابن هشام: وتروى لحبيب بن عبد الله [الأعلم] الهذلى، وبيته

---

(١) نشيت: شممت، ورهبت: خفت، والمهند: السيف، والقضاب: القاطع

(٢) المجرية: اللبؤة التى لها أجراء: أى أولاد صغار، والشلو: بقية الجسد

(٣) المتن: ما ظهر من الأرض وارتفع، والعراء: الخالى الذى لا يخفى فيه شىء

(٤) نجوت: أسرعت، والأحقب: حمار الوحش إذا كان أبيض موضع الحقيبة، وموضع الحقيبة مؤخره، والعلج — بكسر فسكون — الغليظ، والأقب: الضامر البطن، و « مشمر الأقراب » أى منقبض، ويروى فى فى مكانه « مقلص الأقراب » وهو بمعناه، والأقراب: جمع قرب، وهو الخاصرة وما يليها

(٥) تلحى: تلوم، والمشافر هنا: النواحى والجوانب، والقبقاب: من أسماء الفرج

«وذكرت ذحلا عندنا متقادما» عن أبى عبيدة، وقوله «لحناب» و «علج أقب مشمر الأقراب» عنه أيضا

قال ابن إسحق: وقال الأَخْزَر بن لُعْط الديلى فيما كان بين بنى كنانة وخزاعة فى تلك الحرب: —

أَلَاهَلْ أَتَى قُصْوَى الْأَحَابِيشِ أَنَّنَا
رَدَدْنَا بَنِى كَعْبٍ بِأَفْوَقَ نَاصِلِ (١)

حَبَسْنَاهُمُ فِى دَارَةِ الْعَبْدِ رَافِعٍ
وَعِنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِساً غَيْرَ طَائِلِ (٢)

بِدَارِ الذَّلِيلِ الآخِذِ الضَّيْمَ بَعْدَمَا
شَفَيْنَا النُّفُوسَ مِنْهُمُ بِالْمَنَاصِلِ (٣)

حَبَسْنَاهُمُ حَتَى إِذَا طَالَ يَوْمُهُمْ
نَفَحْنَا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شِعْبٍ بِوَابِلِ (٤)

نُذَبِّحُهُمْ ذَبْحَ التُّيُوسِ كَأَنَّنَا
أُسُودٌ تَبَارَى فِيهِمُ بِالْقَوَاصِلِ (٥)

---

(١) القصوى: أنثى الأقصى، وهو البعيد، والأحابيش: الذين حالفوا قريشا من القبائل ودخلوا فى عهدها ووثقوا أمرها، وقوله «بأفوق ناصل» هو من قول العرب: رددته بأفوق ناصل، إذا رددته خائبا، والأصل فيه أن الأفوق: هو السهم الذى انكسر فوقه: أى طرفه الذى يكون من ناحية الوتر، والناصل: الذى زال نصله: أى حديده الذى يكون فيه

(٢) دارة العبد: الدار والدارة بمعنى واحد

(٣) الضيم: الذل والهوان، والمناصل: جمع منصل، وهو السيف

(٤) نفحنا: وسعنا، والشعب — بكسر الشين — المطمئن بين الجبلين والوابل فى الأصل: المطر الشديد، وأراد به ههنا الدفعة من الخيل

(٥) القواصل: الأنياب

هُوَ ظَلَمُونَا وَاعْتَدَوْا فِى مَسِيرِهِمْ
وَكَانُوا لَدَى الْأَنْصَابِ أَوَّلَ قَاتِلِ (١)

كَأَنَّهُمُ بِالْجِزْعِ إِذْ يَطْرُدُونَهُمْ بِفَاثُورَ حُفَّانُ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ (٢)

فأجابه بُدَيل بن عبد مَنَاة بن سلمة بن عمرو بن الأَحَبِّ وكان يقال له بديل بن أم أَصْرَمَ فقال : —

تَفَاقَدَ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ وَلَمْ نَدَعْ لَهُمْ سَيِّداً يَنْدُوهُمُ غَيْرَ نَافِلِ (٣)

أَمِنْ خِيفَةِ الْقَوْمِ الْأُلَى تَزْدَرِيهِمُ
تُجِيزُ الْوَتِيرَ خَائِفًا غَيْرَ آئِلِ (٤)

---

(١) الأنصاب : جمع نصب ، والأنصاب : الحجارة التى نصبوها عند الحرم

(٢) الجزع : ما انعطف من الوادى ، وقوله « بفاثور » وقعت هذه الكلمة فى نسخة أبى ذر « بعاثور » بعين مهملة بعد باء الجر ، ووقعت فى نسخة أخرى بغين معجمة ، وكلتاهما من آثار تحريف النساخ ، والصواب فى ذلك « بفاثور » بالفاء ، قال ياقوت : فاثور : اسم موضع ببلاد نجد ، قال لبيد : —

وَمَقَامٍ ضَيِّقٍ فَرَّجْتُهُ بِمَقَامِى وَلِسَانِى وَجَدَلْ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِى وَزَحَلْ
وَلَدَى النُّعْمَانِ مِنِّى مَوْقِفٌ بَيْنَ فَاثُورِ أُفَاقٍ فَالدَّحَلْ

وحفان النعام : صغارها ، والجوافل : جمع جافلة ، وهى المسرعة

(٣) يندوهم : يجمعهم فى الندى ، وهو المجلس

(٤) الألى : أى الذين ، وتزدريهم : تحتقرهم ، والوتير : اسم ماء ، وغير آئل : أى غير راجع ، من قولك : آل إلى كذا ، إذا رجع إليه

وَفِى كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَحْبُو حِبَاءَنَا
لِعَقْلٍ وَلاَ يُحْبَى لَنَا فِى الْمَعَاقِلِ (١)

وَنَحْنُ صَبَحْنَا بِالتَّلاَعَةِ دَارَكُمْ   بِأَسْيَافِنَا يَسْبِقْنَ لَوْمَ الْعَوَاذِلِ (٢)

وَنَحْنُ مَنَعْنَا بَيْنَ بِيضٍ وَعَتْوَدٍ
إِلَى خَيْفِ رَضْوَى مِنْ مَجَرِّ الْقَنَابِلِ (٣)

وَيَوْمَ الْغَمِيمِ قَدْ تَكَفَّتَ سَاعِيًا   عُبَيْسٌ فَجَمْنَاهُ بِجَلْدٍ حُلاَحِلِ (٤)

أَأَنْ أَجْمَرَتْ فِى بَيْتِهَا أُمُّ بَعْضِكُمْ
بِجُعْمُوسِهَا تَنْزُونَ إِنْ لَمْ نُقَاتِلِ (٥)

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمُ
وَلَكِنْ تَرَكْنَا أَمْرَكُمْ فِى بَلاَبِلِ (٦)

---

(١) نحبو : نعطى ، والعقل ههنا : الدية

(٢) التلاعة : اسم موضع ، وقوله « يسبقن لوم العواذل » مأخوذ من مثل سائر من أمثالهم وهو قولهم « سبق السيف العذل »

(٣) بيض : اسم موضع ، وعتود : اسم موضع أيضا ، والخيف : ماانحدر من الجبل ، ورضوى ـ بفتح فسكون ـ اسم جبل ، والقنابل : جمع قنبلة ، وهى القطعة من الخيل

(٤) تكفت : حاد عن طريقه واعوج عنه ، وعبيس : اسم رجل ، وجلد : أى قوى ، والحلاحل ـ بضم أوله ـ السيد ، وقال امرؤ القيس : ـ

وَاللهِ لاَ يَذْهَبُ شَيْخِى بَاطِلاَ   حَتَّى أُبِيرَ مَالِكًا وَكَاهِلاَ
الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحُلاَحِلاَ

(٥) أجمرت : تجمرت ، والجعموس : العذرة والبعر ، وتنزون : تثبون وترتفعون

(٦) البلابل : الاختلاط ووساوس الصدر

قال ابن هشام : قوله « غير نافل » وقوله « إلى خيف رضوى » عن غير ابن إسحق

قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت فى ذلك : —

لَحَا اللّهُ قَوْمًا لَمْ نَدَعْ مِنْ سَرَاتِهِمْ
لَهُمْ أَحَدًا يَنْدُوهُمُ غَيْرَ نَاقِبِ (١)

أَخُصْىَ حِمَارٍ مَاتَ بِالْأَمْسِ نَوْفَلاً
مَتَى كُنْتَ مِفْلاَحًا عَدُوَّ الْحَقَائِبِ (٢)

خروج عمرو بن سالم الخزاعى الى رسول الله

قال ابن إسحق : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خُزَاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استَحَلُّوا من خزاعة ، وكانوا فى عقده وعهده ؛ خرج عَمْرُو بن سالم الخزاعى ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مِمَّا هاج فَتْحَ مكة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظَهْرَانَى الناس ، فقال : —

يَارَبِّ إِنِّى نَاشِدٌ مُحَمَّدَا حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا (٣)
قَدْ كُنْتُمُ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

---

(١) سراة القوم : أشرافهم وخيارهم ، ويندوهم : يجمعهم فى الندى وهو المجلس ، وناقب : أى رجل

(٢) المفلاح : صيغة مبالغة من الفلاح ، والفلاح : بقاء الخير ، والحقائب : جمع حقيبة ، وهو ما يجعله الراكب وراءه فيضع فيه متاعه

(٣) ناشد : طالب ومذكر ، والأتلد : القديم

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْراً أَعْتَدَا وَادْعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا (١)

فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ قَدْ تَجَرَّدَا إِنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا (٢)

فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِى مُزْبِدَا إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا (٣)

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصَّدَا (٤)

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا (٥)

قال ابن هشام : ويروى أيضاً : —

* فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْراً أَيِّدَا (٦) *

قال ابن هشام : ويروى أيضا : —

* نَحْنُ وَلَدْنَاكَ فَكُنْتَ وَلَدَا *

---

(١) نصراً أعتدا : أى حاضراً ، والمدد : العون

(٢) « قد تجردا » تروى هذه الكلمة بالجيم وبالحاء المهملة ؛ فأما من رواه بالجيم فمعناه شمر وتهيأ لحربهم ، وأما من رواه بالحاء المهملة فمعناه غضب وثار ، وسيم خسفا : معناه طلب منه وكلفه ، والخسف - بفتح فسكون - الذل ، وتربد : تغير

(٣) الفيلق : العسكر الكثير

(٤) كداء : موضع بمكة ، « ورصدا » يروى بضم الراء وتشديد الصاد مفتوحة فهو جمع راصد ، مثل راكع وركع ، والراصد : الذى يترصد للأمر ويطلبه ؛ ويروى « رصدا » بفتح الراء والصاد جميعا

(٥) الوتير : اسم ماء ، وهجد : جمع هاجد ، ويطلق على النائم أو المستيقظ ، ضد

(٦) نصراً أيدا : قويا ، وأصله من التأييد ، وهو المعونة

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ » ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنَانٌ من السماء (١) فقال : « إِنَّ هٰذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ »

خروج بديل بن ورقاء الخزاعى الى رسول الله

ثم خرج بُدَيْلُ بن وَرْقَاءَ فى نفر من خُزَاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة (٢) قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : « كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ » ومضى بُدَيْلُ بن ورقاء وأصحابه حتى لَقُوا أبا سفيان بن حَرْب بعُسْفَان قد بعثته قريشٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيَشُدَّ العقد ويزيد فى المدة ، وقد رَهِبُوا الذى صنعوا ، فلما لقى أبو سفيان بُدَيْل ابن ورقاء قال : مِنْ أينَ أقبلت يابديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : تَسَيَّرْتُ فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى ، قال : أوَمَا جِئْتَ محمداً ؟ قال : لا ، فلما راح بُدَيل إلى مكة قال أبو سفيان : لئن كان جاء [بُدَيْلٌ] المدينة لقد عَلَفَ بها النَّوَى ، فأتى مَبْرَكَ راحلته ، فأخذ من بَعَرِهَا فَفَتَّه ، فرأى فيه النَّوَى فقال : أحلفُ بالله لقد جاء بُدَيل محمداً

أبو سفيان وابنته أم حبيبة زوج رسول الله

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أمِّ حبيبة بنت أبى سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طَوَتْهُ عنه ، فقال : يابُنَيَّةُ ، ماأدرى أرغبت بى عن هٰذا الفراش أم رغبتِ به عنى ؟ قالت : بل هو فراشُ رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) عنان من السماء : أى سحابة

(٢) المظاهرة : المعاونة

وأنت رَجُلٌ مشركٌ نَجَسٌ فلم أحِبَّ أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله لقد أصابك يابنية بعدى شَرٌّ ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلَّمه فلم يَرُدَّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ماأنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب ، فكلمه ، فقال : أأنا أشْفَعُ لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذَّرَّ لجاهدتكم به ، ثم خرج فدخل على على بن أبى طالب رضوان الله عليه وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وعندها حَسَنُ بن على عليه رضوان الله غلامٌ يَدِبُّ بين يديها ، فقال : ياعلى ، إنك أمَسُّ القوم بى رَحِمًا ، وإنى قد جئت فى حاجة فلاأرْجِعَنَّ كما جئت خائباً ، فاشْفَعْ لى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ويحك ياأبا سفيان ! ! والله لقدعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر مانستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفتَ إلى فاطمة فقال : يابنةَ محمدٍ ، هل لك أن تأمرى بُنَيَّكِ هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله مابلغ بُنَيِّ ذَاكَ أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ياأبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشْتَدَّتْ عَلَيَّ فانْصَحْنِى ، قال : والله ماأعلم لك شيئاً يغنى عنك شيئاً ، ولكنك سيد بنى كنانة فقُمْ فأجِرْ بين الناس ثم الْحَقْ بأرضك ، قال : أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنه ، ولكنى لاأجد لك غير ذلك ، فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : ياأيها الناس ، إنى قد أجَرْتُ بين الناس ، ثم ركب بعيره ، فانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا : ماوراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته فوالله مارد على شيئاً ، ثم جئت ابن أبى قُحَافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته

أدنى العدو (قال ابن هشام : أَعْدَى العدو) قال ابن إسحق : ثم أتيت عليا فوجدته أَلْيَنَ القوم ، وقد أشار على بشيء صنعته ؛ فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئاً أم لا ، قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : ويلك ! ! والله إنْ زَادَ الرَّجُلُ على أن لعب بك ، فما يغنى عنك ماقلت ؟ قال : لا والله ماوجدت غير ذلك

رسول الله يأمر بالجهاز

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجَهَاز ، وأمر أهله أن يُجَهِّزوه ، فدخل أَبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهى تحرك بعضَ جَهَاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أى بُنَيَّة أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فَتَجَهَّزْ ، قال : فأين تَرَيْنَهُ يريد ؟ قالت : والله ماأدرى

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناسَ أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : « اللَّهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا فِي بِلَادِهَا [1] » فتجَهَّزَ الناس ، فقال حسان بن ثابت يُحَرِّضُ الناسَ ويذكر مصاب رجال خُزَاعة : ـ

عَنَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِبَطْحَاءِ مَكَّةٍ ... رِجَالَ بَنِي كَعْبٍ تُحَزُّ رِقَابُهَا [2]

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ ... وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا [3]

---

(١) « نبغتها فى بلادها » هو من البغتة ، وهى الفجأة ، يقال : بغته الأمر وفجئه ، إذا جاءه من غير أن يعلم به

(٢) « عنانى ولم أشهد » يروى فى مكانه « وغبنا فلم نشهد »

(٣) رواية هذا البيت فى الديوان هكذا : ـ

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تَنَالَنَّ نُصْرَتِى
سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو حَرُّهَا وَعِقَابُهَا (١)

وَصَفْوَانُ عَوْدٌ حُزَّ مِنْ شَعَرِ أَسْتِهِ
فَهٰذَا أَوَانُ الْحَرْبِ شُدَّ عِصَابُهَا (٢)

فَلاَ تَأْمَنَنَّا يَا ابْنَ أُمِّ مُجَالِدٍ
إِذَا احْتُلِبَتْ صِرْفًا وَأَعْصَلَ نَابُهَا (٣)

بِأَيْدِى رِجَالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ
بِحَقٍّ ، وَقَتْلَى لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا

وقد عنى بقوله « رجال لم يسلوا سيوفهم » قريشا كما يأتى عن ابن هشام وقوله « لم تجن ثيابها » أى لم تستر ، يريد أنهم قتلوا ولم يدفعوا ،

(١) «حرها وعقابها » رويت هذه الكلمة على ثلاثة أوجه ، هذا أحدها والثانى « حربها وعقابها » والثالث « وخزها وعقابها » والوخز : الطعن النافذ فى جنب المطعون ، ويقال : هو الطعن غير النافذ

(٢) صفوان : هو صفوان بن أمية بن خلف الجمحى ، والعود : المسن من الابل مع أن فيه بقية ، وقوله « من شعر أسته » رويت هذه الكلمة على ثلاثة أوجه ، هذا أحدها ، والثانى «من شقر أسته» والشقر : الحمرة ، ويقال : بعير أشقر ، إذا كان شديد الحمرة ، والثالث « من شفر أسته » بالفاء ـ أما الشفر فان شفر كل شىء ناحيته ، وقوله « شد عصابها » فان العصاب مايعصب به : أى يشد به

(٣) ابن أم مجالد : هو عكرمة بن أبى جهل كما سيأتى عن ابن هشام ، والصرف : اللبن الخالص ، وأعصل ـ بالصاد المهملة ـ أى اعوج ، يقال : ناب أعصل بين العصل ، أى معوج شديد ، قال أوس : ـ

رَأَيْتُ لَهَا نَابًا مِنَ الشَّرِّ أَعْصَلاَ

وَلاَ تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سُيُوفَنَا ... لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بَابُهَا

قال ابن هشام : قول حسان « بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم » يعنى قريشا ، و« ابن أم مجالد » يعنى عكرمة بن أبى جهل

كتاب حاطب بن أبى بلتعة وشأنه

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطِبُ بن أبى بَلْتَعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مُزَيْنة ، وزعم لى غيره أنها سارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وجعل لها جُعْلاً على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قُرُونَهَا ، ثم خرجت به ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما ، فقال : « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم » ، فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بنى أبى [1] أحمد ، فاستنزلاها فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيئا ، فقال لها على بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ، ولَتُخْرِجِنَّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجِدَّ منه قالت : أعْرِضْ ، فأعْرَضَ ، فحَلَّتْ قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله

---

(١) قال أبو ذر : « كذا وقع هنا بضم الخاء المعجمة فيهما ؛ ورواه الخشنى بالخليقة ـ بفتح الخاء المعجمة فيها ـ وفى كتاب ابن إسحق بذى الخليفة خليفة ابن أبى أحمد بضم الخاء المعجمة فيهما وبالفاء ؛ وهو اسم موضع » اه كلامه

صلى الله عليه وسلم حاطبا ، فقال : « ياحَاطِبُ مَاحَمَلَكَ عَلَى هٰذَا » ؟ فقال : يارسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ماغَيَّرْتُ ولا بَدَّلْتُ ، ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم وَلَدٌ وأهل ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، دَعْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ فان الرجل قد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ومَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لعَلَّ الله قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَصْحَابِ بَدْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فقَالَ : اعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لكم» فأنزل الله تعالى فى حاطب (٦٠ : ١ ....) (ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) إلى قوله (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ) إلى آخر القصة

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة [بن مسعود] ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة أبارُهْمٍ كلثومَ ابن حُصَيْن بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعَشْرٍ مَضَيْنَ من شهر رمضان ، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكُدَيْدِ بين عُسْفَان وأَمَجَ أَفْطَر

فطر رسول الله فى رمضان بسبب السفر

قال ابن إسحق : ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظَّهْرَان فى عَشَرَة آلاف من المسلمين ؛ فسَبَّعَتْ سُلَيْم ، وبعضهم يقول : أَلَّفت (١) سليم ، وأَلَّفَتْ

نزول رسول الله بمر الظهران

(١) سبعت : أى كانت سبعمائة ، وقوله « ألفت » أى : كانت ألفا

مُزَيْنَةُ ، وفى كل القبائل عَدَدٌ و إسلام ، وأوْعَبَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يَتَخَلَّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهْرَان وقد عُمِّيَتِ الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يَدْرُونَ ماهو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُدَيْل بن ورقاء يَتَحَسَّسُون الأخبار و ينظرون هل يجدون خَبَراً أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق

قال ابن هشام : لقيه بالْجُحْفَة مهاجرا بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سِقَايته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فيما ذكر ابن شهاب الزهرى .

أبو سفيان بن الحرث وعبدالله بن أبى أمية وإسلامهما

قال ابن إسحق : وقد كان أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبدالله ابن أبى أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بِنِيق الْعُقَاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أُمُّ سَلَمَةَ فيهما ؛ فقالت : يارسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك . قال : «لاَ حَاجَةَ لِى بِهِمَا أَمَّا ابْنُ عَمِّى فَهَتَكَ عِرْضِى وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِى وَصِهْرِى فَهُوَ الَّذِى قَالَ لِى بِمَكَّةَ مَا قَالَ» قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبى سفيان بُنَىٌّ له فقال : والله لَيَأْذَنَنَّ لى أو لآخذن بيدى بُنَىَّ هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عَطَشاً وجُوعاً ؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقَّ لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما ، وأنشده أبو سفيان بن الحرث قوله فى إسلامه واعتذر إليه مما كان مضى منه ، فقال : —

قصيدة لأبى سفيان بن الحرث فى إسلامه

لَعَمْرُكَ إِنِّى يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةً ... لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ (١)

(١) أحمل راية : كنى بذلك عن شهود الحرب ودعوته إليها ، واللات

لَكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرانِ أظْلَمَ لَيْلُهُ
فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأَهْتَدِي (١)

هَدَانِيَ هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَنَالَنِي
مَعَ اللهِ مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ (٢)

أَصُدُّ وأَنْأَى جَاهِداً عَنْ مُحَمَّدٍ
وَأُدْعَي وإنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدِ (٣)

هُمُ مَا هُمُ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِهَوَاهُمُ
وَإِنْ كَانَ ذَا رأْيٍ يُلَمْ وَيُفَنَّدِ (٤)

أُرِيدُ لِأُرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلَائِطٍ
مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أُهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدِ (٥)

فَقُلْ لِثَقِيفٍ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا
وَقُلْ لِثَقِيفٍ تِلْكَ: غَيْرِيَ أَوْعِدِي (٦)

صنم من أصنام العرب ، وأراد بخيل اللات جيش الكفر والشرك ، وخيل محمد : أراد بها جيش المسلمين

(١) المدلج : الذى يسير ليلا

(٢) مطرد : مصدر ميمى بمعنى الطرد ، وذلك كما فى قوله تعالى : (أنكم إذا مزقتم كل ممزق)

(٣) أصد : أمنع الناس عن الدخول فى الإيمان ، وأنأى : أبعد بنفسى عنه ، وجاهدا : مجتهدا

(٤) يفند : ينسب الى الفند ، وهو الكذب ، أو يلام

(٥) لائط : ملصق ، يقال : لاط حبه بقلبى ، اذا لصق به

(٦) أوعدى : هددى

فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِراً
وَمَا كَانَ عَنْ جَرَّى لِسَانِي وَلا يَدِي

قَبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلادٍ بَعِيدَةٍ
نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنَ سِهَامٍ وَسَرْدُدِ

قال ابن هشام: ويرى «ودَلَّنِي على الحق من طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّد»

قال ابن إسحق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله «ونَالَنِي مع الله من طردت كُلَّ مُطَرَّد» ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدره، وقال: «أنْتَ طَرَّدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ»

العباس بن عبدالمطلب وأبو سفيان بن حرب

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهْرَانِ قال العباس بن عبدالمطلب: فقلت: واصباحَ قريش، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عَنْوَةً قَبْلَ أن يأتوه فيستأمنوه إنَّه لَهَلاَكُ قريش إلى آخر الدهر، قال: فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء، فخرجت عليها، قال: حتى جئت الأراك، فقلت: لعلى أجد بعض الْحَطَّابة، أو صاحبَ لبنٍ، أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوَةً، قال: فوالله إنى لأسير عليها وألتمس ماخرجت له إذ سمعت كلام أبى سفيان وبُدَيْل بن وَرْقَاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قطُّ ولا عَسْكَراً، قال: يقول بُدَيْل: هذه والله خزاعة حَمَشَتْهَا الحرب [1]، قال: يقول أبو سفيان:

(١) حمشتها الحرب: أحرقتها، وتروى هذه الكلمة «حمستها» بالسين المهملة: فمعناها اشتدت عليها، مأخوذة من الحماسة، وهى الشجاعة والشدة.

خزاعة أَذَلُّ وأَقَلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، قال : فَعَرَفْتُ صوته ، فقلت : ياأبا حنظلة ، فعرف صوتى ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ، قال : مالك فداك أبى وأمى ؟ قال : قلت : ويْحَكَ يا أباسفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس ، واصَبَاحَ قريش والله ! ! قال : فما الحيلة فداك أبى وأمى ؟ قال : قلت : والله لئن ظفر بك لَيَضْرِبَنَّ عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَستأمنه لك ، قال : فركب خلفى ورجع صاحباه ، قال : فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم [على بغلته] ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يَشْتَدُّ نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطىء ، قال : فاقتَحَمْتُ عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر فقال : يارسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عَقْدٍ ولا عَهْدٍ فَدَعْنِي فَلأَضْرِبْ عنقه ، قال : قلت : يارسول الله إنى قد أجَرْتُه ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخذت برأسه فقلت : وَالله لا يُنَاجِيه اللَّيْلَةَ دونى رجلٌ ، فلما أكثر عمر فى شأنه قال : قلت : مَهْلاً ياعمر فوالله أن لو كان مِنْ رجال بنى عَدِىٍّ بن كعب ماقلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ، فقال : مَهْلاً يَاعبَّاسُ فوالله لإِسْلاَمُكَ يوم أسلمت كان أَحَبَّ إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، ومابى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أَحَبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب

[لو أسلم] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذْهَبْ بِهِ يا عَبَّاسُ إلى رَحْلِكَ فإذا أصْبَحْتَ فأْتِنِي بِهِ » قال : فذهبت به إلى رَحْلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غَدَوْتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وَيْحَكَ يا أبا سفيان أَلَمْ يَأْنِ[1] لَكَ أنْ تَعْلَمَ أنَّه لا إلَهَ إلاّ الله » قال : بأبى أنت وأمى ماأحْلَمَكَ وأكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ !!! والله لقد ظَنَنْتُ أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ، قال : « وَيْحَكَ يا أبا سفيان !!! أَلَمْ يَأْنِ[1] لكَ أنْ تَعْلَمْ أنِّى رسول الله » قال : بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك !!! أمّا هذه والله فان فى النَّفْس منها حتى الآن شَيْئاً ، فقال له العباس : وَيْحَكَ أسْلِمْ واشْهَدْ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يارسول الله ، إن أباسفيان رجُلٌ يحبُّ هذا الفَخْرَ فاجعل له شيئاً ، قال : « نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أبِى سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ »

إسلام أبى سفيان

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَاعَبَّاسُ احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِى عِنْدَ خَطْمِ الجَبَلِ[2] حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ فَيَرَاهَا » قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه ، قال : ومَرَّتِ القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : ياعباسُ مَنْ هٰذِهِ ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالى

مرور المسلمين على أبى سفيان

---

(١) « ألم يأن » معناه ألم يحن ، يقال : آن الشىء يئين ، وأنى يأنى — كرمى يرمى — وأنى يأنى — كرضى يرضى — وكل هذا بمعنى واحد

(٢) الخطم : أنف الجبل ، وهو شىء يخرج منه يضيق به الطريق ، ووقع فى بعض روايات القصة « عند خطم الخيل » وهو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل حتى يخطم بعضها بعضا

ولسليم ؟ ثم تمر القبيلة فيقول : ياعباس من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ؟ حتى نفذت القبائل ، ما تَمُرُّ به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فاذا أخبرته بهم قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء.

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها قال الحرث بن حِلِّزَةَ الْيَشْكُرِىُّ : —

ثُمَّ حُجْرًا أعْنِى ابْنَ أُمِّ قَطَامٍ وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ

يعنى الكتيبة ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال حسان بن ثابت الأنصارى : —

لَمَّا رَأى بَدْرًا تَسِيلُ جِلاَهُهُ بِكَتِيبَةٍ خَضْرَاءَ مِنْ بَلْخَزْرَجِ

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر

قال ابن إسحق : فيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم ، لا يُرَى منهم إلا الْحَدَقُ من الحديد ، فقال : سبحان الله ياعباس من هؤلاء ؟!! قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : مالأحدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة ، والله ياأبا الفضل لقد أصبح مُلْكُ ابن أخيك الْغَدَاةَ عظيما ، قال : قلت : ياأباسفيان إنها النُّبُوَّةُ ، قال : فنعم إذَنْ ، قال : قلت : النَّجَاءَ إلى قومك (١) ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت : اقْتُلُوا

---

(١) النجاء : السرعة ، يقال : نجا ينجو نجاء ، إذا أسرع

الْحَمِيتَ الدَّسِمَ الْأَحْمَسَ (١) قُبِّحَ مِنْ طَلِيعَةِ (٢) قَوْمٍ ! ! قال : وَيْلَكُمْ لا تَغُرَّنَّكُمْ هذه من أنفسكم ؛ فإنه قد جاءكم مالا قِبَلَ لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فَتَفَرَّقَ الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

انتهاء رسول الله إلى ذى طوى

قال ابن إسحق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذي طَوًى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بشُقَّةِ بُرْدٍ حَبِرَةٍ (٣) حَمْرَاء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيَضَعُ رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثْنُونَه ليكاد يَمَسُّ واسطة الرَّحْلِ

شأن أبى قحافة والد أبى بكر الصديق

قال ابن إسحق : وحدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدته أسماء ابنة أبي بكر ، قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طَوًى قال أبو قحافة لابنة لَهُ من أصغر ولده : أي بُنَيَّة اظْهَرِي (٤) بي على أبي قُبَيْسٍ ، قالت : وقد كُفَّ بصره ، قالت : فأَشْرَفَتْ به عليه ، فقال : أي بُنَيَّة ، ماذا تَرَيْنَ ؟ قالت : أرى سَوَاداً مُجْتَمِعاً ، قال : تِلْكِ الخيلُ ، قالت : وأرى رَجُلاً يَسْعَى بين يدى ذلك

---

(١) الحميت في الأصل : زق السمن ، والدسم : الكثير الودك ، والأحمس : الشديد اللحم ، تريد تشبيهه به لعبالته وسمنه

(٢) طليعة القوم : الذي يتقدمهم ، أو يحرسهم

(٣) معتجرا : أي متعمما من غير أن يجعل لها ذؤابة ، والشقة : النصف ، والحبرة : ضرب من ثياب اليمن

(٤) اظهري : اصعدي وارتفعي ، وأبو قبيس : جبل بمكة

السواد مقبلا ومدبرا ، قال : أىْ بُنَيَّة ذَلِكَ الوازع [1] ، يعنى الذى يأمر الخيل ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انْتَشَرَ السواد ، قالت : فقال : قَدْ والله إذن دَفَعَتِ الخيل فأسرعي بى إلى بيتى ، فانحطَّتْ به ، وتَلَقَّاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طَوْق من وَرِقٍ [2] فتلقاها رجل فيقطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هَلاَّ تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِى بَيْتِهِ حَتَّى أَكُون أَنَا آتِيهِ فِيهِ » قال أبو بكر : يارسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ، قال : قالت : فأَجْلَسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : «أسلم» فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر وكأنَّ رأسه ثغَامَة [3] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غَيِّرُوا هذا مِنْ شَعْرِهِ » ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أَنْشُدُ الله والإسلام طَوْقَ أُخْتِى ، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أىْ أُخَيَّة ، احتَسِبِى طَوقَكِ فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم لَقَلِيلٌ

ترتيب الجيش فى دخول مكة

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حين فَرَّقَ جيشه من ذى طَوًى ـ أمر الزبير بن العوام أن

---

(١) الوازع الذى يكف الجيش : أى يقدم بعضه على بعض ، وتقول : وزعته عن كذا ، إذا كففته

(٢) الطوق : القلادة ، والورق : الفضة ، وهو بفتح الواو وكسر الراء

(٣) الثغامة ـ بفتح أوله ـ شجرة ، والجمع ثغام ، ومن شأن هذا النوع من الشجر أنه إذا يبس ابيضت أغصانه ، والعرب تشبه الشيب به ، قال الشاعر : ـ

أَعَلاَقَةً أُمَّ الْوُلَيِّدِ بَعْدَمَا ... أَفْنَانُ رَأْسِكَ كَالثَّغَامِ الْمُخْلِسِ

يدخل في بعض الناس من كُدًى ، وكان الزبير على الْمُجَنَّبَةِ الْيُسْرَى ، وأمر سَعْدَ بنَ عُبَادَة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء

قال ابن إسحق : فزعم بعض أهل العلم أن سَعْدًا — حين وَجَّهَ داخلا — قال : اليوم يَوْمُ الْمَلْحَمَة،اليوم تُسْتَحَلُّ الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين (قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب) فقال : يارسول الله ، اسْمَعْ ماقال سعد بن عبادة ، مانأمن أن تكون له فى قريش صَوْلَة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : « أَدْرِكْهُ فَخُذِ الرَّايَةَ [مِنْهُ] فَكُنْ أَنْتَ الَّذِى تَدْخُلُ بِها »

قال ابن إسحق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نجيح فى حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد فدخل من اللِّيطِ أسفل مكة فى بعض الناس ، وكان خالد على الْمُجَنِّبَةِ اليمنى وفيها أَسْلَمُ وَسُلَيْم وغفار ومُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الْجَرَّاحِ بالصَّفِّ من المسلمين يَنْصَبُّ لمكة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَذَاخِر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وَضُرِبَتْ [له] هنالك قُبَّتُهُ

شأن أهل الخندمة

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر أَن صَفْوَان بن أُمَيَّةَ وَعِكْرِمَةَ بن أبى جهل وَسُهَيْل بن عمرو كانوا قد جَمَعُوا نَاساً بالْخَنْدَمة ليقاتلوا ، وقد كان حِمَاسُ بن قَيْسِ بن خالد أخو بنى بكر يُعِدُّ سلاحا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُصْلِحُ منه ، فقالت له امرأته : لماذا تُعِدُّ ماأرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ماأرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شىء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَكِ بَعْضَهُمْ ثم قال : —

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَالِى عِلَّهْ هٰذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهْ (١)

* وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّهْ (٢) *

ثم شهد الْخَنْدَمَةَ مع صفوان وسهيل وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوَشُوهم شيئًا من قتالٍ فقُتِلَ كُرْزُ بن جابر أحد بنى محارب بن فهر ، وخُنَيْسُ بن خالد بن ربيعة بن أَصْرَمَ حليف بنى منقذ ، وكانا فى خيل خالد بن الوليد ، فشَذَّا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا : قُتِلَ خُنَيْس بن خالد قَبْلَ كُرز بن جابر ، فجعله كرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قتل وهو يرتجز ويقول : —

قَدْ عَلِمَتْ صَفْرَاءُ مِن بَنِى فِهِرْ نَقِيَّةُ الْوَجْهِ نَقِيَّةُ الصَّدرْ

* لأَضْرِبَنَّ الْيَوْمَ عَنْ أَبِى صَخرْ *

قال ابن هشام : وكان خُنَيْسٌ يكنى أبا صخر

قال ابن هشام : خنيس بن خالد من خزاعة

قال ابن إسحق : حدثنى عبدالله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر قالا : وأُصِيبَ من جُهَيْنَةَ سَلَمَةُ بن المَيْلَاء من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناسٌ قريبٌ من اثنى عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حِمَاسٌ منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أَغْلِقِى عَلَىَّ بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال : —

إِنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الْخَنْدَمَهْ إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ

وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُؤْتِمَهْ وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَهْ (٣)

---

(١) الألة : الحربة لها سنان طويل

(٢) ذو غرارين : يعنى به سيفا ، والغرار ـ بكسر أوله ـ الحد

(٣) حذف همزة أبى يزيد من النطق حين اضطره الشعر ، والمؤتمه ـ بكسر

يقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ ضَرْبًا فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهْ (١)
لَهُمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَهْ
لَمْ تَنْطِقِى فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ (٢)

قال ابن هشَام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالمؤتمه » ، وتروى للرعَّاشِ (٣) الهذلى

شعار أصحاب رسول الله

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحنين والطائف : شعار المهاجرين « يابنى عبد الرحمن » وشعار الخزرج « يابنى عبد الله » وشعار الأوس « يابنى عبيد الله »

أمر رسول الله بقتل نفر من الكفار وان تعلقوا بأستار الكعبة

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين — حين أمرهم أن يدخلوا مكة — أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد فى نفر سَمَّاهم ، أمر بقتلهم وإن وُجِدُوا تَحْتَ أستار الكعبة : منهم [عبد الله] بن سَعْد أخو بنى عامر بن لؤى ،

عبد الله بن سعد

وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الْوَحْىَ ، فارتَدَّ مُشْرِكا راجعا إلى قريش ؛ فَفَرَّ إلى عثمان بن عفان — وكان أخاه للرضاعة — فغَيَّبَهُ حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَمَتَ طويلا ثم

التاء - هى التى قتل زوجها فبقى لها أولاد أيتام ، يقال : أيتمت فهى مؤتم ، والمسلمة أراد بها المسلمين

(١) الجمجمة : الرأس ، والغمغمة : أصوات الأبطال فى الحرب
(٢) النهيت : نوع من صياح الأسد ، والهمهمة : صوت فى الصدر
(٣) قال أبو ذر : « الرعاش يروى ههنا بالشين والسين ، وصوابه بالشين المعجمة لا غير » اه كلامه

قال : « نَعَمْ » فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : « لَقَدْ صَمَتُّ لِيَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُم فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ » فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلىَّ يارسول الله ، قال : « إنَّ النَّبِيَّ لاَ يَقْتُلُ بالاشارة »

قال ابن هشام : ثم أسلم بعدُ فَوَلاَّه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعدَ عمر

عبد الله بن خطل

قال ابن إسحق : وعبد الله بن خَطَل ، رَجُلٌ من بنى تيم بن غالب ، وإنما أمر بقتله أنه كان مسلما ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقا ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولًى له يخدمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تَيْساً فيصنع له طعاما ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتدَّ مشركا ، وكانت له قَيْنَتَان فَرْتَنَى وصاحبتها ، وكانتا تُغَنِّيَان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه

الحويرث بن نقيذ

والحويرث بن نُقَيْذ بن وَهْب بن عبد بن قُصَىّ ، وكان ممن يؤذيه بمكة

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فَنَخَسَ بهما الحويرث بن نُقَيْذ فرمى بهما إلى الأرض

مقيس بن صبابة

قال ابن إسحق : وَمِقْيَسُ بن صُبَابة ، وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لقتل الأنصارى [1] الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركا

---

(١) أنظر (ص ٢٣٧ ج ٣ من هذا الكتاب)

أمر سارة وعكرمة ابن أبى جهل

وسارة : مولاة لبعض بنى عبدالمطاب ، وعكرمة بن أبى جهل ، وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنه ، فخرجت فى طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم

وأما عبدالله بن خَطَل فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الأسلمى اشتركا فى دمه

وأما مِقْيَسُ بن صُبَابة فقتله نُمَيْلة بن عبد الله رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْيَسٍ فى قتله : —

لَعَمْرِى لَقَدْ أَخْزَى نُمَيْلَةُ رَهْطَهُ ... وَفَجَّعَ أَضْيَافَ الشِّتَاءِ بِمِقْيَسِ

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ مِقْيَسٍ ... إِذا النُّفَسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخَرَّسِ [1]

وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ فأمَّنها

وأما سارة فاستؤمن لها فأَمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها

وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب

قال ابن إسحق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن أبى مُرَّةَ مولى عقيل ابن أبى طالب ، أن أم هانىء ابنة أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فرَّ إلىَّ رجلان من أحمائى من بنى مخزوم ، وكانت

---

(١) « لم تخرس » أى : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، وذلك كناية عن الجدب وعسر الحال ، والطعام الذى يصنع للنفساء يسمى الخرس

أم هانئ بنت أبى طالب تجير الحرث بن هشام وزهير بن ابى أمية

عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، قالت : فدخل علىَّ علىٌّ بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلُنَّهُمَا ، فأغلقت عليهما باب بيتى ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جَفْنَةٍ إنَّ فيها لَأَثَرَ العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشَّحَ به ، ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ، ثم انصرف إلى فقال : « مَرْحَبًا وَأَهْلاً بِأُمِّ هَانِىءٍ ، مَاجَاءَ بِكِ ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ، فقال : « قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ وَأَمَّنَّا مَنْ أَمنتِ فَلاَ يَقْتُلْهُمَا »

قال ابن هشام : هما الحرث بن هشام ، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة

طواف رسول الله بالكعبة وخطبته

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ، يستلم الركن بِمِحْجَنٍ [1] فى يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مِفْتَاحَ الكعبة ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حَمَامَةً من عيدان ، فكسرها بيده ، ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد اسْتَكَفَّ له الناس [2] فى المسجد

نص الخطبة

قال ابن إسحق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال : « لا إلٰهَ إلا الله وحده ، لاشريك له ،

---

(١) المحجن — بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الجيم — عود معوج الطرف يمسكه الراكب للبعير فى يده

(٢) استكف له الناس : اجتمعوا ، وأصله الكافة ، وهى الجماعة ، وقد يكون المراد من استكف ههنا أنهم نظروا إليه وحدقوا أبصارهم فيه ، وقد يكون معناه أنهم استداروا حوله

صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كُلُّ مَأْثُرَةٍ أودَمٍ أومَالٍ يُدَّعَى فهو تحت قدمَيَّ هاتين، إلا سِدَانَةَ البيت وسِقَايَةَ الحاجّ، ألا وقتيل الخطأ شِبْهِ العمد بالسَّوْطِ والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها، يامعشر قريش، إن الله قد أذْهَبَ عنكم نَخْوَةَ الجاهلية وتَعظُّمَهَا بالآباء، الناسُ من آدم وآدم من تراب» ثم تلا هذه الآية(٤٩: ١٣): (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إناخَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) الآية كلها، ثم قال: «يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّى فَاعِلٌ فِيكم»؟ قالوا: خيرا أخٌ كريم، وابن أخ كريم، قال: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ» ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد، فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاحُ الكعبة فى يده، فقال: يارسول الله، اجْمَعْ لَنَا الْحِجَابَةَ مع السقاية صلى الله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ» فدعى له، فقال: «هَاكَ مِفْتَاحَكَ يا عُثْمَانُ الْيَوْمُ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاءٍ»

قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عُيَيْنة أن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم قال لعلى: «إنَّمَا أُعطِيكُمْ مَا تُرْزَؤُونَ لاَ مَا تَرْزَؤُونَ»

قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صُوَرَ الملائكة وغَيْرَهم، فرأى إبراهيم عليه السلام، مُصَوَّرًا فى يده الأزلام يَسْتَقْسِمُ بها، فقال: «قَاتَلَهُمُ الله جعَلُوا شَيْخَنَا يَسْتَقْسِمُ بِالأَزْلاَمِ، مَا شَأْنُ إِبْرَاهِيمَ وَالأَزْلاَمِ (٣: ٦٧): (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)» ثم أمر بتلك الصور كلها فطُمِست.

قال ابن هشام: وحدثنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل

الـكعبة ومعه بِلَالٌ ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلَّفَ بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ؛ فسأله : أين صَلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبل وجهه وجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار [قدر] ثلاث أذرع ، ثم يصلى ، يَتَوَخَّى [بذلك] الموضع الذى قال له بلال

أذان بلال في الكعبة

قال ابن هشام : وحدثنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الـكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعَتَّاب بن أَسيد والحرث بن هشام جُلُوسٌ بفناء الـكعبة ، فقال عتاب ابن أسيد : لقد أكرم الله أسيدًا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه،

شأن أبى سفيان والحرث بن هشام وعتاب بن أسيد

فقال الحرث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا لو تكلمت لأَخْبَرَتْ عنى هذه الحصا ، فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « قَدْ عَلِمْتُ الَّذِى قُلْتُمْ » ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحرث وعَتَّاب : نشهد أنك رسول الله ، والله ما اطّلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك

قال ابن إسحق : حدثنى سعيد بن أبى سَنْدَر الأسلمى ، عن رجل من قومه ، قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا (١) ، وكان رجلا شجاعا ، وكان إذا نام غَطَّ (٢) غطيطاً مُنْكَراً لا يخفى مكانه ، فكان

---

(١) « أحمر بأسا » قال أبو ذر : « هو جملة مركبة كحضرموت ونحوه » اه وهذا التعبير الذى عبر به أبو ذر ليس دقيقاً ، وفيه شىء من التساهل ؛ ولـكنه تقريب

(٢) الغطيط : ما يسمع من صوت الآدميين إذا ناموا ، وهو صوت فى الحلق

إذا بات فى حيه بات معتنزاً [1] ، فإذا بُيّت الحى [2] صرخوا : يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسبيله شىء ، فأقبل غزىٌّ من هذيل [3] يريدون حاضره [4] ، حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلى: لا تعجلوا على حتى أنظر ؛ فان كان فى الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فانّ له غطيطا لا يخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا : يا أحمر ، ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغد من يوم الفتح أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شركه ، فرأته خزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به ، وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكة ، يقولون: أأنت قاتل أحمر ؟ قال : نعم أنا قاتل أحمر فمه [5] ، قال : إذ أقبل خراشُ ابن أمية مشتملا على السيف ، فقال هكذا عن الرجل [6] ، ووالله ما نظنُّ

---

(١) معتنزاً : أى فى ناحية من الحى ، ويقال : هذا بيت معتنز ؛ إذا كان خارجاً عن بيوت الحى

(٢) بيت الحى : جاءهم الغزاة فى وقت البيات

(٣) الغزى : جماعة القوم الغزاة

(٤) الحاضر : الذين ينزلون على الماء

(٥) فمه : هى ، ما الاستفهامية وهذه الهاء هى هاء السكت ، والمعنى ما الذى تريدون أن تصنعوا

(٦) قال أبو ذر : « هكذا عن الرجل : هكذا اسم سمى به الفعل ، ومعناه تنحوا عن الرجل ، وعن متعلقة بما فى هكذا من معنى الفعل » اه كلامه قال أبو رجاء : ولا أعلم أن هكذا تستعمل هذا الاستعمال ؛ والذى يبدو لى أن كلمة هكذا من كلام الراوى ، وأنه أراد بها أن يصور حاله حين قدم إذ كان

إلا أنه يريد أن يُفَرِّجَ الناس عنه ، فلما انفَرَجْنَا عنه حمل عليه فطعنه بالسيف في بطنه ، فوالله لكأني أنظر إليه وحِشْوَتُهُ (١) تسيل من بطنه ، وإنَّ عينيه لَتُرَنِّقَانِ (٢) في رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشر خزاعة ؟ حتى انْجَعَفَ (٣) ، فوقع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْقَتْلِ فَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ إِنْ نَفَعَ لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلاً لأَدِيَنَّهُ » .

قال ابن إسحق : وحدثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي ، عن سعيد ابن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خِرَاشُ بن أُمَيَّة قال : « إنَّ خِرَاشاً لَقَتَّالٌ » يعيبه بذلك .

خطبة رسول الله غداة يوم الفتح

قال ابن إسحق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد الْمَقْبُرِيُّ ، عن أبي شريح الخزاعي ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة فلما كان الْغَدُ من يوم الفتح عَدَتْ خُزَاعَةُ على رجل من هُذَيْلٍ ، فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً فقال : « يا أيها الناس ، إنَّ الله حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ مِنْ حَرَامٍ إلى يَوْمِ الْقِيَامَة ، فَلاَ يَحِلُّ لاِمْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ

يفرق الناس بيديه ، ولم يقل إلا « عن الرجل » وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف يرشد إليه الحال . فتنبه لذلك

(١) الحشوة : ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها

(٢) ترنقان : يريد أنهما قريبتان أن تنغلقا ، وتقول : رنقت الشمس للغروب ، إذا دنت منه ، وتقول : رنقه النعاس : إذا ابتدأه قبل أن تنغلق عينه

(٣) انجعف : أي سقط سقوطاً شديداً ، تقول : انجعفت الثمرة ؛ إذا انقلعت أصولها فسقطت

وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسفِكَ فِيهَا دَماً وَلاَ يَعْضِدَ (١) فِيهَا شَجَرًا ، لَمْ تُحْلَلْ لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَلاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ يَكُونُ بَعْدِى وَلَم تُحْلَلْ لِى إلاَّ هٰذِهِ السَّاعَةَ غَضَبًا عَلَى أَهْلِهَا أَلاَ ثُمَّ قَدْ رَجَعَتْ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ ؛ فَمَنْ قَالَ لَكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللهِ [صلى الله عليه وسلم] قَاتَلَ فِيهَا فَقُولُوا إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِهِ وَلَمْ يُحِلَّهَا لَكُمْ ، يَامَعْشَرَ خُزَاعَةَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْقَتْلِ فَلَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ إِنْ نَفَعَ لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلاً لأَدِيَنَّهُ فَمَن قُتِلَ بَعْدَ مَقَامِى هٰذَا فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِنْ شَاؤُا فَدَمُ قَاتِلِه وَإِنْ شَاؤُا فَعَقْلُهُ » ثم وَدَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تَمْنَعَ سافكَ دمٍ ، ولا خالعَ طاعةٍ ، ولا مانعَ جزيةٍ ، فقال أبو شريح : إنى كنت شاهدا وكُنْتَ غائبا ، ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك فأنت وشأنك .

قال ابن هشام : وبلغنى أن أول قتيل وَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جُنَيْدِبُ بن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فوَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة ناقة .

مقالة الانصار يوم الفتح

قال ابن هشام : وبلغنى عن يحيى بن سعيد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ــ حين افتتح مكة ودخلها ــ قام على الصفا يدعو [الله] ، وقد أَحْدَقَتْ به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أَتُرَوْنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذْ فتحَ الله عليه أَرْضَهُ وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : « مَاذَا قُلْتُمْ »؟ قالوا : لاشيء يارسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مُعَاذَ اللهِ الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُم »

(١) يعضد : يقطع ، تقول : عضدت الشجرة ، إذا قطعتها

وقوع الأصنام بإشارة النبى

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل الرواية ، فى إسناد له عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مَشْدُودَة بالرصاص ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول (١٧ : ٨١) : (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعى فى ذلك : —

وَفِى الأَصْنَامِ مُعْتَبَرٌ وَعِلْمٌ ... لِمَنْ يَرْجُو الثَّوَابَ أَوِ الْعِقَابَا

شأن فضالة ابن عمير الليثى

قال ابن هشام : وحدثنى أن فَضَالَة بن عُمَيْر بن الْمُلَوَّح الليثى أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفَضَالَةُ » قال : نعم فضالة يارسول الله ، قال : « مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ » ؟ قال : لا شىء كنت أذكر الله عز وجل ، قال : فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : « اسْتَغْفِرِ اللَّهَ » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يَدَهُ عن صدرى حتى ما من خلق الله شىءٌ أحبُّ إلى منه ، قال فضالة : فرجعت إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فَضَالَةُ يقول : —

قَالَتْ : هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيث ، فَقُلْتُ : لا ... يَأْبَى عَلَيْكِ اللهُ والإِسْلَامُ

لَوْمَا رَأَيْتِ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ ... بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكَسَّرُ الأَصْنَامُ

لَرَأَيْتِ دِينَ اللهِ أَضْحَى بَيِّنًا ... وَالشِّرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ الإِظْلَامُ

شأن صفوان ابن أمية

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن جعفر ، عن عروة [بن الزبير] ، قال : خرج صَفْوَانُ بن أمية يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يانبي الله ، إن صَفْوَان بن أمية سَيِّدُ قومه ، وقد خرج هار بامنك لِيَقْذِفَ نفسه فى البحر ، فأَمِّنْهُ صلى الله عليك وسلم ، قال : « هُوَ آمِنٌ » قال : يارسول الله ، فأعطنى آيةً يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب [فى] البحر فقال : ياصَفْوَانُ ، فِدَاكَ أبى وأمى ، اللهَ اللهَ فى نفسك أن تهلكها فهذا أمانٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به ، قال : ويحك !!! أُغْرُبْ عنى فلا تكلمنى ، قال : أىْ صفوانُ ، فِدَاكَ أبى وأمي ، أفْضَلُ الناس ، وأَبَرُّ الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابنُ عمك عِزُّه عِزُّكَ ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ، قال : إنى أخافه على نفسى ، قال : هو أحلم من ذاك وأكرم ، فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أَمَّنْتَنِي ، قال : « صَدَقَ » قال : فاجعلنى فيه بالخيار شهرين ، قال : « أَنْتَ بِالْخِيَارِ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ »

قال ابن هشام : وحدثنى رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعمير : ويحك !!! أغْرُبْ عنى فلا تكلمنى فانك كَذَّاب ، لما كان صنع به ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر

قال ابن إسحق : وحدثنى الزهرى أن أم حكيم بنت الحرث بن هشام وَفَاخِتَةَ بنت الوليد ، وكانت فاختة عند صفوان بن أمية وأم حكيم عند عكرمة بن أبى جهل ؛ أسلمتا ، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعكرمة فأمنه ، فلحقت به باليمن فجاءت به ، فلما أسلم عكرمة

وصفوان أقرّهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأول

شأن ابن الزبعرى

قال ابن إسحق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسانُ ابنَ الزِّبَعْرَى وهو بِنَجْرَانَ ببيت واحد مازاد عليه : —

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلاً أَحَلَّكَ بُغْضُهُ   نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَذَّ لَئِيمِ (١)

إسلام ابن الزبعرى

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال حين أسلم : —

يَارَسُولَ الْمَلِيكِ ، إِنَّ لِسَانِي   رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ (٢)

إِذْ أُبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْـ   ـغَيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ (٣)

آمَنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي   ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ

إِنَّنِي عَنْكَ زَاجِرٌ ثَمَّ حَيًّا   مِنْ لُؤَيٍّ وَكُلُّهُمْ مَغْرُورُ

قال ابن إسحق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضاً حين أسلم [رضى الله عنه] : —

مَنَعَ الرُّقَادَ بَلَابِلٌ وَهُمُومُ   وَاللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيمُ (٤)

---

(١) « عيش أحذ » تروى هذه الكلمة بالحاء المهملة والذال المعجمة، وتروى بجيم موحدة فدال مهملة ؛ فأما من رواه بالحاء والذال فمعناه القليل المنقطع ، وأما من رواه بالجيم والدال فهو المنقطع أيضا

(٢) راتق : ساد ؛ تقول : رتق الفتق ، إذا سده ، ومعناه مصلح ما كنت أفسدته ، وفى التنزيل : (كانتا رتقا ففتقناهما) والبور : الهالك

(٣) أبارى : أعارض وأجارى ، والسنن - بفتح السين والنون - وسط الطريق ، ومثبور : هالك ؛ من الثبور وهو الهلاك

(٤) البلابل : الوساوس المختلطة والأحزان ، ومعتلج : مضطرب يركب بعضه بعضا ، والبهيم : الذى لا ضياء فيه

مِمَّا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لاَمَنِي فِيهِ فَبِتُّ كَأَنَّنِي مَحْمُومُ

يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا عَيْرَانَةٌ سُرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُومُ (١)

إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي أَسْدَيْتُ إِذْ أَنَافِي الضَّلَالِ أَهِيمُ (٢)

أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَغْوَى خُطَّةٍ سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْزُومُ

وَأُمِدُّ أَسْبَابَ الرَّدَى وَيَقُودُنِي أَمْرُ الْغُوَاةِ وَأَمْرُهُمْ مَشْؤُومُ (٣)

فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَلْبِي وَمُخْطِئُ هٰذِهِ مَحْرُومُ

مَضَتِ الْعَدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وَحُلُومُ (٤)

فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَالِدَايَ كِلَاهُمَا زَلَلِي فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ

وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِيكِ عَلَامَةٌ نُورٌ أَغَرُّ وَخَاتَمٌ مَخْتُومُ

أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بُرْهَانَهُ شَرَفاً وَبُرْهَانُ الْإِلٰهِ عَظِيمُ

---

(١) العيرانة: الناقة التي تشبه العير (وهو حمار الوحش) في شدته ونشاطه، وسرح اليدين: خفيفة اليدين، وغشوم: ظلوم، يعني أن مشيها فيه خفاء، ويروى في مكان هذه الكلمة «رسوم» ومعناه أنها ترسم الأرض وتؤثر فيها من شدة وطئها، أو هو من الرسيم وهو من ضرب الابل

(٢) أسديت: صنعت، والمشهور إطلاق هذا اللفظ في صنع المعروف، ولكنه ههنا جرده من بعض معناه، وأراد بالذي صنعه ما كان يقول من الشعر في هجاء النبي وأصحابه أيام كفره؛ وقد سبق ذكر جملة منه؛ وأهيم: أذهب على وجهي متحيرا

(٣) الردى: الهلاك

(٤) الأواصر: جمع آصرة، وهي قرابة الرحم بين الناس، والحلوم: جمع حلم، وهو العقل

وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ صَادِقٌ ... حَقٌّ وَأَنَّكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمُ (١)

وَاللهُ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفًى ... مُسْتَقْبَلٌ فِي الصَّالِحِينَ كَرِيمُ (٢)

قَرْمٌ عَلَا بُنْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ ... فَرْعٌ تَمَكَّنَ فِي الذُّرَا وَأُرُومُ (٣)

قال ابن هشام : و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له

شأن هبيرة بن أبي وهب المخزومي

قال ابن إسحق : وأما هُبَيْرة بن أبي وهب المخزومي فأقام بها حتى مات كافراً ، وكانت عنده أم هانىء ابنة أبي طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانىء : —

أَشَاقَتْكَ هِنْدٌ أَمْ أَتَاكَ سُؤَالُهَا ... كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَانْفِتَالُهَا (٤)

وَقَدْ أَرَّقَتْ فِي رَأْسِ حِصْنٍ مُمَنَّعٍ ... بِنَجْرَانَ يَسْرِي بَعْدَ لَيْلٍ خَيَالُهَا (٥)

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ... وَتَعْذِلُنِي بِاللَّيْلِ ضَلَّ ضَلَالُهَا (٦)

وَتَزْعُمُ أَنِّي إِنْ أَطَعْتُ عَشِيرَتِي ... سَأَرْدَى وَهَلْ يُرْدِينِ إِلَّا زِيَالُهَا (٧)

---

(١) جسيم : عظيم

(٢) مستقبل : ملحوظ منظور إليه كأن كل أحد قد جعله قبالته

(٣) قرم : أصله الفحل من الابل ، والمراد به السيد ، والذرا : الأعالي . والأروم : الأصول

(٤) « أتاك » هكذا وقع في أكثر نسخ الأصل ، وفي نسخة أبي ذر مكانه « نآك » ومعناه بعد عنك ، والنأى : البعد ، وانفتالها : يروى بالفاء الموحدة ، ومعناه تقلبها من حالة إلى حالة ، ويروى في مكانه « وانتقالها » بالقاف

(٥) أرقت : أزالت النوم ، ونجران : بلد ، ويسرى : يسير ليلا

(٦) هبت : استيقظت من نومها ، وضل ضلالها : دعاء عليها بالضلال

(٧) أردى ـ بفتح الدال ، من باب رضي يرضى ـ أي : أهلك ، وزيالها: ذهابها

فَانى لمِنْ قَوْمٍ إذَا جَدَّ جِدُّهُمْ عَلى أىِّ حَالٍ أصْبَحَ الْيَوْمَ حَالُهَا
وَإنى لَحَامٍ مِنْ وَرَاء عَشِيرَتِى إذَا كَانَ مِنْ تَحْتِ الْعَوَالِى مَجَالُهَا(١)
وَصَارَتْ بِأَيْدِيهَا السُّيُوفُ كَأَنَّهَا مَخَارِيقُ وِلْدَانٍ وَمِنْهَا ظِلَالُهَا(٢)
وَإنِّي لأَقْلِى الْحَاسِدِينَ وَفِعْلَهُمْ عَلَى اللهِ رِزْقِى نَفْسُهَا وَعِيَالُهَا(٣)
وَإنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِى غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَا لنَّبْلِ تَهْوِى لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا(٤)
فَإنْ كُنْتِ قَدْ تَابَعْتِ دِينَ مُحَمَّدٍ وَعَطَّفَتِ الْأَرْحَامَ مِنْكِ حِبَالُهَا
فَكُونِى عَلَى أعْلَى سَحِيقٍ بِهَضْبَةٍ مُلَمْلَمَةٍ غَبْرَاءَ يَبْسٍ بِلَالُهَا(٥)

[قال ابن إسحق: ويروى « وَقَطَّعَتِ الْأَرْحَامَ مِنْكِ حِبَالُهَا »]

جميع من شهد فتح مكة من المسلمين

قال ابن إسحق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف: من بنى سُلَيم سَبْعُمَائة، ويقول بعضهم: ألْف، ومن بنى غفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة، ومن مُزَيْنة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد

---

(١) العوالى: جمع عالية، وهى أعلى الرمح

(٢) مخاريق: جمع مخراق، وهو منديل يمسكه الصبي بيده ويضرب به، شبه السيوف به

(٣) أقلى: أبغض، والقلى - بكسر القاف - البغض، وقد قلاه يقليه وقلاه يقلوه وفى التنزيل: (ما ودعك ربك وما قلى)

(٤) « فى غير كنهه » أى فى غير حقيقته، وكنه الشيء: حقيقته وما هو عليه، والنصال: حديد السهام

(٥) السحيق: البعيد، والهضبة: الكدية العالية، والململمة: المستديرة والغبراء: التى علاها الغبار، واليبس: اليابس

قصيدة لحسان بن ثابت الأنصارى فى فتح مكة

وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ ... إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءُ (١)

دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ (٢)

وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنِيسٌ ... خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ (٣)

فَدَعْ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ (٤)

لِشَعْثَاءَ الَّتِي قَدْ تَيَّمَتْهُ ... فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ (٥)

كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ (٦)

---

(١) عفت : درست وتغيرت ، وذات الأصابع والجواء : موضعان فى بلاد الشام بأكناف دمشق ، وعذراء : موضع على بريد من دمشق ، وهذه المواضع كانت بها منازل بنى جفنة ملوك غسان الذين كان ينتجعهم حسان رضى الله عنه فى أيام الجاهلية ، فهو لايفتأ يذكرها ، ومنزلها : إنما أفرده لأنه حين أضافه فقد آذن بعمومه ، وخلاء : قفر خال

(٢) الحسحاس ههنا وصف وليس علما ، والحسحاس : الرجل الجواد الذى يطرد الجوع بسخائه ، وقفر : موحشة خالية ، والروامس : الرياح التى تثير التراب فترمس به الآثار : أى تطمسها وتعفيها ، والسماء : أراد به ههنا المطر

(٣) المروج : جمع مرج ، وهو الأرض الواسعة ذات الكلأ ، والنعم : الابل ، وهم يخصون الابل بهذا الاسم لأنها أكثر أموالهم ، والشاء : الغنم

(٤) الطيف : الخيال الذى يلم فى النوم ، ويؤرقنى : يسهرنى ويذهب نومى ، وقوله « إذا ذهب العشاء » أراد إذا حان موعد النوم

(٥) شعثاء : قيل هى بنت سلام بن مشكم ، وقيل : هى امرأة من خزاعة وتيمته : أى استولت على قلبه وذللته وذهبت به كل مذهب

(٦) خبيئة : مخبوءة ، ويروى فى مكانه « سبيئة » والمراد على أية حال الخمر ، وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر ، وفى الديوان بعد هذا البيت قوله :ـ

إِذَا مَاالْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهُنَّ لِطَيِّبِ الرَّاحِ الْفِدَاءُ (١)
نُوَلِّيهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا إِذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَوْ لِحَاءُ (٢)
وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكًا وَأُسْدًا مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ (٣)
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ (٤)
يُنَازِعْنَ الْأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَاالْأَسَلُ الظِّمَاءُ (٥)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ (٦)
فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ (٧)

عَلَى أَنْيَابِهَا أَوْ طَعْمَ غَضٍّ مِنَ التُّفَّاحِ هَصَّرَهُ الْجِنَاءُ

(١) يريد إذا ذكرت الأشربة فهذه الخمر أفضلها .

(٢) ألمنا : أتينا ماتلام عليه ، والمغث : الشر والقتال ، وهو الأخذ باليد ، واللحاء : السباب نحو الشتم ؛ يقول : إننا ننسب إلى الخمر ما يكون منا إذا شربناها مما يستحق اللوم

(٣) ينهنهنا : يزجرنا ويردنا ، واللقاء : أراد به لقاء الأعداء ، والمراد أنهم إذا شربوها لم يهابوا لقاء العدى

(٤) النقع : الغبار ، وكداء : الثنية العليا بمكة مما يلي المقابر ، وهي المعلى

(٥) ينازعن : يروى في مكانه « يبارين » والمراد أن الخيل تجارى الأعنة ، وذلك كناية عن لينها وسرعة انقيادها ، ومصغيات : مستمعات ، ويروى في مكانه « مصعدات » والأسل : الرماح ، والظماء : العطاش

(٦) متمطرات : ذاهبة مسرعة يسبق بعضها بعضا ، وتلطمهن : تضرب خدودهن لتردهن ، والخمر : جمع خمار ، وهو ماتغطي به المرأة وجهها ، وقد روى أن نساء مكة يوم الفتح ظللن يضربن بخمرهن وجوه الخيل ليرددنها

(٧) اعتمرنا : أدينا مناسك العمرة ، وانكشف الغطاء : ظهر ما كان خافيا

وَإلاَّ فاصْبِرُوا لِجلاَدِ يَوْمٍ ... يُعِينُ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ (١)

وَجبرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ (٢)

وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الحَقَّ إِنْ نَفَعَ البَلاَءُ (٣)

شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ ... فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ

وَقَالَ اللهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ (٤)

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

فَنُحْكِمُ بِالقَوَافِي مَنْ هَجَانَا ... وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ (٥)

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... مُغَلْغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الخَفَاءُ (٦)

بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْدًا ... وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتُهَا الإِمَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِندَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ (٧)

---

(١) الجلاد : المضاربة بالسيوف ، وقوله « يعين الله » يروى فى مكانه « يعز الله »

(٢) أصل القدس الطهارة ، والمراد بروح القدس جبريل عليه السلام ، وليس له كفاء : أى ليس له مثل ولا نظير ، يريد لايقوم له أحد

(٣) أراد بالعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والبلاء : الاختبار

(٤) عرضتها اللقاء : أراد عادتها التى جرت على أن تتعرض لعملها

(٥) نحكم : نمنع ، ومنه قول جرير :ــ

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا

(٦) المغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد ، وقد روى فى الديوان :ــ

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

والمجوف : الجبان ، وأصله الخالى الجوف ، والنخب والهواء : مثله

(٧) الجزاء : المكافأة على الشيء ، سواء أكان خيرا أم شرا

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا ... أَمِينَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ (١)
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ (٢)
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ ... وَبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ (٣)

قال ابن هشام: قالها حسان [قبل] يوم الفتح، ويروى «لساني صارم لاعَتْبَ فيه (٤)» وبلغني عن الزهرى أنه قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

قصيدة لأنس ابن زنيم الديلى

قال ابن إسحق: وقال أنس بن زُنَيْمٍ الدِّيلى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى: —

أَأَنْتَ الَّذِي تُهْدَى مَعَدٌّ بِأَمْرِهِ ... بَلِ اللهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ اشْهَدِ
وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ (٥)

---

(١) الحنيف: أصله المائل، مأخوذ من الحنف، ويقال: رجل أحنف وحنيف، ورجال حنفاء، وأراد بالحنيف ههنا المسلم لأنه مال عن الباطل إلى الحق، ويروى فى مكانه «حفى» وهو المبالغ فى الشىء والبحث عنه، وشيمته: طبيعته

(٢) يريد أمن يهجو رسول الله ومن يمدحه سواء؛ بدليل الاخبار عنه بسواء التى لا يخبر بها إلا عن متعدد، فحذف الاسم الموصول المعطوف على الموصول وأبقى صلته

(٣) أصل الصارم السيف القاطع، فشبه به لسانه

(٤) لاعتب فيه: يريد لالوم؛ لأنه إنما يرد عليكم، ويهجوكم وأنتم لذلك أهل

(٥) الذمة ـ بكسر الذال وتشديد الميم ـ العهد

أَحَثَّ عَلَى خَـيْرٍ وَأَسْبَغَ نَائِلاً
إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ الْمُهَنَّدِ (١)
وَأَكْسَى لِبُرْدِ الْخَـالِ قَبلَ ابْتِذَالِه
وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَجَرِّدِ (٢)
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي
وَأَنَّ وَعِيـدًا مِنْكَ كَالأَخْذِ بِالْيَدِ (٣)
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ انَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ وَمُنْجِدِ (٤)
تَعَلَّمْ بِأَنَّ الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ
هُمُ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلِفُو كُلِّ مَوْعِـدِ
وَنَبَّوْا رَسُولَ اللهِ أَنِّي هَجَوْتُهُ فَلَا حَمَلَتْ سَوطِي إِلَيَّ يَدِي
سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ وَيْلُ اُمِّ فِتْيَةٍ
أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لَا بِطَلْقٍ وَأَسْعُدِ (٥)

---

(١) أحث: أسرع ، وأشد حثا للناس واستنهاضا لهمتهم ، وأسبغ : أكمل وأضفى ، والنائل : العطاء ، والمهند : الصارم

(٢) الخال : ضرب من برود اليمن ، وابتذاله : استعماله حتى يبتذل ، والسابق ههنا : الفرس ، والمتجرد : أراد به الذي يسبق الخيل

(٣) تعلم : معناه اعلم ، والوعيد : التهديد

(٤) صرم ـ بكسر فسكون ـ البيوت المجتمعة ؛ ومتهمين : أي يسكنون تهامة ، والمنجد : الذي يسكن نجدا ؛ وأراد بتهامة المنخفض من الأرض وبنجد المرتفع منها

(٥) « طلق » يقال : يوم طلق ، إذا لم يكن فيه حر ولا برد ولا شيء يؤذي ، وكذلك قولهم : ليلة طلقة

أَصابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ
كِفَاءً فَعَزَّتْ عَبْرَتِي وَتَبَلُّدِي (١)

فَإِنَّكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيًا
بِعَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وَابْنَةِ مَهْوَدِ (٢)

ذُؤَيْبٌ وَكُلْثُومٌ وَسَلْمَى تَتَابَعُوا
جَمِيعًا فَإِلَّا تَدْمَعِ الْعَيْنُ أَكْمَدِ (٣)

وَسَلْمَى وَسَلْمَى لَيْسَ حَيٌّ كَمِثْلِهِ ... وَإِخْوَتُهُ وَهَلْ مُلُوكٌ كَأَعْبُدِ

فَإِنِّيَ لَا دِينًا فَتَقْتُ وَلَا دَمًا ... هَرَقْتُ تَبَيَّنْ عَالِمَ الْحَقِّ وَاقْصِدِ

فأجابه بُدَيل بن عبد مناف بن أم أصرم ، فقال : —

بديل بن عبد مناف يجيب أنس بن زنيم

بَكَى أَنَسٌ رَزْنًا فَأَعْوَلَهُ الْبُكَا ... فَأَلَّا عَدِيًّا إِذْ تُطَلُّ وَتُبْعَدُ (٤)

بَكَيْتَ أَبَا عَبْسٍ لِقُرْبِ دِمَائِهَا ... فَتُعْذَرَ إِذْ لَا يُوقِدُ الْحَرْبَ مُوقِدُ

أَصَابَهُمُ يَوْمَ الْخَنَادِمِ فِتْيَةٌ ... كِرَامٌ فَسَلْ ، مِنْهُمْ نُفَيْلٌ وَمَعْبَدُ (٥)

---

(١) كفاء : أراد نظيرا ومكافئا ، وعزت : اشتدت حتى غلبتني ، ومنه قوله تعالى : (وعزني في الخطاب) ، والعبرة : الدمعة ، وتبلدى : تحيرى ، ويروى « تجلدى » وهو الصبر

(٢) أخفرت : نقضت العهد

(٣) أكمد : هو من الكمد ، وهو الحزن

(٤) العويل : رفع الصوت بالبكاء ، وأعوله : صيره ذا عويل ، وتطل — بالبناء للمجهول — تهدر دماؤها وتبطل ولا تؤخذ بثأرها

(٥) يوم الخنادم : أراد يوم الخندمة ، وقد سبق ذكره قريباً جداً وإنما جمع لأنه أراده مع ما يليه ، والخندمة : موضع

هُنَالِكَ إِنْ تَسْفَحْ دُمُوعُكَ لَا تُلَمْ
عَلَيْهِمْ أَوِ انْ لَمْ تَدْمَعِ الْعَيْنُ فَاكْمَدُوا (١)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له

قصيدة لبجير ابن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح

قال ابن إسحق : وقال بُجَيْر بن زهير بن أبى سُلْمى فى يوم الفتح :

نَفَى أَهْلَ الْحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍّ مُزَيْنَةُ غُدْوَةً وَبَنُو خُفَافِ (٢)
ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ النَّـ ـبِيِّ الْخَيْرِ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ (٣)
صَبَحْنَاهُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سُلَيْمٍ وَأَلْفٍ مِنْ بَنِى عُثْمَانَ وَافِ
نَطَا أَكْتَافَهُمْ ضَرْبًا وَطَعْنًا وَرَشْقًا بِالْمُرَيَّشَةِ اللِّطَافِ (٤)
تَرَى بَيْنَ الصُّفُوفِ لَهَا حَفِيفًا
كَمَا انْصَاعَ الْفُوَاقُ مِنَ الرِّصَافِ (٥)

---

(١) تسفح : تسيل ، واكمدوا : هو من الكمد ، وهو الحزن ؛ ووقع فى رواية « فاكمد » مكسور الدال على الأصل ، لأمر الواحد . وفى البيت على ذلك إقواء

(٢) الحبلق : الغنم الصغار ، قال فى القاموس : « الحبلق ـ كعملس ـ غنم صغار لاتكبر ، أو قصار المعز ودمامها »

(٣) الخير ـ بفتح فسكون ـ هو مخفف خير ـ بفتح فياء شددة ـ كهين لين

(٤) نطا : أراد نطأ ، فأبدل الهمزة ألفا ، والرشق : الرمى السريع ، والمريشة : أراد بها السهام التى لها ريش

(٥) الحفيف : الصوت ، وانصاع : انشق ، والفواق ـ بضم الفاء كغراب ـ طرف السهم الذى يلى الوتر ، والمعروف فيه فوق بضم الفاء والواو ساكنة ، والرصاف ـ ككتاب ـ جمع رصفة ـ بفتحات ـ وهى العقب الذى يكون على السهم

فَرُحْنَا وَالجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ بِأَرْمَاحٍ مُقَوَّمَةِ الثِّقَافِ

فَأُبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا وَآبُوا نَادِمِينَ عَلَى الخِلَافِ

وَأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللهِ مِنَّا مَوَاثِقَنَا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي (١)

وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنَّا بِانْصِرَافِ (٢)

كلمة لعباس بن مرداس السلمى فى يوم الفتح

قال ابن هشام : وقال عَبَّاسُ بن مِرْداس السُّلَمِيُّ فى فتح مكة : —

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ مُحَمَّدٍ

أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ الْبِطَاحُ مُسَوَّمُ (٣)

نَصَرُوا الرَّسُولَ وَشَاهَدُوا أَيَّامَهُ وَشِعَارُهُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ مُقَدَّمُ (٤)

فِى مَنْزِلٍ ثَبَتَتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ

ضَنْكٍ كَأَنَّ الْهَامَ فِيهِ الْحَنْتَمُ (٥)

جَرَّتْ سَنَابِكَهَا بِنَجْدٍ قَبْلَهَا حَتَّى اسْتَقَادَ لَهَا الْحِجَازُ الْأَدْهَمُ

اللهُ مَكَّنَهُ لَهُ وَأَذَلَّهُ حُكْمُ السُّيُوفِ لَنَا وَجَدٌّ مِزْحَمُ

---

(١) التصافى : أراد صفاء القلوب على الطاعة

(٢) الروع : الفزع ، ومنا : متعلق بالروع ، وبانصراف : متعلق بهموا

(٣) البطاح : جمع بطحاء ، وهى الأرض السهلة المتسعة ، ومسوم : مرسل ، ويقال : هو المعلم بعلامة

(٤) شعارهم : علامتهم فى الحرب

(٥) ضنك : أى ضيق ، والهام ههنا : الرأس ، والحنتم ـ بفتحتين بينهما سكون ـ الحنظل ، يريد أنها تطيح وتطير كما يطير الحنظل عند هصره

عَوْدُ الرِّيَاسَةِ شَامِخٌ عِرْنِينُهُ   مُتَطَلِّعٌ ثُغَرَ الْمَكَارِمِ خِضْرِمُ (١)

إسلام عَبَّاس بن مِرْدَاس

ضمار صنم مرداس السلمى

قال ابن هشام : وكان إسلام عَبَّاس بن مِرْدَاس — فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه — أنه كان لأبيه مِرْدَاسٍ وثَنٌ يَعْبُدُهُ ، وهو حَجَر كان يقال له ضَمَار ، فلما حُضِرَ مرداسٌ قال لعباس : أىْ بُنَىَّ اعْبُدْ ضَمَارِ فإنه ينفعك ويضرك ، فبينا عباس يوما عند ضَمَارِ إذ سمع من جَوْف ضَمَارِ مناديا يقول : —

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا

أَوْدَى ضَمَارِ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ (٢)

إِنَّ الَّذِى وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى   بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِ

أَوْدَى ضَمَارِ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً   قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

فَحَرَّق عباس ضَمَارِ ، ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فأسلم

كلمة لجعدة بن عبد الله الخزاعى فى فتح مكة

قال ابن هشام : وقال جَعْدَةُ بن عبد الله الْخُزَاعِىُّ يوم فتح مكة :

أَ كَعْبَ بْنَ عَمْرٍو دَعْوَةً غَيْرَ بَاطِلٍ

لِحَيْنٍ لَهُ يَوْمَ الْحَدِيدِ مُتَاحِ (٣)

---

(١) شامخ : مرتفع ، والعرنين - بكسر فسكون - طرف الأنف ، والخضرم : الجواد الكثير العطاء

(٢) أودى : هلك ، والمسجد هنا : مسجد مكة أو مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة

(٣) الحين : الهلاك ، وهو بفتح فسكون ، ومتاح : مهيأ ومقدر

أُتِيحَتْ لَهُ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ لِتَقْتُلَهُ لَيْلاً بِغَيْرِ سِلَاحِ
وَنَحْنُ الْأُلَى سَدَّتْ غَزَالَ خُيُولُنَا وَلِفْتًا سَدَدْنَاهُ وَفَجَّ طِلَاحِ (١)
خَطَرْنَا وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِجَحْفَلٍ ذَوِى عَضُدٍ مِنْ خَيْلِنَا وَرِمَاحِ (٢)

وهذه الأبيات فى أبيات له

وقال نجيد (٣) بن عمران الخزاعى : —

أبيات لنجيد بن عمران الخزاعى فى فتح مكة

وَقَدْ أَنْشَأَ اللهُ السَّحَابَ بِنَصْرِنَا
رُكَامَ سَحَابِ الْهَيْدَبِ الْمُتَرَاكِبِ (٤)
وَهِجْرَتُنَا فِى أَرْضِنَا عِنْدَنَا بِهَا كِتَابٌ أَتَى مِنْ خَيْرِ مُمْلٍ وَكَاتِبِ
وَمِنْ أَجْلِنَا حَلَّتْ بِمَكَّةَ حُرْمَةٌ
لِنُدْرِكَ ثَأْراً بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ (٥)

---

(١) الألى : أى الذين ، وغزال : اسم موضع ، يجوز فيه الصرف وعدمه ولفت : اسم موضع أيضا ، وفج طلاح : اسم موضع أيضا ، وأصله مركب إضافى ، فالطلاح : جمع طلح ، وهو شجر ، وأضيف الفج إليه

(٢) خطرنا : تروى هذه الكلمة بالحاء المهملة والظاء المعجمة ، وتروى بالخاء المعجمة والطاء المهملة ، فأما من رواه حظرنا ـ بمهملة فمعجمة ـ فمعناه منعنا ، والشىء المحظور : هو الممنوع ، وأما من رواه خطرنا ـ بمعجمة فمهملة ـ فان معناه اهتززنا ، والجحفل : الجيش الكثير العدد

(٣) وقع فى بعض النسخ « بجيد بن عمران » بالباء ، وقال أبو ذر : « وبالنون قيده الدارقطنى » اه كلامه

(٤) الركام : المتراكب الذى يركب بعضه بعضا ، والهيدب : المتدانى من الأرض

(٥) القواضب : القواطع ، واحدها قاضب ، والقضب : القطع

مسير خالد بن الوليد بعد فتح مكة إلى بنى جَذِيمة من كنانة
ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحق : وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السَّرَايا ، تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تِهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطىء بنى جَذِيمَة فأصاب منهم

قال ابن هشام : وقال عَبَّاس بن مِرْدَاسٍ [السُّلَمِيُّ] فى ذلك : —

فإِنْ تَكُ قَدْ أَمَّرْتَ فِى الْقَوْمِ خَالِداً
وَقَدَّمْتَهُ فإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا

بِجُنْدٍ هَدَاهُ اللهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ
نُصِيبُ بِهِ فِى الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها

قال ابن إسحق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حُنَيْف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب سُلَيْم بن منصور ومُدْلِجِ بن مُرَّة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالدٌ : ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا

قال ابن إسحق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة قال : لما أمَرَنَا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلكم يا بنى جَذِيمة إنه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإِسار إلا ضرب

الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً ، قال : فأخذه رجال من قومه فقالوا : ياجَحْدَم أتريد أن تَسفِكَ دماءنا ، إن الناس قد أسلموا ، [ووضعوا السلاح] ووُضِعت الحرب ، وأمن الناس ، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد

قال ابن إسحق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكُتِفوا ، ثم عَرَضَهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ »

رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أنه حُدِّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رَأَيْتُ كَأَنِّى لَقِمْتُ لُقْمَةً مِنْ حَيْسٍ (١) فَالْتَذَذْتُ طَعْمَهَا فَاعْتَرَضَ فِي حَلْقِي مِنْهَا شَىْءٌ حِينَ ابْتَلَعْتُهَا فَأَدْخَلَ عَلِيٌّ يَدَهُ فَنَزَعَهُ » فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يارسول الله ، هذه سَرِيَّة من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون فى بعضها اعتراض فتبعث عليا فيُسَهِّله

قال ابن هشام : وحدثنى أنه انفَلَتَ رجلٌ من القوم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَلْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ » ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض

---

(١) الحيس ـ بفتح فسكون ـ أن يخلط السمن والتمر والأقط فيؤكل ، والأقط : ما يعقد من اللبن ويجفف

رَبْعَةً (١) فَنَهَمَهُ (٢) خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب (٣) فراجعه ، فاشتدت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يارسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبى حذيفة

رسول الله يرسل عليا

قال ابن إسحق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه فقال : « ياعَلِيُّ اخْرُجْ إِلَى هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَانْظُرْ فِى أَمْرِهِمْ وَاجْعَلْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ » فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوَدَى لهم الدماء وماأصيب لهم من الأموال حتى إنه لَيَدِى لهم مِيلَغَةَ الكلب (٤) ، حتى إذا لم يبق شىء من دَمٍ ولا مال إلا وَدَاه بقيت معه بقيةٌ من المال ، فقال لهم على رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقى لكم [بقية من] دم أومال لم يُودَ لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لايعلم ولا تعلمون ، ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : « أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ » قال : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى إنه لَيُرَى ماتحت منكبيه ؛ يقول : « اَللّٰهُمَّ إِنِّى أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ » ثلاث مرات

قال ابن إسحق : وقد قال بعض من يَعْذر خالدا : إنه قال : ماقاتلت

---

(١) الربعة من الرجال : الذى بين الطويل والقصير

(٢) نهمه : زجره

(٣) مضطرب : يريد أنه ليس مستوى الخلق

(٤) الميلغة : خشبة تحفر ثم تتخذ ليلغ فيها الكلب

حتى أمرنى بذلك عبدُ الله بن حُذَافَةَ السَّهْمِىّ ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الاسلام

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : لما أتاهم خالد قالوا : صَبَأْنَا صَبَأْنَا[1]

قال ابن إسحق : وقد كان جَحْدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى مايصنع خالد ببنى جذيمة : يابنى جذيمة ، ضاع الضَّرْبُ ، قد كنت حَذَّرْتُكم ماوقعتم فيه ، وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ــ فيما بلغنى ــ كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عَمِلْتَ بأمر الجاهلية فى الاسلام ، فقال : إنما ثأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن : كذبت قد قتلتُ قاتل أبى ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شرٌّ ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « مَهْلاً يَاخَالِدُ دَعْ عَنْكَ أَصْحَابِى فَوَاللهِ لَوْ كَانَ لَكَ أُحُدٌ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقْتَهُ فِى سَبِيلِ اللهِ مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِى وَلاَ رَوْحَتَهُ »

ثأر خالد عند بنى جذيمة

وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وَعَوْفُ بن عَبْدِ عَوْفِ بن عبد الحرث بن زُهْرَة وعَفَّان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تُجَّاراً إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر كان هلك باليمن إلى ورثته ، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فَأَبَوْا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال

(١) « صبأنا صبأنا » يعنون دخلنا فى دين محمد ، وكانوا يسمون النبى صلى الله عليه وسلم الصابىء ، لأنه خرج من دينهم ، يقال : صبأ الرجل ؛ إذا خرج من دين إلى دين ، ومنه (الصابئون) لأنهم قد اتخذوا دينا بين اليهودية والنصرانية ، كذا قال جمع من المفسرين

ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقتل عوف بن عبد عوف والفاكه بن المغيره ، ونجا عفّان ابن أبي العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ومال عوف بن عبد عوف فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمّت قريشٌ بغزو بني جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملأٍ منا ، إنما عدَا عليهم قومٌ بجهالة فأصابوهم ، ولم نعلم ، فنحن نَعْقِلُ لكم ما كان لكم قبلنا من دم أومال ، فقبلت قريش ذلك ووضعوا الحرب

وقال قائل من بني جَذِيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سَلْمَى : —

وَلَوْلاَ مَقَالُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ أَسْلِمُوا ... لَلاَقَتْ سُلَيْمٌ يَوْمَ ذٰلِكَ نَاطِحَا

لَمَاصَعَهُمْ بُسْرٌ وَأَصْحَابُ جَحْدَمٍ ... وَمُرَّةُ حَتَّى يَتْرُكُوا الْبَرْكَ ضَابِحَا (١)

فَكَائِنْ تَرَى يَوْمَ الْغُمَيْصَاءِ مِنْ فَتًى ... أُصِيبَ وَلَمْ يُجْرَحْ وَقَدْ كَانَ جَارِحَا (٢)

أَلَظَّتْ بِخُطَّابِ الْأَيَامَى وَطَلَّقَتْ ... غَدَاتَئِذٍ مِنْهُنَّ مَنْ كَانَ نَاكِحَا (٣)

قال ابن هشام : قوله « بسر » و« ألَظَّتْ بخُطَّاب » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : فأجابها عبَّاس بن مِرْدَاس ، ويقال : بل الجَحَّاف بن حَكِيم السُّلَمِيُّ : —

---

(١) المصاع والمماصعة : المضاربة بالسيوف ، والبرك : الابل باركة ، وضابحا : صائحا ، وأصل الضبح نفس الخيل والابل إذا أعيت ، ومنه قوله تعالى : (والعاديات ضبحا) وفي بعض النسخ صائحا

(٢) الغميصاء : اسم موضع

(٣) ألظت : لزمت وألمت ، والأيامى : جمع أيم ، وهي التي لا زوج لها

دَعِي عَنْكِ تقْوَالَ الضَّلَالِ كَفَى بِنَا
لِكَبْشِ الْوَغَى فِى الْيَوْمِ وَالأَمْسِ نَاطِحَا [(١)]

فَخَالِدُ أَوْلَى بِالتَّعَــــذُّرِ مِنْكُمُ
غَدَاةَ عَلاَ نَهْجًا مِنَ الْأَمْرِ وَاضِحَا

مُعَانًا بِأَمْرِ اللهِ يُزْجِى إِلَيْكُمُ
سَوَانِحَ لاَتَكْبُوا لَهُ وَبَوَارِحَا [(٢)]

نَعَوْا مَالِكاً بِالسَّهْلِ لَمَّا هَبَطْنَهُ
عَوَابِسَ فِى كَابِى الْغُبَارِ كَوَالِحَا [(٣)]

فَإِنْ نَكُ أَثْكَلْنَاكِ سَلْمَى فَمَالِكٌ
تَرَكْتُمْ عَلَيْهِ نَائِحَاتٍ وَنَائِحَا [(٤)]

وقال الْجحَّافُ بن حكيم السُّلَمِيُّ : —

شَهِدْنَ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوَّمَاتٍ   حُنَيْنًا وهْىَ دَامِيَةُ الْكِلاَمِ [(٥)]

---

(١) الكبش هنا : الرجل السيد ، والوغى : الحرب

(٢) يزجى : يسوق ، والسوانح : جمع سانح وأصله من الطير مامر من مياسرك إلى ميامنك ، وقوله « لاتكبوا » معناه لاتسقط ولا تعيا ، ويروى فى مكانه « لاتبؤ » ومعناه لا ترجع ، والبوارح : جمع بارح ، وهو من الطير مامر من ميامنك إلى مياسرك ، وكانوا يتيامنون بالسوانح ويتشاءمون بالبوارح ، وأراد هنا الخيل تحدق بهم وتجيئهم من كل جهة

(٣) عوابس : جمع عابس ، وهو الذى انقبضت شفاهه فظهرت أسنانه

(٤) أثكلناك : يريد أفقدناك ، والثكل : الفقد ، وسلمى : منادى

(٥) مسومات : أراد بها الخيل ، من التسويم وهو التعليم بعلامة ، أو هو الارسال ، والكلام ـ بكسر الكاف ـ جمع كلم ، وهو الجرح

وَغَزْوَةَ خَالِدٍ شَهِدَتْ وَجَرَّتْ سَنَابِكَهُنَّ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ (١)
نُعَرِّضُ لِلطِّعَانِ إِذَا الْتَقَيْنَا وُجُوهًا لَا تُعَرَّضُ لِلطِّثَامِ
[وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّى ثِيَابِي إِذَا هَزَّ الْكُمَاةُ وَلَا أُرَامِي (٢)
وَلَكِنِّى يَجُولُ الْمُهْرُ تَحْتِي إِلَى الْعَلَوَاتِ بِالْعَضْبِ الْحُسَامِ]

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهرى ، عن ابن أبى حَدْرَد الأسلمى ، قال : كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد ، فقال لى فتى من بنى جذيمة — وهو فى سنى ، وقد جُمِعَتْ يداه إلى عنقه برُمَّةٍ ، ونِسْوَةٌ مجتمعات غيرَ بعيد منه — : يافتى ، قلت : ماتشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة ثم تردنى بعد فتصنعوا بى ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليَسيرٌ ما طلبت ، فأخذت برُمَّته فقُدْته بها حتى أوقفته عليهن ، فقال : اسْلَمِى حُبَيْش ، على نَفَدٍ [من] العيش

أَرَيْتُكِ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ
بِحَلْيَةَ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ (٣)
أَلَمْ يَكُ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ
تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ (٤)

---

(١) السنابك : جمع سنبك ، وهو مقدم طرف الحافر ، وقوله « بالبلد الحرام » يريد به مكة ، ووقع فى نسخة « بالبلد التهام »

(٢) سقط هذا البيت والذى بعده من أكثر نسخ الأصل

(٣) حلية والخوانق : اسما موضعين

(٤) الادلاج : مصدر أدلج ، إذا سار من أول الليل ، والوداثق :

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا
أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ (١)

أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى
وَيَنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ (٢)

فَإِنِّي لَاضَيَّعْتُ سِرَّ أَمَانَةٍ
وَلَارَاقَ عَيْنِي عَنْكِ بَعْدَكِ رَائِقُ (٣)

سِوَى أَنَّ مَانَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ
عَنِ الْوُدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامُقُ (٤)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الأخيرين منهما له .

قال ابن إسحق . وحدثني يعقوب بن عتبة [بن المغيرة بن الأخنس] ، عن الزهرى ، عن ابن أبى حَدْرَدٍ الأسلمى ، قالت : وأنتَ فَحُيِّيتَ سَبْعاً وَعَشْراً وَتْراً ، وَثَمَانِياً تَتْرَى (٥) ، قال : ثم انْصَرَفْتُ به ، فضربت عنقه

قال ابن إسحق : فحدثنى أبو فِرَاس بن أبى سُنْبُلَةَ الأسلمى ، عن

جمع وديقة ، وهى شدة الحر ، وأراد بالادلاج ههنا مجرد السير ، والسرى : أصله السير ليلا ، فأراد منه ههنا الليل ، يقول : تكلفت السير فى الليل وفى شدة الحر

(١) الصفائق : أراد بها النوائب

(٢) تشحط : تبعد ، وينأى : يبعد أيضا

(٣) راق : أعجب ، يريد لم يعجبنى بعدك أحد

(٤) التوامق : الحب

(٥) ثمانيا تترى : أى تتوالى

أشياخ منهم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه فأكبّتْ عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده

قال ابن إسحق : وقال رجل من بنى جَذيمة : —

جزَى الله عَنَّا مُدْلِجًا حَيثُ أَصبَحَتْ
جزَاءةَ بُؤْسَى حَيْثُ سارَتْ وَحلَّتِ

أقَامُوا عَلَى أَقضَاضِنَا يَقْسِمُونَهَا
وَقَدْ نَهِلَتْ فِينَا الرِّمَاحُ وَعَلَّتِ (١)

فَوَاللهِ لَوْلاَ دِينُ آلِ مُحَمَّد
لَقَدْ هَرَبَتْ مِنْهُمْ خُيُولٌ فَشُلَّتِ (٢)

وَمَا ضَرَّهُمْ أنْ لاَ يُعِينُوا كَتِيبَةً
كَرِجْلِ جَرَادٍ أُرْسِلَتْ فَاشْمَعَلَّتِ (٣)

فَإِمَّا يُنِيبُوا أَوْ يَثُوبُوا لِأَمْرِهِمْ
فَلاَ نَحْنُ نَجْزِيهِمْ بِمَا قَدْ أَضَلَّتِ (٤)

فأجابه وَهْبٌ ، رجل من بنى ليث ، فقال : —

دَعَوْنَا إلىَ الْإِسْلاَمِ وَالْحَقِّ عَامِرًا
فَمَا ذَنْبُنَا فِى عَامِرٍ إذْ تَوَلَّتِ

(١) الأقضاض : جمع قض ، وأراد به ههنا المال المجتمع ؛ وتقول : جاء القوم بقضهم وقضيضهم ، إذا جاءوا بأجمعهم ؛ ونهلت : من النهل ، وهو الشرب الأول ، وعلت : من العلل ، وهو الشرب الثانى

(٢) خيول : يروى فى مكانه « حلول » والحلول : البيوت المجتمعة ، والمراد ههنا أصحابها ؛ وشلت : طردت

(٣) اشمعلت : تفرقت

(٤) يثوبوا : يرجعوا

وَمَا ذَنْبُنَا فِي عَامِرٍ لَا أَبَا لَهُمْ   لَئِنْ سَفِهَتْ أَحْلَامُهُمْ ثُمَّ ضَلَّتِ

وقال رجل من بنى جذيمة : —

لِيَهْنِئْ بَنِي كَعْبٍ مُقَدَّمُ خَالِدٍ   وَأَصْحَابِهِ إِذْ صَبَّحَتْنَا الْكَتَائِبُ

فَلَا تِرَةٌ تَسْعَى بِهَا ابْنَ خُوَيْلِدٍ
وَقَدْ كُنْتَ مَكْفِيًّا لَوَ أَنَّكَ غَائِبُ (١)

فَلَا قَوْمُنَا يَنْهَوْنَ عَنَّا غُوَاتَهُمْ
وَلَا الدَّاءُ مِنْ يَوْمِ الْغُمَيْصَاءِ ذَاهِبُ (٢)

وقال غلام من بنى جذيمة وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهن من جيش خالد : —

رَخِّينَ أَذْيَالَ الْمُرُوطِ وَارْبَعْنْ
مَشْيَ حَيِيَّاتٍ كَأَنْ لَمْ يُفْزَعْنْ (٣)
إِنْ تُمْنَعِ الْيَوْمَ نِسَاءٌ تُمْنَعْنْ

وقال غِلْمَةٌ من بنى جَذيمة يقال لهم بنومساحق يرتجزون ، حين سمعوا بخالد ، فقال أحدهم : —

قَدْ عَلِمَتْ صَفْرَاءُ بَيْضَاءُ الْإِطِلْ   يَحُوزُهَا ذُو ثَلَّةٍ وَذُو إِبِلْ (٤)

---

(١) الترة : العداوة وطلب الثأر

(٢) الغواة : السفهاء ، جمع غوى

(٣) المروط : جمع مرط ، وهو كساء من خز ، وقد يكون من غير خز فى قول بعض أهل اللغة ، واربعن : أقمن على ذلك

(٤) الإطل ـ بكسر الهمزة والطاء ـ ومثله الأيطل : الخاصرة ، والثلة بفتح الثاء المثلثة ـ القطيع من الغنم

لَأُغْنِيَنَّ الْيَوْمَ مَا أَغْنَى رَجُلْ

وقال الآخر : —

قَدْ عَلِمَتْ صَفْرَاءُ تُلْهِي الْعُرْسَا ... لَا تَمْلَأُ الْحَيْزُومَ مِنْهَا نَهْسَا (١)

لَأَضْرِبَنَّ الْيَوْمَ ضَرْبًا وَعْسَا ... ضَرْبَ الْمُحِلِّينَ مَخَاضًا قُعْسَا (٢)

وقال الآخر :—

أَقْسَمْتُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لِبْدَهْ ... شَثْنُ الْبَنَانِ فِي غَدَاةٍ بَرْدَهْ (٣)

جَهْمُ الْمُحَيَّا ذُوسِبَالٍ وَرْدَهْ ... يُرْزِمُ بَيْنَ أَيْكَةٍ وَجَحْدَهْ (٤)

ضَارٍ بِتَأْكَالِ الرِّجَالِ وَحْدَهْ ... بِأَصْدَقَ الْغَدَاةَ مِنِّي نَجْدَهْ (٥)

---

(١) الحيزوم : أسفل عظام الصدر ، وهومايقع عليهالحزام ، وأراد به بطنها ، والنهس : أكل اللحم بمقدم الأسنان ، يريد أنها قليلة الأكل

(٢) ضرباوعسا : أىسريعا ، والمواعسة : السرعةفىالشيء ، والمحلون : هم الذين خرجوا من الحرام إلىالحل ، والمخاض : الابلالحوامل ، والقعس : التى تتأخر وتأبى أن تمشى

(٣) الخادر : الأسد الداخل فى الخدر ، والخدر : الأجمة التى يسكنها الأسد ، واللبدة : الشعر الذى يكون فوق كتفيه ، وشثن : غليظ ، والبنان : الأصابع ، وفى غداة بردة : أى باردة

(٤) جهم : أى عابس ، والمحيا : الوجه ، وقوله « ذو شبال » يروى بالسين المهملة وبالشينالمعجمة ، فأمامنرواه بالمهملةفالسبال - بزنة كتاب - الشعر الذى حول فمه ، وأمامنرواه بالشين معجمةفهوجمع شبل ، والشبل : ولد الأسد ، وقوله « يرزم » أى يصوت ، والأيكة : الشجرة الكثيرة الأغصان ، والجحدة : القليلة الورق والأغصان

(٥)ضار : أىمسعور، والتأكال : الأكل،والباءللسببية،والنجدة : الشجاعة

مسير خالد بن الوليد لِيَهْدِمَ العُزَّى

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزَّى ، وكانت بنخلة [١] وكانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها ، وكانت سَدَنَتَهَا [٢] وحُجَّابها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السُّلَمِيُّ بمسير خالد إليها علَّقَ عليها سيفه وأَسْنَدَ في الجبل [٣] الذى هى فيه ، وهو يقول : —

أَياعُزَّ شُدِّى شَدَّةً لاشَوَى لَهَا
عَلَى خَالِدٍ ، أَلْقِى الْقِنَاعَ وَشَمِّرِى [٤]

يَاعُزَّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِى الْمَرْءَ خَالِداً
فَبُوئِى بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنَصَّرِى [٥]

فلما انتهى إليها خالد هدَمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

رسول الله يقصر الصلاة اقامته بمكة

قال ابن إسحق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يَقْصُرُ الصلاة

---

(١) نخلة : اسم موضع ، وانظر للكلام على العزى (ج ١ ص ٨٧ ومابعدها من هذا الكتاب)

(٢) سدنتها : جمع سادن ، وهو خادم بيت العبادة

(٣) أسند فى الجبل : ارتفع وعلا فيه

(٤) لاشوى لها : يريد لاتبق على شىء

(٥) بوئى : ارجعى ، وقوله « تنصرى » يروى فى مكانه « تنظرى » بالظاء المعجمة

قال ابن إسحق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ فى سنة ثمان ، بعد الفتح

من حضر حنينا من قبائل هوزان

قال ابن إسحق : ولما سمعت هوَازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جَمعَهَا مالكُ بن عَوْف النَّصْرِىُّ ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيفٌ كلها ، واجتمعت نَصْرٌ وجُشَم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عَيْلاَن إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جُشَم دُرَيْدُ بن الصِّمَّة شيخ كبير ليس فيه شىء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مُجرَّبا ، وفى ثقيف سَيِّدَان لهم : فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعَتِّب ، وفى بنى مالك ذُو الخِمار سبيع بن الحرث بن مالك وأخوه أحمر بن الحرث ، وجماع أمر الناس إلى مالك ابن عوف النصرى

مقالة دريد ابن الصمة ونصيحته

فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حَطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأَوْطَاسَ [1] اجتمع إليه الناس وفيهم دُرَيْدُ ابن الصِّمَّة فى شجار له [2] يُقَاد به ، فلما نزل قال : بأىِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا :

---

(١) أوطاس ـ بفتح الهمزة وسكون الواو بعدها طاء مهملة ـ قال ياقوت : « واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين للنبى صلى الله عليه وسلم ببنى هوازن ، ويومئذ قال النبى : حمى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهو صلى الله عليه وسلم أول من قاله » اه

(٢) الشجار ـ بزنة كتاب ـ شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى

بأَوْطَاسٍ ، قال : نِعْمَ مَجَالُ الخيل ،لاحَزْنٌ ضَرِسٌ ، ولاسَهْلٌ دَهِس[1] مالى أسمع رُغَاءالبعير ونُهَاق الحمير وبُكَاءالصغير ويُعَار الشَّاء[2] ؟ قالوا : ساق مالكُ بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، قال : أين مالك ؟ قيل : هذامالك ، ودعى له ، فقال: يامالك، إنك قدأصبحت رئيس قومك ، و إن هذايوم كائن له مابعده من الأيام ، مالى أسمع رُغَاء البعير ونُهَاق الحمير وبُكَاءالصغير ويُعَارالشاء ؟[2] قال : سُقْتُ مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال : ولِمَ ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم ، قال : فانْقَضَّ به[3] ، ثم قال : راعى ضأن والله ، وهل يَرُدُّ المنهزمَ شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، و إن كانت عليك فُضِحْتَ فى أهلك ومالك ، ثم قال : مافعلت كعب وكلاب؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الْحَدّ[4] وَالْجِدُّ ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، وَلَوَدِدْتُ أنكم فعلتم مافعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر ، قال : ذانك الْجَذَعَان[5] من عامر لاينفعان ولايضران ، يامالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة[6] بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا ،ارفعهم إلى مُتَمَنَّع بلادهم وعُلْيَا

---

(١) الحزن : المرتفع الغايظ من الأرض ، والضرس : الذى فيه حجارة محددة ، والسهل : المطمئن من الأرض ، والدهس : اللين الكثير التراب

(٢) يعار الشاء : صوتها

(٣) انقض به : زجره كما تزجر الدابة

(٤) الحد : يريد الشجاعة والحدة

(٥) الجذعان : يريد أنهما ضعيفان ؛ بمنزلة الجذع فى سنه

(٦) البيضة : جماعة القوم وأصلهم

قومهم ، ثم الْقَ الصُّبَّاء [1] على مُتُون الخيل ؛ فإن كانت لك لحق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك ألْفاكَ ذلك وقد أحْرَزْتَ أهلك ومالك ، قال : لا والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك ، والله لَتُطِيعُنَّنِي يامعشر هوازن أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ، وكره أن يكون لِدُرَيْد بن الصِّمَّة فيها ذكر ، أو رأى ، قالوا : أطعناك ، فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ولم يَفُتْنِى :

يَالَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ [2]
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعْ [3]

قال ابن هشام : أنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله : —

* يَالَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ *

قال ابن إسحق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شُدُّوا شَدَّةَ رجل واحد

الملائكة تهزم هوازن

قال : وحدثنى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث أن مالك بن

---

(١) الصباء : جمع صابىء ، وكانوا يسمون المسلمين صباء

(٢) ياليتنى فيها جذع : يتمنى أن يكون فى هذه الحرب شابا لم تحطمه الأيام ، وأخب : من الخبب ، وأضع : من الوضع ، والخبب والوضع : ضربان من السير

(٣) الوطفاء : الطويلة الشعر ، والزمع : الشعر الذى فوق مربط قيد الدابة ، يريد فرسا هذه صفتها ، والشاة ههنا : الوعل (وهو تيس الجبل) ، وصدع : وسط بين العظيم والحقير ، قاله أبوذر ، وقال المجد : « والصدع - محركة - من الأوعال والظباء والحمر والابل : الفتى الشاب القوى ، و تسكن الدال ، أو هو الشىء بين الشيئين من أى نوع كان ، بين الطويل والقصير ، والفتى والمسن ، والسمين والمهزول ، والعظيم والصغير » اه

عوف بعث عيونا من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم!! ماشأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجالا بيضاً على خيل بُلْقٍ ، فوالله ماتماسكنا أن أصابنا ماترى ، فوالله ماردّه ذلك عن وجهه أن مضى على مايريد

علم النبي بتهيؤ هوازن

قال ابن إسحق : ولما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر [فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فأخبره الخبر ، فقال عمر : كذب ابنُ أبي حَدْرَد ، فقال ابن أبي حدرد : إنْ كذّبتني فربما كذبت بالحق ياعمر فقد كذبت من هو خير مني ، فقال عمر : يارسول الله ، ألا تسمع مايقول ابن أبي حدرد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَدْ كُنْتَ ضَالاً فَهَدَاكَ اللهُ يَاعُمَرُ »]

رسول الله يستعير أدراع صفوان ابن أمية

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند صَفْوَان بن أمية أدراعًا وسلاحا ، فأرسل إليه — وهو يومئذ مشرك — فقال : « ياأبا أمية ، أَعِرْنَا سِلاَحَكَ هٰذَا نَلْقَ فيه عدونا غداً » فقال صفوان : أَغَصْبًا يامحمد ؟ قال : « بَلْ عَارِيَةً مَضْمُونَةً حَتَّى نُؤَدِّيَهَا إِلَيْكَ » قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل .

خروج النبي إلى القتال

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة ، فكانوا

اثنى عشر ألفا ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عَتَّاب بن أَسيد ابن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميرًا على من تَخَلَّفَ عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وَجْهه يريد لقاء هوازن ، فقال عَبَّاس بن مِرْداسٍ السُّلَمِيُّ : —

عامل رسول الله على مكة

قصيدة لعباس ابن مرداس

أَصَابَتِ الْعَامَ رِعْلاً غُولُ قَوْمِهِمُ
وَسْطَ الْبُيُوتِ وَلَوْنُ الْغُولِ أَلْوَانُ (١)

يَالَهْفَ أُمِّ كِلاَبٍ إِذْ تُبَيِّتُهُمْ
خَيْلُ ابْنِ هَوْذَةَ لاَ تُنْهَى وَإِنْسَانُ (٢)

لاَ تَلْفِظُوهَا وَشُدُّوا عَقْدَ ذِمَّتِكُمْ
إِنَّ ابْنَ عَمِّكُمُ سَعْدٌ وَدُهْمَانُ (٣)

لَنْ تَرْجِعُوهَا وَإِنْ كَانَتْ مُجَلَّلَةً
مَا دَامَ فِى النَّعَمِ الْمَأْخُوذِ أَلْبَانُ (٤)

شَنْعَاءُ جُلِّلَ مِنْ سَوْآتِهَا حَضَنٌ وَسَالَ ذُوشَوْغَرٍ مِنْهَا وَسُلْوَانُ (٥)

---

(١) رعل : اسم قبيلة ، والغول : أصله فى زعمهم ساحرة الجن ، وأراد منه ههنا الداهية العظيمة ،

(٢) إنسان : قال أبو ذر : « إنسان هنا اسم قبيل فى هوازن » اه ، وبهامش نسخة من الأصول « قوله إنسان هو قبيلة من قيس ثم من بنى نصر ، قاله البرقى » اه

(٣) سعد ودهمان : قبيلتان من هوازن

(٤) مجللة : مغطاة

(٥) حضن : جبل بنجد ، وذوشوغر وسلوان : واديان

لَيْسَتْ بِأَطْيَبَ مِمَّا يَشْتَوِى حَذَفٌ
إِذْ قَالَ كُلْ شِواءَ الْعَيْرِ جَوْفَانُ (١)

وَفِى هَوَازِنَ قَوْمٌ غَيْرَ أَنَّ بِهِمْ دَاءَ الْيَمَانِى فَإِنْ لَمْ يَغْدِرُوا خَانُوا
فِيهِمْ أَخٌ أَوْ وَفَوْا أَوْبَرَّ عَهْدُهُمُ
وَلَوْ نَهَكْنَاهُمُ بِالطَّعْنِ قَدْ لَانُوا (٢)

أَبْلِغْ هَوَازِنَ أَعْلَاهَا وأَسْفَلَهَا مِنِّى رِسَالَةَ نُصْحٍ فِيهِ تِبْيَانُ
أَنِّى أَظُنُّ رَسُولَ اللهِ صَابِحَكُمْ جَيْشاً لَهُ فِى فَضَاءِ الأَرْضِ أَرْكَانُ
فِيهِمْ سُلَيْمٌ أَخُوكُمْ غَيْرَ تَارِكِكُمْ وَالْمُسْلِمُونَ عِبَادُ اللهِ غَسَّانُ
وَفِى عِضَادَتِهِ الْيُمْنَى بَنُو أَسَدٍ وَالأَجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ
تَكَادُ تَرْجُفُ مِنْهُ الأَرْضُ رَهْبَتَهُ وَفِى مُقَدَّمِهِ أَوْسٌ وَعُثْمَانُ

قال ابن إسحق : أوس وعثمان : قبيلا مزينة

قال ابن هشام : من قوله «أَبْلِغْ هَوَازِنَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا » إلى آخرها فى هذا اليوم ، وما قبل ذلك فى غير هذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحق جعلهما واحدة .

ذات أنواط

قال ابن إسحق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان الدؤلى ، عن أبى واقد الليثى ، أن الحرث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنَيْنٍ ، ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال :

(١) حذف : هو اسم رجل ؛ يروى بالحاء المهملة والذال المعجمة ، ويروى بالجيم والدال المهملة ، والعير : يروى فى مكانه « العين » وجوفان : أراد أنه لا يساغ فيبقى البطن معه خاليا

(٢) نهكناهم : أذللناهم وبالغنا فى ضرهم

فسرنا معه إلى حُنَيْن ، قال : وكانت لكفار قريش ومَنْ سواهم من العرب شَجَرَةٌ عظيمة خَضْرَاء يقال لها : ذَاتُ أنْوَاطٍ ؛ يأتونها كل سنة فَيُعَلِّقُون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما ، قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرَةً خَضْرَاءَ عظيمةً ، قال: فتنادينا من جَنَبَاتِ الطريق : يارسول الله ، اجْعَلْ لنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهُ أَكْبَرُ قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ، إِنَّهَا السُّنَنُ ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ »

هزيمة الناس

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادىَ حُنَيْن انْحَدَرْنَا فى واد من أودية تِهَامَةَ أَجْوَفَ ذى خُطُوط [(١)] إنما نَنْحَدِرُ فيه انْحِدَاراً ، قال : وكان فى عَمَايَة الصبح [(٢)] وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى ، فَكَمَنُوا لنا فى شعابه وأحنائه [(٣)] ومضايقه ، وقد أجمعوا وتَهَيَّؤُا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن مُنْحَطُّون إلا الكتائب قد شَدُّوا علينا شَدَّةَ رجل واحد ، وانْشَمَرَ الناس [(٤)] راجعين لا يَلْوى أحد على أحد ،

---

(١) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز ، وأجوف : أى متسع ، وقوله « ذى خطوط » هو هكذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها الآخر «حطوط» بحذف كلمة ذى وبالحاء المهملة ، وهو المنحدر، ولعل هذه الرواية أظهر

(٢) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين

(٣) الشعاب : الطرق الخفية ، وأحناؤه : جوانبه

(٤) انشمر الناس : انفضوا وانهزموا

ثبات رسول الله

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : « أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمُّوا إِلَيَّ ، أَنَا رَسُولُ اللهِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله » قال : فلاشيء ، حملت الابل بعضها على بعض ، فانطلق الناس، إلا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحرث وابنه والفضل بن العباس وربيعة بن الحرث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد ، قتل يومئذ

قال ابن هشام : اسم ابن أبى سفيان بن الحرث جَعْفَرٌ ، واسم أبى سفيان المغيرة ، وبعض الناس يَعُدّ فيهم قُثَمَ بن العباس ، ولا يعد ابن أبى سفيان

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء فى رأس رُمْح له طويل أمام هوازن ، وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه و إذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه ، فاتبعوه

شماتة أهل مكة بالنبي وأصحابه

قال ابن إسحق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفَاة أهل مكة الهزيمة تَكَلَّمَ رجالٌ منهم بما فى أنفسهم من الضِّغْنِ [1] ، فقال أبو سفيان بن حرب : لاتنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام [2] لمعه فى كنانته ، وصرخ جَبَلَةُ بن الْحَنْبَل (قال ابن هشام : كَلَدَةُ بن الْحَنْبَل ، وهو مع أخيه صَفْوَانَ بن أمية مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم) : أَلَا بَطَلَ السِّحْرُ الْيَوْمَ ، فقال له صفوان :

---

(١) الضغن ـ بكسر فسكون ـ العداوة

(٢) الأزلام : السهام التى يستقسمون بها

اسْكُتْ فَضَّ[1] اللهُ فَاكَ ، فَوَاللهِ لَأَن يَرُبَّنِي[2] رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ مِنْ هَوَازِن

[قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت يهجو كَلَدَة : —

رَأَيْتُ سَوَادًا مِنْ بَعِيدٍ فَرَاعَنِي أَبُو حَنْبَلٍ يَنْزُو عَلَى أُمِّ حَنْبَلِ

كَأَنَّ الَّذِي يَنْزُو بِهِ فَوْقَ بَطْنِهَا ذِرَاعُ قَلُوصٍ مِنْ نَتَاجِ ابْنِ عَزْهَلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صَفْوَان بن أمية ، وكان أخا كلدة لأمه[3]]

شيبة بن عثمان يهم بقتل النبي

قال ابن إسحق : وقال شَيْبَة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدرك ثأري ، وكان أبوه قتل يوم أحد ، اليومَ أَقْتُلُ محمداً ، قال : فأدرت برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله ، فأقبل شيء حتى تَغَشَّى فؤادي ، فلم أطق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع مني

قال ابن إسحق : وحدثني بعض أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — حين فَصَلَ من مكة إلى حُنَيْن ورأى كثرة من معه من جنود الله — : « لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ »

قال ابن إسحق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بني بكر قالها

قال ابن إسحق : فحدثني الزهري ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه

---

(١) فض الله فاه : أي كسر أسنانه

(٢) يربني : يكون لي ربا : أي ملكا علي

(٣) سقطت عبارة ابن هشام كلها من بعض نسخ الأصل ، وبيتا حسان ليس لهما ذكر في نسخة أبي ذر ، فلعل هذه العبارة قد سقطت كلها من نسخته أيضاً

العباس بن عبد المطلب ، قال : إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحكمة بغلته البيضاء ، قد شجرتها بها ، قال : وكنت امرأً جسيما شديد الصوت ، قال : ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول — حين رأى ما رأى من الناس — : « أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ » ؟ فلم أر الناس يَلْوُونَ على شىء ، فقال : « ياعَبَّاسُ اصْرُخْ يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ » قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ، قال : فيذهب الرجل لِيَثْنِىَ بعيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعَه فيقذفها فى عنقه ويأخذ سيفه وتُرْسَه ، ويقتحم عن بعيره ، ويخلِّى سبيله ، فيؤمُّ الصوتَ ، حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

رجوع الناس بنداء العباس بأمر النبي

حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدعوى أول ما كانت : ياللأنصار ، ثم خلصت أخيراً : ياَلَلْخَزْرج ، وكانوا صُبُرّاً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه ، فنظر إلى مُجْتَلَدِ [1] القوم وهم يجتلدون ، فقال : « الْآنَ حَمِىَ الْوَطِيسُ [2] »

اشتداد الحرب

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هَوَازِن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذْ هَوَى [3] له على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه علىٌّ بن

---

(١) مجتلد القوم : المكان الذى يتجالدون فيه ، يريد موقع الحرب الذى يظهر فيه كل فريق جلده

(٢) أصل الوطيس فى اللغة : التنور ، وأراد منه ههنا الحرب نفسها

(٣) هوى له : تقول : هوى إليه ، وهوى له ، وأهوى إليه ، تريد مال نحوه ، وفى القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه السلام : (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم)

أبى طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبى الجمل فوقع على عجزه [١] ، ووثب الأنصارىّ على الرجل فضربه ضربة أطنّ قدمه [٢] بنصف ساقه ، فانجعف [٣] عن رَحْله ؛ قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مُكَتَّفين عند رسول الله صلى الله عليه وَسلم

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الاسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَرِ بغلته ، فقال : « مَنْ هٰذَا » ؟ قال : أنا ابن أمك يارسول الله [٤]

شأن أم سليم

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أمّ سليم ابنة مِلْحَان ، وكانت مع زوجها أبى طلحة ، وهى حازمةٌ وسطَهَا ببُرْدٍ لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جمل أبى طلحة ، وقد خشيت أن يَعُزَّها الجملُ فأَدْنَتْ رأسه منها فأدخلت يدها فى خِزَامته [٥] مع الخطام ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمُّ سُلَيم » قالت : نعم بأبى أنت وأمى يارسول الله اقْتُلْ

---

(١) على عجزه : أى على مؤخره

(٢) أطن قدمه : أى أطارها حتى سمع لضربته طنين : أى صوت ودوى

(٣) انجعف : سقط وذهبت فائدته وثمرته ، وتقول : انجعفت الشجرة إذا سقطت من أصلها

(٤) إنما هو « أنا ابن عمك » ولكنه أراد أن يتقرب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالأم ههنا الجدة

(٥) الخزامة ـ بكسر الخاء المعجمة ـ حلقة تصنع من شعر وتجعل فى أنف البعير

هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فانهم لذلك أهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوْ يَكْفِي اللهُ يَاأُمَّ سُلَيم » قال : ومعها [١] خَنْجَرٌ ، فقال لها أبو طلحة : ماهذا الخنجر معك ياأم سليم ؟ قالت : خِنْجَر أخذته إن دنا منى أحد من المشركين بَعَجْتُه [٢] به ، قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع يارسول الله ماتقول أم سليم الرُّمَيْصَاء [٣]

قال ابن إسحق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وَجَّه إلى حُنَيْن قد ضَمَّ بنى سليم إلى الضَّحَّاك بن سفيان الكلابى ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه : —

أَقْدِمْ مُحَاجُ إِنَّهُ يَوْمٌ نُكُرْ
مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَحْمِي وَيَكُرْ [٤]
إذا أُضِيعَ الصَّفُّ يَوْمًا وَالدُّبُرْ
ثُمَّ احْزَأَلَّتْ زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرْ [٥]

---

(١) الخنجر ـ بفتح الخاء المعجمة أو كسرها ـ السكين ، ويقال للناقة الغزيرة اللبن : خنجر ـ بفتح الخاء المعجمة ليس غير ـ وخنجور

(٢) بعجته به : أى شققت بطنه ، وتقول : بعج فلان بطن فلان ؛ إذا شقه

(٣) الرميصاء : مصغر الرمصاء ، وفى بعض النسخ « الرمصاء » مكبرا ، والرمصاء : التى يخرج القذى من عينها ، تقول : رمصت العين ترمص ـ من باب فرح ـ إذا أخرجت القذى

(٤) محاج ـ بزنة غراب ـ اسم فرس مالك ، و « يوم نكر » بضم النون والكاف ـ شديد ، ينكر فيه الناس بعضهم بعضا

(٥) احزألت : ارتفعت ، وأراد فرت ، والزمر ـ بضم الزاى وفتح الميم ـ جمع زمرة ، وهى الجماعة من الناس

كَتَائِبٌ يَــكِلُّ فِيهِنَّ الْبَصَرْ   قَدْ أَطْعُنُ الطَّعْنَةَ تَقْذِى بِالسُّبُرْ (١)

حِينَ يُذَمُّ الْمُسْتَـكِينُ الْمُنْجَحِرْ   وَأَطْعُنُ النَّجْلاَءَ تَعْوِى وَتَهِرْ (٢)

لَهَا مِنَ الْجَوْفِ رَشَاشٌ مُنْهَمِرْ   تَفْهَقُ تَارَاتٍ وَحِينًا تَنْفَجِرْ (٣)

وَثَعْلَبُ الْعَامِلِ فِيهَا مُنْكَسِرْ   يَازَيْدُ يَاابْنَ هَمْهَمٍ أَيْنَ تَفِرْ (٤)

قَدْ نَفِدَ الضِّرْسُ وَقَدْ طَالَ الْعُمُرْ   قَدْ عَلِمَ الْبِيضُ الطَّوِيلاَتُ الْخُمُرْ (٥)

أَنِّى فِى أَمْثَالِهَا غَيْرُ غَمِرْ   إِذْ تَخْرُجُ الْحَاضِنُ مِنْ تَحْتِ السُّتُرْ (٦)

وقال مالك بن عوف أيضا : —

---

(١) كتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الجيش ، و « يكل فيهن البصر » أى : يعيا ، وأراد أنها كثيرة العدد ، فلو نظر إليها ناظر ليتعرف عددها تعب بصره ، والسبر - بضم السين والباء جميعا - جمع سبار - بزنة كتاب وكتب : وهو مايسبر به غور الجرح ليعرف أغائر هو أم غير غائر ، ويقال : سبار ومسبار

(٢) المستكين : الذليل ، والمنجحر : أراد به المتباعد المتخذ لنفسه موئلا ، والنجلاء : الطعنة الواسعة ، وقوله « تعوى وتهر » أراد أنه يسمع لها صوت كالعواء والهرير

(٣) الجوف : الباطن ، يريد أن طعنته تصل إلى جوف المطعون ، ورشاش : أراد به الدم ، ومنهمر : منصب ، وتفهق : تنفتح ، وتنفجر : يسيل منها الدماء

(٤) الثعلب : مادخل فى السنان من عصا الرمح ، والعامل : أعلى الرمح

(٥) نفد : فنى ، والبيض : جمع بيضاء ، والخمر : جمع خمار ، وهو بزنة كتب وكتاب ، وهو ماتستر به المرأة وجهها

(٦) الغمر : الرجل الذى لم يجرب الأمور ، والحاضن : أراد به المرأة التى تحضن ولدها ، والستر : جمع ستار

أَقْدِمْ مُحَاجُ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَهْ وَلاَ تَغُرَّنَّكَ رِجْلٌ نَادِرَهْ (١)

شأن أبي قتادة وسلبه

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف فى غير هذااليوم

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حُدِّث عن أبى قتادة الأنصارى ، وحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بنى غفار أبى محمد ، عن أبى قتادة ، قال : قال أبو قتادة : رأيت يوم حُنَيْن رجلين يقتتلان مسلماً ومشركا ، قال : و إذا رجل من المشركين يريدأن يعين صاحبه المشرك على المسلم ، قال : فأتيته فضربت يده فقطعتها ، واعتنقنى بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم (ويروى ريح الموت فيما قال ابن هشام) وكاد يقتلنى ، فلولا أن الدم نزفه (٢) لقتلنى ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضنى (٣) عنه القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه فلما وَضَعَت الحرب أوزارها (٤) وفرغنا من القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ » فقلت : يارسول الله ، والله لقد قتلت قتيلا ذا سَلَب فأجهضنى عنه القتال ، فما أدرى من استلبه ، فقال رجل من أهل مكة : صدق يارسول الله ، وسَلَبُ ذلك القتيل عندى ، فأرضه عنى من سلبه ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لاوالله لا يرضيه منه ، تَعْمِدُ إلى أسدٍ من أسُد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه ، اردد

---

(١) الأساورة : جمع أسوار ، وهو الرامى من القوس ، ونادرة : اى قد انقطعت وبعدت

(٢) يقال: نزفه الدم ، إذا سال منه حتى يضعفه فيشرف منه على الموت أو يموت

(٣) أجهضنى عنه القتال : شغلنى وضيق على ، وأنسانى أمره

(٤) الأوزار : جمع وزر ، وهو الحمل الثقيل ، يريد أثقال الحرب ، وعنى بأثقالها متاعبها ومشاغلها ، على سبيل الاستعارة

عليه سَلَبَ قتيله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صَدَقَ ارْدُدْ عَلَيْهِ سَلَبَه» فقال أبوقتادة : فأخذته منه فبعته فاشتريت بثمنه مَخْرَفاً [١] فانه لأولُ مال اعتقدته [٢]

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أبى سلمة ، عن إسحق ابن عبد الله بن أبى طلحه ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حُنَيْن وَحْدَه عشرين رجلا

نصرة الملائكة للمسلمين

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسحقُ بن يسار ؛ عن جبير بن مطعم قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناسُ يقتتلون مثلَ الْبِجَاد الأسود [٣] أقْبَلَ من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت فاذا نَمْلٌ أسود مبثوث [٤] قد ملأ الوادى ، لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم

هزيمة المشركين

قال ابن إسحق : ولما هزم الله المشركين من أهل حُنَين وأمكن رسوله صلى الله عليه وسلم منهم قالت امرأة من المسلمين : —

قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ اللهِ خَيْلَ اللاَّتْ ... وَاللهُ أحَقُّ بِالثَّبَاتْ

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالرواية للشعر : —

غَلَبْتِ خَيْلَ اللهِ خَيْلَ اللاَّتِ ... وَخَيْلُهُ أحَقُّ بِالثَّبَاتِ

قال ابن إسحق : فلما انهزمت هوازن استَحَرَّ [٥] القتلُ من ثقيف فى بنى مالك ، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله

---

(١) مخرفا : يريد به نخلا ، وإنما سماه مخرفا لأنه يخترف ثمره : أى يجنى
(٢) أول مال اعتقدته : أى اتخذته عقدة ، والعقدة : الضيعة
(٣) البجاد ـ بزنة كتاب ـ الكساء
(٤) مبثوث : متفرق منتشر
(٥) استحر القتل : اشتد وقوى

ابن ربيعة بن الحرث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخِمَار ، فلما قُتِل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قتل

قال ابن إسحق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله قال : « أَبْعَدَهُ اللهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُبْغِضُ قُرَيْشًا » .

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه قُتِلَ مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانى أغرل [١] قال : فبينا رجل من الأنصار يَسْلُب قَتْلى ثقيف إذ كَشَفَ العبد يسلبه ، فوجده أغرل ، قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب ، يعلم الله أن ثقيفا غُرْلٌ ، قال المغيرة ابن شعبة: فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنّا فى العرب ، فقلت: لا تقل ذاك فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى ، قال: ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختَتَنين كما ترى .

قال ابن إسحق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من بنى غِيَرَةَ يقال له وَهْبٌ ، وآخر من بنى كُنَّة [٢] يقال له الجُلَاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – حين بلغه قتل الجلاح – : « قُتِلَ اليَوْمَ سَيِّدُ شَبَابِ ثَقِيفٍ إلاَّ مَا كَانَ مِنَ ابْنِ هُنَيْدَةَ » يعنى بابن هنيدة الحرث بن أويس

---

(١) أغرل : أى غير مختتن ، والغرلة : هى الجلدة التى يقطعها الخاتن

(٢) من بنى كنة : قال أبو ذر : « كذا وقع هنا بالنون ، ورواه الخشنى كبة بالباء بواحدة من أسفل ، وهو الصواب » اه

فقال عباس بن مِرْدَاس السُّلَمى يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبسه قومه للموت : —

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ غَيْلاَنَ عَنِّى ... وَسَوْفَ إِخَالُ يَأْتِيهِ الْخَبِيرُ

وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أُهْدِى جَوَاباً ... وَقَوْلاً غَيْرَ قَوْلِكُمَا يَسِيرُ

بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدٌ رَسُولٌ ... لِرَبٍّ لاَ يَضِلُّ وَلاَ يَجُورُ

وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى ... فَكُلُّ فَتًى يُخَايِرُهُ مَخِيرُ (١)

وَبِئْسَ الْأَمْرُ أَمْرُ بَنِى قَسِىٍّ ... بِوَجٍّ إِذْ تُقُسِّمَتِ الْأُمُورُ (٢)

أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ ... أَمِيرٌ وَالدَّوَائِرُ قَدْ تَدُورُ

فَجِئْنَا أُسْدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ ... جُنُودُ اللهِ ضَاحِيَةً تَسِيرُ (٣)

نَؤُمُّ الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِى قَسِىٍّ ... عَلَى حَنَقٍ نَكَادُ لَهُ نَطِيرُ (٤)

---

(١) يخايره : يغالبه فى الخير ، أى يقول له : أنا خير منك ، ومخير : اسم مفعول ، من خاره يخيره ، إذا غلبه فى الخير ، وتقول : خايرته نخرته أخيره : أى غالبته فى الخير فغلبته

(٢) قسى : اسم ثقيف ، ووج ـ بتشديد الجيم ـ اسم موضع

(٣) غابات : جمع غابة ، وهى مكان الأسد ، وضاحية : معناه بارزة لا يخفى مكانها ، وأصل معناه بارزة للشمس ، ومنه قوله تعالى : (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) والظاهر أنه لم يرد فى البيت ذلك المعنى ، وإنما أراد مجرد البروز الدال على الظهور ، وانتصاب ضاحية على أنه حال من الضمير المستتر فى « تسير » أو من جنود الله عند سيبويه .

(٤) نؤم : نقصد ، وبنو قسى : سبق أن المراد به ثقيف لأن هذا اسمهم ، والحنق ـ بفتح الحاء المهملة والنون ـ الغضب .

وَأُقْسِمُ لَوْ هُمُو مَكَثُوا لَسِرْنَا إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا (١)
فَكُنَّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حَتَّى أَبَحْنَاهُمْ وَأَسْلَمَتِ النُّصُورُ (٢)
وَيَوْمٌ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ فَأَقْلَعَ وَالدِّمَاءُ بِهِ تَمُورُ (٣)
مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ
قَتَلْنَا فِي الْغُبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ (٤)
وَلَمْ يَكُ ذُو الْخِمَارِ رَئِيسَ قَوْمٍ لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاتِبُ أَوْ نَكِيرُ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ الْمَنَايَا وَقَدْ بَانَتْ لِمُبْصِرِهَا الْأُمُورُ (٥)
فَأَفْلَتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضًا وَقُتِّلَ مِنْهُمُ بَشَرٌ كَثِيرُ (٦)
وَلَا يُغْنِي الْأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي وَلَا الْغَلِقُ الصُّرَيِّرَةُ الْحَصُورُ (٧)
أَحَانَهُمُ وَحَانَ وَمَلَّكُوهُ أُمُورَهُمُ وَأَفْلَتَتِ الصُّقُورُ (٨)

---

(١) لم يغوروا : لم يذهبوا ، وأصل غار بمعنى أتى الغور .

(٢) لية ـ بكسر اللام وتشديد الياء المثناة ـ اسم موضع .

(٣) تمور : تسيل .

(٤) بنى حطيط : هو بضم الحاء المهملة وفتح الطاء المهملة أيضا ، ويروى بالخاء المعجمة ، وزور : مائلة .

(٥) سنن المنايا ـ بفتح السين والنون جميعاً ـ طريقها .

(٦) الجريض : المختنق بريقه .

(٧) التوانى : الفتور فى الأمر ، والغلق : الكثير الحرج ، كأنه تنغلق عليه الأمور وتوصد أبوابها فى وجهه ، والصريرة ـ بتشديد الياء ـ تصغير صرورة ، والصرورة : الذى لا يأتى النساء ، وهو فى الاسلام الذى لم يحج ، والحصور : العيى .

(٨) أحانهم : أهلكهم ، وحان : هلك ، يريد أنه عرضهم للهلاك وهلك معهم .

بَنُوعَوْفٍ تَمِيحُ بِهِم جِيَادٌ أُهِينَ لَهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّعِيرُ (١)
فَلَوْلاَ قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ تُقُسِّمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقُصُورُ
وَلٰكِنَّ الرِّيَاسَةَ عُمِّمُوهَا عَلَى يُمْنٍ أَشَارَ بِهِ الْمُشِيرُ (٢)
أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جُدُودٌ وَأَحْلاَمٌ إِلَى عِزٍّ تَصِيرُ
فَإِنْ يُهْدَوْا إِلَى الإِسْلاَمِ يُلْفَوْا أُنُوفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ (٣)
وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا فَهُمُ أَذَانٌ بِحَرْبِ اللهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
كَمَا حَكَّتْ بَنِي سَعْدٍ وَحَرْبٍ بِرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةَ عَنْقَفِيرُ (٤)
كَأَنَّ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ إِلَى الإِسْلاَمِ ضَائِنَةٌ تَخُورُ (٥)
فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ
وَقَدْ بَرَأَتْ مِنَ الإِحَنِ الصُّدُورُ (٦)
كَأَنَّ الْقَوْمَ إِذْ جَاؤُا إِلَيْنَا مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السِّلْمِ عُورُ (٧)

---

(١) تميح بهم : تمشى بهم مشيا حسنا ، والفصافص : جمع فصفصة ، وهى بقلة تأكلها الدواب .

(٢) عمموها : أسندت إليهم وقدموا لها .

(٣) أنوف الناس : سادتهم والمقدمين عليهم ، والسمير : جماعة السمار ، وهم الذين يتحدثون ليلا .

(٤) عنقفير : اسم من أسماء الداهية ، وهو فاعل حكت فى أول البيت

(٥) تخور : تصيح .

(٦) الاحن : جمع إحنة ، وهى الحقد والعداوة والبغضاء ، وفى بعض النسخ « كما سلمت من الترة الصدور » والترة – بكسر التاء وفتح الراء – هنا العداوة .

(٧) عور : جمع أعور ، يريد أنهم ينظرون إليهم بجهة ، وذلك نظر المتكبر

قال ابن هشام : غيلان : غيلان بن سَلَمَةَ الثَّقفى ، وعُرْوَة : عروة بن مسعود الثقفى

قال ابن إسحق : ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأَوْطَاسَ ، وتوجَّه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غِيَرَةَ من ثقيف ، وتبعت خَيْلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا

مقتل دريد ابن الصمة

فأدرك ربيعةُ بن رُفَيْع بن أُهْبَان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمَّال ابن عوف بن امرىء القيس ، وكان يقال له ابن الدُّغُنَّة ، وهى أمه ، فغلبت على اسمه (ويقال : ابن لَذْعَة فيما قال ابن هشام) دُرَيْدَ بن الصمة ، فأخذ جمله ، وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه فى شِجَار له[1] فاذا برجل ، فأناخ به ، فاذا شيخ كبير ، وإذا هو دريد بن الصمة ، ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد: ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعةُ بن رُفَيْع السُّلَمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يُغْنِ [فيه] شَيْئاً ، فقال : بِئْسَ ما سَلَّحَتْكَ أمك ، خذ سيفى هذا من مُؤَخَّرِ الرَّحْلِ ، وكان الرَّحْل فى الشجار ، ثم اضْرِبْ به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فانى كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، فَرُبَّ والله يَوْمٍ قد مَنَعْتُ فيه نساءك ، فزعم بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوقع تكشَّفَ فاذا عِجَانه[2] و بطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل أَعْرَاءً[3] ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثا

---

(١) الشجار ـ بزنة كتاب ـ شبه الهودج . (انظر : ﻫ ٢ ص ٦٥)

(٢) العجان ـ بزنة كتاب ـ ما بين الفرجين .

(٣) أعراء : جمع عر ، وهو هنا الفرس الذى لا سرج له .

فقالت عَمْرَةُ بنت دريد فى قتل ربيعة دريدا : —

عمرة بنت دريد ترثى أباها

لَعَمْرُكَ مَاخَشِيتُ عَلَى دُرَيْدٍ ببَطْنِ سُمَيْرَةٍ جَيْشَ الْعَنَاقِ (١)

جَزَى عَنَّا الْالٰهُ بَنِى سُلَيْمٍ وَعَقَّتْهُمْ بِمَا فَعَلُوا عقَاقِ (٢)

وَأَسقَانَا إِذَا قُدْنَا إِلَيْهِمْ دِمَاءَ خِيَارِهِمْ عِنْدَ التَّلَاقِى

فَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعْتَ عَنْهُمْ وَقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التَّرَاقِى (٣)

وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقْتَ مِنْهُمْ

وَأُخْرَى قَدْ فَكَكْتَ مِنَ الْوَثَاقِ

وَرُبَّ مُنَوِّهٍ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ أَجَبْتَ وَقَدْ دَعَاكَ بِلَارِمَاقِ (٤)

---

(١) سميرة : قال ياقوت : « كأنه تصغير سمرة ، واد قرب حنين قتل فيه دريد بن الصمة ، قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان . . . فقالت عمرة بنت دريد ترثيه وتنعى إلى بنى سليم إحسان دريد إليهم فى الجاهلية . . وذكر الأبيات كما هنا » اه ، وجيش العناق ـ بالعين المهملة والنون الموحدة ـ وأصل العناق ـ كسحاب الأنثى من أولاد المعز ، وهى أيضاً الداهية والأمر الشديد ، فان كان من الأول فالمراد أنها لم تخش عليه هذا الجيش الضعيف ، وإن كان من الثانى فالمراد أنها لم تخش عليه هذا الجيش وإن كان شديداً عظيما لأنها تعلم مقدار صبره فى الحرب وشجاعته وظفره بأعدائه ، وقال أبو ذر : « جيش العناق تعنى به النجيبة » اه وكأن الرواية عنده « العتاق » بكسر العين المهملة وبالتاء المثناة

(٢) عقاق : فعال كقطام من العقوق ، وهو ضد البر ، واستعمال هذه الصيغة فى هذا الموضع نادر

(٣) التراقى : جمع ترقوة ، وهى عظام الصدر

(٤) المنوه : اسم فاعل من نوه ـ بتشديد الواو ـ إذا ناداك نداء ظاهراً

فَكَانَ جَزَاؤُنَا مِنْهُمْ عُقُوقًا

وَهَمًّا مَاعَ مِنْهُ مُخُّ سَاقِى [١]

عَفَتْ آثَارُ خَيلِكَ بَعْدَ أَيْنٍ بِذِى بَقَرٍ إِلَى فِيفِ النُّهَاقِ [٢]

وقالت عمرة بنت دريد أيضاً : —

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيْدًا قُلْتُ قَدْ صَدَقُوا

فَظَلَّ دَمْعِى عَلَى السِّرْبَالِ يَنْحَدِرُ

لَوْ لاَ الَّذِى قَهَرَ الْأَقْوَامَ كُلَّهُمُ

رَأَتْ سُلَيْمٌ وَكَعْبٌ كَيْفَ تَأْتَمِرُ

إِذَنْ لَصَبَّحَهُمْ غِبًّا وَظَاهِرَةً

حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَوَاهُمْ جَحْفَلٌ ذَفِرُ [٣]

قال ابن هشام : ويقال : اسم الذى قتل دريدا عبدالله بن قُنَيْع بن أَهْبَان ابن ثعلبة بن ربيعة .

بأشهر أسمائك ، والرماق ـ بزنة كتاب وسحاب ـ بقية الحياة

(١) ماع : سال ، وكل سائل مائع

(٢) عفت : درست وتغيرت ، وذو بقر : موضع ، ويروى ذو نفر ـ بالنون والفاء ، والفيف : القفر ، والنهاق : موضع

(٣) الغب ـ بكسر الغين المعجمة وتشديد الباء ـ أن ترد الابل يوما وتدعه يوما ، والظاهرة : أن ترده كل يوم ، وقد أرادت أنه يكثر عليهم الغارة ، فضربت ذلك مثلا ، والجحفل : الجيش الكثير ، وذفر : كريه الريح من طول لبس السلاح ، وهو بالذال المعجمة وبالدال المهملة أيضا ، وبهما يروى .

شأن أبي عامر الأشعري

قال ابن إسحق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجَّه قِبَلَ أَوْطَاس أباعامر الأشْعَرِىَّ ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال (١) فرُمِىَ أبو عامر بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم ، فيزعمون أن سَلَمَةَ ابن دُرَيْد هو الذى رمى أبا عامر الأشعرى بسهم فأصاب ركبته فقتله ، فقال:

إِنْ تَسْأَلوا عَنِّى فَإِنِّى سَلَمَهْ ... ابْنُ سَمَادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَهْ (٢)

* أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رُؤُسَ الْمُسْلِمَهْ *

وسمادير : أمه

واستَحرَّ القتل من بنى نصر فى بنى رئاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس — وهو الذى يقال له : ابن العوراء ، وهو أحد بنى وهب بن رئاب — قال : يارسول الله ، هَلَكَتْ بنو رئاب ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللَّهُمَّ اجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ »

شأن مالك ابن عوف

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف فى فوارس من قومه على ثَنِيَّةٍ (٣) من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم و يلحق أُخْراكم ، فوقف هنالك حتى مضى من كان لحق بهم من مُنْهَزِمَةِ الناس ، فقال مالك بن عوف فى ذلك :—

وَلَوْلاَ كَرَّتَانِ عَلَى مُحَاجٍ ... لَضَاقَ عَلَى الْعَضَارِيطِ الطَّرِيقُ (٤)

---

(١) ناوشوه القتال : قال المجد فى القاموس : « المناوشة : المناولة فى القتال » اه ولا شك أن المراد هنا أنهم قاتلوه بعض قتال

(٢) سمادير هنا : اسم أمه كما قال المؤلف ، ولمن توسمه : أى لمن نظر إليه وأراد أن يستدل عليه

(٣) الثنية : موضع مرتفع بين جبلين

(٤) محاج : اسم فرسه ، والعضاريط : الأتباع ، ووقع فى بعض النسخ الأضاريط .

وَلَوْلَا كَرُّ دُهْمَانَ بْنِ نَصْرٍ
لَدَى النَّخْلَاتِ مُنْدَفَعَ الشَّدِيقِ (١)
لَآبَتْ جَعْفَرٌ وَبَنُو هِلَالٍ خَزَايَا مُحْقِبِينَ عَلَى شُقُوقٍ (٢)

قال ابن هشام : هذه الأبيات لمالك بن عوف فى غير هذا اليوم ، ومما يدلك على ذلك قول دريد بن الصمة فى صدر هذا الحديث : مافعلت كعب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يشهدها منهم أحد ، وجعفر : ابن كلاب ، وقال مالك ابن عوف فى هذه الأبيات : « لَآبَتْ جَعْفَرٌ وَبَنُو هِلَالٍ » .

[قال ابن هشام :] وبلغنى أن خيلا طلعت ، ومالك وأصحابه على الثَّنِيَّة ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ فقالوا : نرى قَوْماً واضعى رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بَوَادُّهُمْ (٣) فقال : هؤلاء بنو سليم ، ولا بأس عليكم منهم ، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى قوما عارضى رماحهم أَغْفَالاً (٤) على خيلهم ، فقال : هؤلاء الأَوْسُ والْخَزْرَجُ ، ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا إلى أصل الثَّنِيَّةِ سلكوا طريق بنى سليم ، ثم طلع فارس ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟

---

(١) الشديق : اسم موضع .

(٢) خزايا : جمع خزيان ، ومحقبين : تروى هذه الكلمة بثلاث روايات هذه إحداها ، والمراد مردفين لمن انهزم منهم ، والرواية الثانية « محمقين » وهو من الحمق ، ويقال : أحمقت خيل الرجل ، إذا لم تنجب ، والرواية الثالثة « مجلبين » والمراد بها مجتمعون ، وقوله « على شقوق » أراد على مشقة

(٣) البواد : جمع باد ـ بتشديد الدال ـ وهو لحم الفخذ

(٤) أغفالا : جمع غفل ـ بزنة قفل ـ وهو الذى لا علامة له ، يريد أنهم لم يتخذوا لأنفسهم علامة يعرفون بها

قالوا : نرى فارساً طويل البادّ ، واضعا رمحه على عاتقه[(١)] ، عاصبا رأسه بملاءة حمراء[(٢)] فقال : هذا الزبير بن العوام ، وأحلف باللات ليُخالطنّكم فاثبتُوا له ، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فصَمَدَ لهم[(٣)] فلم يزل يُطَاعنهم حتى أزاحهم[(٤)] عنها

قال ابن إسحق : وقال سلمة بن دريد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسَّيْتِنِي مَا كُنْتِ غَيْرَ مُصَابَةٍ
وَلَقَدْ عَرَفْتِ غَدَاةَ نَعْفِ الْأَظْرُبِ[(٥)]
أَنِّي مَنَعْتُكِ وَالرُّكُوبُ مُحَبَّبٌ
وَمَشَيْتُ خَلْفَكِ مِثْلَ مَشْيِ الْأَنْكَبِ[(٦)]
إِذْ فَرَّ كُلُّ مُهَذَّبٍ ذِي لِمَّةٍ عَنْ أُمِّهِ وَخَلِيلِهِ لَمْ يَعْقُبِ[(٧)]

عود الى شأن أبي عامر الاشعرى

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر [الأشعرى] لقى يوم أوطَاسَ عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه

---

(١) العاتق : ما بين المنكب والعنق

(٢) الملاءة : الملحفة صغيرة كانت أو كبيرة

(٣) صمد لهم : قصد ناحيتهم

(٤) أزاحهم عنها : أزالهم

(٥) النعف : أسفل الجبل ، والأظرب : يحتمل أن يكون اسم موضع ، وأن يكون جمع ظرب ، وهو الجبل الصغير

(٦) الأنكب : المائل إلى جهة

(٧) المهذب : الخالص من العيوب ، أو هو المسرع فى السير ، وخليله هو صاحبه ، ويروى « وخليلة » بتاء التأنيث ، وهى الزوجة ، وقوله « لم يعقب » أى لم يرجع

أحدهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الاسلام ، ويقول: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِ ، فقتله أبو عامر ، ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الاسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقى العاشر ، فحمل على أبي عامر ، وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الاسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقال الرجل : اللَّهُمَّ لاَ تَشْهَدْ على ، فكَفَّ عنه أبو عامر ، فأفلت ، ثم أسلم بعدُ فَحَسُنَ إسلامه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : « هٰـذَا شَرِيدُ أَبِي عَامِرٍ » ورمى أبا عامر أخوان : العلاء ، وأَوْفَى ، ابنا الحرث من بنى جُشَم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته ، فقتلاه ، وولى الناسَ أبو موسى الأشعرى ، فحمل عليهما ، فقتلهما ، فقال رجل من بنى جُشَم بن معاوية يرثيهما : —

إنَّ الرَّزِيَّةَ قَتْلُ الْعَلاَءِ ... وَأَوْفَى جَمِيعاً وَلَمْ يُسْنَدَا
هُمَا الْقَاتِلاَنِ أَبَا عَامِرٍ ... وَقَدْ كَانَ ذَا هَبَّةٍ أَرْبَدَا[(١)]
هُمَا تَرَكَاهُ لَدَى مَعْرَكٍ ... كَأَنَّ عَلَى عِطْفِهِ مُجْسَدَا[(٢)]
فَلَمْ تَرَ فِي النَّاسِ مِثْلَيْهِمَا ... أَقَلَّ عِثَارًا وَأَرْمَى يَدَا

رسول الله ينهى عن قتل النساء والولدان والاجراء

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أصحابنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يومئذ بامرأة ، وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَصِّفُون[(٣)]

---

(١) ذاهبة : يريد سيفا ، وهبة السيف ـ بفتح الهاء وتشديد الباء ـ اهتزازه ووقع فى بعض النسخ « وقد كان داهية » والأربد : الذى فيه طرائق

(٢) المعرك : موضع العراك ، وهو الحرب ، والمجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران ، يريد أن دمه سال حتى صبغ ثوبه

(٣) متقصفون : يريد أنهم مجتمعون عليها ، ويروى منقصفون ـ بالنون فى

عليها ، فقال : «ماهذا» ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : « أَدْرِكْ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم ينهاك أَنْ تَقْتُلَ وَلِيدًا أَوِ امْرَأَةً أَوْ عَسِيفًا » .

شأن بجاد والشيماء أخت رسول الله من الرضاعة

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى بِجَادٍ ، رجل من بنى سعد ابن بكر ، فَلَا يُفْلِتَنَّكُمْ » وكان قد أحدث حَدَثًا . فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشَّيْمَاء بنت الحرث بن عبد الْعُزَّى أُخْتَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فَعَنَفُوا عليها فى السياق ، فقالت المسلمين : تَعَلَّمُوا والله إنى لأخت صاحبكم من الرضاعة ، فلم يصدقوها حتى أَتَوْا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى ، قال : فلما انْتُهِيَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يارسول الله ، إنى أختك من الرضاعة ، قال : « وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكِ » ؟ قالت : عَضَّةٌ عَضَضْتَنِيهَا فى ظَهْرِى وأَنَا مُتَوَرِّكَتُكَ [1] قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخَيَّرَهَا ، وقال : « إِنْ أَحْبَبْتِ فَعِنْدِى مُحَبَّبَةً مُكَرَّمَةً وإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُمَتِّعَكِ [2] وَتَرْجِعِى إِلَى قَوْمِكِ فَعَلْتُ » فقالت : بل تمتعنى وتردنى إلى قومى ، فمتعها رسول الله صلى الله

موضع التاء ـ فالمراد أنهم لشدة ازدحامهم يكاد بعضهم يقصف بعضا : أى يكسره

(١) متوركتك : جعلتك تتورك على

(٢) أمتعك : أعطيك ما يكون لك متاعا

عليه وسلم وردها إلى قومها ، فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غُلَامًا له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية

ما نزل من القرآن فى يوم حنين

قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل فى يوم حنين (٩ : ٢٥ : — ٦٢) : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) إلى قوله (وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)

شهداء غزوة حنين

قال ابن إسحق : وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين

من قريش ، ثم من بنى هاشم : أيمن بن عبيد ، ومن بنى أسد بن عبدالْعُزَّى : يزيد بن زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جَمَحَ به فرس له يقال له الجناح فقتل

ومن الأنصار : سُرَاقة بن الحرث بن عدى ، من بنى العجلان ، ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعرى

ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حُنَيْن وأموالها ، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفارى ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال إلى الجِعْرانة فحبست بها

ذكر ماقيل من الشعر فى يوم حنين

أبيات لبجير ابن زهير

وقال بجير بن زهير بن أبى سُلْمَى فى يوم حُنَيْن : —

لَوْلَا الْإِلَهُ وَعَبْدُهُ وَلَّيْتُمُ
حِينَ اسْتَخَفَّ الرُّعْبُ كُلَّ جَبَانِ (١)

---

(١) استخف : دعاهم إلى الخفة وطاشت بحلومهم ، والرعب : الفزع والخوف ، و « كل جبان » هكذا وقع فى بعض النسخ ، ووقع فى نسختين أخريين « كل جنان » والجنان : القلب

بِالْجِزْعِ يَوْمَ حَبَالَنَا أَقْرَانُنَا ... وَسَوَابِحٌ يَكْبُونَ لِلْأَذْقَانِ (١)

مِنْ بَيْنِ سَاعٍ ثَوْبُهُ فِي كَفِّهِ ... وَمُقَطَّرٍ بِسَنَابِكٍ وَلَبَانِ (٢)

فَاللهُ أَكْرَمَنَا وَأَظْهَرَ دِينَنَا ... وَأَعَزَّنَا بِعِبَادَةِ الرَّحْمٰنِ

وَاللهُ أَهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ ... وَأَذَلَّهُمْ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ

قال ابن هشام : ويروى فيها بعض الرواة : —

إِذْ قَامَ عَمُّ نَبِيِّكُمْ وَوَلِيُّهُ ... يَدْعُونَ يَالَكَتِيبَةِ الْإِيمَانِ

أَيْنَ الَّذِينَ هُمُ أَجَابُوا رَبَّهُمْ ... يَوْمَ الْعُرَيْضِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ (٣)

أبيات للعباس ابن مرداس

قال ابن إسحق : وقال عباس بن مِرْدَاس في يوم حنين : —

إِنِّي وَالسَّوَابِحِ يَوْمَ جَمْعٍ ... وَمَا يَتْلُو الرَّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ (٤)

لَقَدْ أَحْبَبْتُ مَا لَقِيَتْ ثَقِيفٌ ... بِجَنْبِ الشِّعْبِ أَمْسِ مِنَ الْعَذَابِ

هُمُ رَأْسُ الْعَدُوِّ مِنَ أَهْلِ نَجْدٍ ... فَقَتْلُهُمُ أَلَذُّ مِنَ الشَّرَابِ

---

(١) الجزع : ما انعطف من الوادى ، وحبا : اعترض ، يقال : حبا الشيء ، إذا اعترض ، والسوابح : هى الخيل كأنها تسبح فى الماء لسهولة سيرها ويكبون : يخرون ويسقطون ، والأذقان : جمع ذقن ، كسبب وأسباب

(٢) مقطر : مرمى على قطره ، يريد واقعا على جنبه ، والسنابك : جمع سنبك ، وهو طرف مقدم الحافر ، واللبان ـ بفتح اللام ـ الصدر

(٣) العريض : موضع

(٤) جمع : هى المزدلفة ، وهى المشعر الحرام أيضا

هَزَمْنَا الجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ
وَحَكَّتْ بَرْكَهَا بِبَنِي رِئَابِ (١)

وَصِرْمًا مِنْ هِلَالٍ غَادَرَتْهُمْ ... بِأَوْطَاسٍ تُعَفَّرُ بِالتُّرَابِ (٢)

وَلَوْلَا قَيْنَ جَمْعَ بَنِي كِلَابٍ ... لَقَامَ نِسَاؤُهُمْ وَالنَّقْعُ كَابِي

رَكَضْنَا الخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بُسٍّ ... إِلَى الأَوْرَالِ تَنْحِطُ بِالنِّهَابِ (٣)

بِذِي لَجَبٍ رَسُولُ اللهِ فِيهِمْ ... كَتِيبَتُهُ تَعَرَّضُ لِلضِّرَابِ (٤)

قال ابن هشام : قوله « تعفر بالتراب » عن غير ابن إسحق

فأجابه عَطِيَّةُ بن عُفَيْف (٥) النَّصْرِيُّ ، فيما قال ابن هشام ، فقال : —

أَفَاخِرَةٌ رِفَاعَةُ فِي حُنَيْنٍ ... وَعَبَّاسٌ ابْنُ رَاضِعَةِ اللِّجَابِ

فَإِنَّكَ وَالفِخَارَ كَذَاتِ مِرْطٍ ... لِرَبَّتِهَا وَتَرْفُلُ فِي الإِهَابِ

---

(١) البرك : الصدر ، والضمير يعود إلى الحرب المفهومة من كلامه ، ولهذا ساغ له إضمارها وإن لم يجر لها ذكر صريح

(٢) الصرم — بكسر فسكون — جماعة بيوت انقطعت عن الحي الكبير ، وأوطاس : اسم موضع ، وقد سبق بيانه ، وتعفر بالتراب : كناية عن وقوعهم مجدلين فوق التراب

(٣) تنحط : تخرج نفسها عاليا ، والنهاب : جمع نهب ، وهو ما ينتهب من الغنائم

(٤) بذي لجب : أراد به جيشاً كثير العدد ، واللجب : صوته

(٥) قال أبو ذر : « وقع هنا بفتح العين ، وروى أيضاً بضم العين وتخفيف الياء ، وروى عفيف بضم العين وتشديد الياء ، وعفيف بضم العين وتخفيف الياء قيده الدارقطني »

قال ابن إسحق : وقال عَطيــة بن عُفَيْف هذين البيتين لمـا أ كثر عباس على هوَازن فى يوم حُنَين ، ورفاعة من جهينة

قال ابن إسحق : وقال عباس بن مرداس أيضاً : —

كلمة أخرى لعباس ابن مرداس

يَاخَاتِمَ النُّبَآءِ إنَّكَ مُرْسَـــلُ
بِالْحَقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُدَاكَا

إنَّ الْإِلٰهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً فِى خَلْقِهِ وَمُحَمَّدًا سَمَّاكَا

ثُمَّ الَّذِينَ وَفَوْا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ جُنْدٌ بَعَثْتَ عَلَيْهِمُ الضَّحَّاكَا

رَجُلاً بِهِ ذَرَبُ السِّلاَحِ كَأَنَّهُ لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْعَدُوُّ يَرَاكَا (١)

يَغْشَى ذَوِى النَّسَبِ الْقَرِيبِ وَإِنَّمَا
يَبْغِى رِضَا الرَّحْمٰنِ ثُمَّ رِضَاكَا

أُنْبِيكَ أَنِّى قَدْ رَأَيْتُ مَكَرَّهُ
تَحْتَ الْعَجَاجَةِ يَدْمَغُ الْإِشْرَاكَا (٢)

طَوْرًا يُعَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً
يَفْرِى الْجَمَاجِمَ صَارِمًا بَتَّاكَا (٣)

---

(١) « به ذرب السلاح » صرامته وحدته وشدته ، ويقال : فلان ذرب اللسان ، إذا كان حديده ، وتكنفه : أحاط به

(٢) أنبيك : أراد أنبئك نخفف الهمزة ، ومعناه أخبرك ، ومكره : مصدر ميمى بمعنى الكر ، والعجاجة : الغبرة ، ويدمغ الاشراك : يضرب دماغه ، وأراد أهل الأشراك ، على حدقوله تعالى : (واسأل القرية) وتقول : دمغه ، إذا أصاب دماغه ، كما تقول : رأسه وجلده وعانه ووجهه ، إذا أصاب رأسه وجلده وعينه ووجهه

(٣) يفرى : تروى هذه الكلمة بالفاء ، ومعناه يقطع ، وعليه فقوله

يَغْشَى بِهِ هَامَ الْكُمَاةِ وَلَوْ تَرَى
مِنْهُ الَّذِي عَايَنْتُ كَانَ شِفَاكَا (١)

وَبَنُو سُلَيْمٍ مُعْنِقُونَ أَمَامَهُ
ضَرْبًا وَطَعْنًا فِي الْعَدُوِّ دِرَاكَا (٢)

يَمْشُونَ تَحْتَ لِوَائِهِ وَكَأَنَّهُمْ
أُسْدُ الْعَرِينِ أَرَدْنَ ثَمَّ عِرَاكَا (٣)

مَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قَرَابَةً   إِلَّا لِطَاعَةِ رَبِّهِمْ وَهَوَاكَا

هٰذِي مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا   مَعْرُوفَةً وَوَلِيُّنَا مَوْلَاكَا

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

وقال عَبَّاس بن مِرْداس أيضا : —

إِمَّا تَرَيْ يَا أُمَّ فَرْوَةَ خَيْلَنَا   مِنْهَا مُعَطَّلَةٌ تُقَادُ وَظُلَّعُ (٤)

أَوْهَى مُقَارَعَةُ الْأَعَادِي دَمَّهَا   فِيهَا نَوَافِذُ مِنْ جِرَاحٍ تَنْبَعُ (٥)

«صارما بتاكا» حال من فاعله ، وتروى بالقاف ومعناه يطعم ، مأخوذ من القرى وهو مايقدم للضيف من الطعام ، وعلى هذا فصارما بتاكا مفعول ثان ليقرى ، والصارم : السيف القاطع ، والبتاك : الشديد القطع

(١) الهام : الرؤس ، والكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، ومعنى « لوترى . . . الخ » أنك لورأيت شجاعته التى عاينتها أنا لسرك ذلك منه فكان شفاء لنفسك

(٢) معنقون : مسرعون ، تقول : أعنق يعنق ـ مثل أكرم يكرم ـ إذا سار العنق ، وهو ضرب من السير السريع ، ودراك : متتابع ، تقول : دارك فلان بين العملين دراكا ـ مثل قاتل قتالا ـ إذا تابع بينهما

(٣) العرين : موضع الأسد ، والعراك : المدافعة فى الحرب

(٤) ظلع : جمع ظالع ، وهو فاعل من الظلع ، وهو العرج

(٥) أوهى : أضعف ، ومقارعة الأعادى : موافقتهم ومحاربتهم ،

فَلَرُبَّ قَائِلَةٍ كَفَاهَا وَقْعُنَا أَزْمَ الْحُرُوبِ فَسِرْبُهَا لَا يُفْزَعُ (١)
لَا وَفْدَ كَالْوَفْدِ الْأُلَى عَقَدُوا لَنَا سَبَبًا بِحَبْلِ مُحَمَّدٍ لَا يُقْطَعُ (٢)
وَفْدٌ أَبُو قَطَنٍ حُزَابَةُ مِنْهُمُ وَأَبُو الْغُيُوثِ وَوَاسِعٌ وَالْمُقْنَعُ
وَالْقَائِدُ الْمِائَةِ الَّتِي وَفَّى بِهَا تِسْعَ الْمِئِينَ فَتَمَّ أَلْفٌ أَقْرَعُ (٣)
جَمَعَتْ بَنُو عَوْفٍ وَرَهْطُ مُخَاشِنٍ سِتًّا وَأَجْلَبَ مِنْ خُفَافٍ أَرْبَعُ (٤)
فَهُنَاكَ إِذْ نُصِرَ النَّبِيُّ بِأَلْفِنَا عَقَدَ النَّبِيُّ لَنَا لِوَاءً يَلْمَعُ
فُزْنَا بِرَايَتِهِ وَأَوْرَثَ عَقْدُهُ مَجْدَ الْحَيَاةِ وَسُؤْدَدًا لَا يُنْزَعُ
وَغَدَاةَ نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ جَنَاحُهُ بِبِطَاحِ مَكَّةَ وَالْقَنَا يَتَهَزَّعُ (٥)

و «دمها» تروى بالدال وبالراء ، فأما من رواها بالدال فمعناه تسويتها بالعمل والصنعة لها حتى استوى لحمها ، تقول : دممت الأرض ، إذا سويتها : وأما من رواها بالراء فمعناه ما أصلحناه منها ، تقول : رممت الشيء ، إذا أصلحته ، وتنبع : تسيل بالدم

(١) أزم الحرب : شدتها ، وسربها : نفسها ، وقيل : أهلها ، ولا يفزع : أى لا يعتريه الفزع والخوف

(٢) الألى : أى الذين ، والسبب : الحبل ، وأراد هنا الألفة

(٣) ألف أقرع : أى تام لا ينقص منه شيء ، والألف مذكر

(٤) أحلب يروى بالحاء المهملة وبالجيم ، فأما من رواه بالحاء المهملة فمعناه جمع ، وأما من رواه بالجيم فمعناه جمع مع حركة وصوت ، وخفاف ـ كغراب ـ اسم رجل تنسب إليه القبيلة

(٥) يتهزع : تروى هذه الكلمة بالزاى وتروى بالراء المهملة ، فأما من رواها بالزاى فمعناها تضطرب وتتحرك ؛ وأما من رواها بالراء المهملة فمعناها تسرع إلى الطعن فى الأعادى . تقول : أهرعت ، إذا أسرعت

كَانَتْ إجَابَتُنَا لِدَاعِى رَبِّنَا ... بِالحَقِّ مِنَّا حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ (١)

فِى كُلِّ سَابِغَةٍ تَخَيَّرَ سَرْدَهَا ... دَاوُدُ إذْ نَسَجَ الحَدِيدَ وَتُبَّعُ (٢)

وَلَنَا عَلَى بِئْرَىْ حُنَيْنٍ مَوْكِبٌ ... دَمَغَ النِّفَاقَ وَهَضْبَةٌ مَا تُقْلَعُ (٣)

نُصِرَ النَّبِىُّ بِنَا وَكُنَّا مَعْشَرًا ... فِى كُلِّ نَائِبَةٍ نَضُرُّ وَنَنْفَعُ

زُرْنَا غَدَاتَئِذٍ هَوَازِنَ بِالْقَنَا ... وَالخَيْلُ يَغْمُرُهَا عَجَاجٌ يَسْطَعُ (٤)

إذْ خَافَ حَدَّهُمُ النَّبِىُّ وَأَسْنَدُوا
جَمْعًا تَكَادُ الشَّمْسُ مِنْهُ تَخَشَّعُ (٥)

يُدْعَى بَنُو جُشَمٍ وَيُدْعَى وَسْطَهُ ... أَفْنَاءُ نَصْرٍ وَالأَسِنَّةُ شُرَّعُ (٦)

حَتَّى إذَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ... أَبَنِى سُلَيْمٍ قَدْ وَفَيْتُمْ فَارْفَعُوا (٧)

---

(١) الحاسر : الذى لادرع له ، والمقنع : الذى يلبس المغفر على رأسه

(٢) السابغة : الدرع الكاملة ، وسردها : نسجها ، وداود : أبو سليمان وكان يصنع الدروع ، قال الله تعالى : « أن اعمل سابغات وقدر فى السرد » أى : أن اعمل دروعا سابغات ، وتبع : ملك من ملوك اليمن

(٣) الموكب : الجماعة من الخيل ، ودمغ النفاق : أصاب دماغه (وانظر ه ٢ ص ٩٥ من هذا الجزء) والهضبة : الكدية

(٤) العجاج : الغبار ، ويسطع : يعلو ويتفرق

(٥) تخشع : أراد هنا بالخشوع نقصان ضيائها

(٦) الأفناء ـ بالفاء ـ الجماعة التى تجتمع من قبائل شتى ، وشرع : مائلة للطعن : أى منتصبة مرفوعة

(٧) اربعوا : رويت هذه الكلمة بالباء وبالفاء ، فأما من رواها بالباء فمعناها كفوا وتمهلوا ، وأما من رواها بالفاء فهو معروف

رُحْنَا وَلَوْلَا نَحْنُ أُجْحِفَ بَأْسُهُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَحْرَزُوا مَا جَمَّعُوا (١)

وقال عباس بن مِرْدَاس أيضا فى يوم حُنَين : —

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

عَفَا مِجْــدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمُتَالِعُ
فَمَطْلَى أَرِيكٍ قَدْ خَلَا فَالْمَصَانِعُ (٢)

دِيَارٌ لَنَا يَاجُمْلُ إِذْ جُلُّ عَيْشِنَا
رَخِيٌّ وَصَرْفُ الدَّارِ لِلْحَيِّ جَامِعُ (٣)

حُبَيِّبَةٌ أَلْوَتْ بِهَــا غُرْبَةُ النَّوَى
لِبَيْنٍ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ (٤)

فَإِنْ تَبْتَغِي الْكُفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ

دَعَانَا إِلَيْهِمْ خَيْرُ وَفْدٍ عَلِمْتُهُمْ خُزَيْمَةُ وَالْمَرَّارُ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ

---

(١) أجحف : نقص وضر ، وأحرزوا : جعلوه فى حرز ومنعة

(٢) عفا : تغير ودرس ، وأصل المجدل ـ كمنبر ـ القصر أو الحصن ، وهو ههنا مكان ، ومتالع : جبل ، والمطلاء ـ بالمد ـ الأرض التى يستقر فيها الماء ، وقصره هنا للضرورة ، وأريك : موضع ، والمصانع : مواضع تصنع للماشية كالصاريج

(٣) جمل : اسم امرأة ، وجل عيشنا : أكثره ، ورخى : ناعم

(٤) « حبيبة » تروى بضم الحاء بعدها باء موحدة مفتوحة فياء مثناة مشددة ، وهو تصغير حيبة ، وتروى « حبيبية » بباء موحدة فياء مثناة فباء موحدة مكسورة فياء مثناة مشددة ـ وهى المنسوبة إلى بنى حبيب ، وألوت بها : غيرتها عما كنا نعهدها عليه ، والنوى ، والبين : الفراق

فَجِئْنَا بِأَلْفٍ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمُ
لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ رَائِعُ (١)

نُبَايِعُهُ بِالْأَخْشَبَيْنِ وَإِنَّمَا
يَدَ اللهِ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ نُبَايِعُ (٢)

فَجِئْنَا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَنْوَةً
بِأَسْيَافِنَا وَالنَّقْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ (٣)

عَلَانِيَةً وَالْخَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا
حَمِيمٌ وَآنٍ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ (٤)

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنٌ
إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالنُّفُوسِ الْأَضَالِعُ (٥)

---

(١) لبوس من نسج داود : أراد الدروع ، ورائع : معجب يروعك بحسنه وجماله

(٢) الأخشبان : جبلان يكنفان مكة

(٣) جئنا : هكذا وقع فى أكثر النسخ ، وفى نسخة « فجسنا » أى وطئنا ، وقال الله تعالى : (فجاسوا خلال الديار) وعنوة ـ بفتح العين وسكون النون ـ هى القهر والغلبة ، والمهدى ههنا : النبى صلى الله عليه وسلم ، والنقع : الغبار ، وكاب : موجع ، وساطع : متفرق

(٤) المتون : الظهور ، واحدها متن ، والحميم : الساخن ، والآنى : الحار ، وناقع : معناه كثير

(٥) الأضالع : جمع ضلع على غير قياس ، أوهو جمع أضلع وهو جمع ضلع

صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لَا يَسْتَفِزُّنَا
قِرَاعُ الْأَعَادِى مِنْهُمُ وَالْوَقَائِعُ (١)

أَمَامَ رَسُولِ اللهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا
لِوَاءٌ كَخُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لَامِعُ (٢)

عَشِيَّةَ ضَحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ مُعْتَصٍ
بِسَيْفِ رَسُولِ اللهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ (٣)

نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا وَلَوْ نَرَى مَصَالاً لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نُتَابِعُ

وَلَكِنَّ دِينَ اللهِ دِينَ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهُدَى وَالشَّرَائِعُ

أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمْرَنَا وَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ دَافِعُ (٤)

وقال عباس بن مرداس أيضا : —

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

تَقَطَّعَ بَاقِى وَصْلِ أُمِّ مُؤَمَّلٍ بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبْدَلَتْ نِيَّةً خُلْفَا (٥)

---

(١) لا يستفزنا : لايستخفنا ، وقراع الأعادى : مقارعتهم بالسيوف وحربهم ، والوقائع : جمع وقيعة

(٢) خذروف السحابة : طرفها ، وأراد هنا السرعة فى تحرك هذا اللواء واضطرابه .

(٣) معتص : ضارب ، تقول : اعتصوا بالسيوف ، إذا تضاربوا بها ، والموت كانع : أى دان ، تقول : كنع الموت ، إذا دنا وقرب .

(٤) حمه الله : قدره وهيأ أسبابه .

(٥) النية : ما ينويه الانسان من وجه ويقصده ، وخلف : يروى بضم الخاء المعجمة وبفتحها ، فأما من رواه بضم الخاء فهو من خلف الوعد ، وهو عدم إنجازه ، وأما من رواه بفتح الخاء فهو من المخالفة ، وهى ضد الموافقة

وَقَـدْ حَلَفَتْ بِاللهِ لاَ تَقْطَعُ الْقُوَى
فَمَا صَدَقَتْ فِيهِ وَلاَ بَرَّتِ الْحَلْفَا (١)

خُفَافِيَّةٌ بَطْنُ الْعَقِيقِ مَصِيفُهَا
وَتَحْتَلُّ فِي الْبَادِينَ وَجْرَةَ فَالْعُرْفَا (٢)

فَإِنْ تَتْبَعِ الْكُفَّارَ أُمُّ مُؤَمَّلٍ
فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَأْيِهَا شَغْفَا (٣)

وَسَوْفَ يُنَبِّيهَا الْخَبِيرُ بِأَنَّنَا
أَبَيْنَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبِّنَا حِلْفَا (٤)

وَأَنَّا مَعَ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَفَيْنَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرٌ أَلْفَا

بِفِتْيَانِ صِدْقٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَعِزَّةٍ
أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفَا

---

(١) القوى ـ بضم القاف وفتح الواو ، مقصورا ـ أسباب المودة ، ولا برت الحلفا : هو من الحلف الذى هو اليمين .

(٢) خفافية : منسوبة إلى بنى خفاف ، وهم حى من سليم ، والعقيق : واد بالحجاز ، ومصيفها : المكان الذى تقيم فيه زمن الصيف ، ووجرة والعرف : موضعان .

(٣) النأى : البعد ، والشغف : مصدر شغفته ، إذاوصل حبها إلى شغاف قلبه ، وشغاف القلب : حجابه ، وتروى بالعين المهملة ، والشعف : أن يحرق الحب القلب مع أن المحب يجد فى ذلك لذة ، وبالمهملة والمعجمة قرىء فى قوله تعالى : (قد شغفها حبا)

(٤) الحلف هنا : المحالفة ، وهو أن يتحالف القوم على أن يكونوا يداً واحدة فى جميع أمورهم .

خُفَافٌ وَذَكْوَانٌ وَعَوْفٌ تَخَالُهُمْ
مَصَاعِبَ زَافَتْ فِي طَرُوقَتِهَا كُلْفَا (١)
كَأَنَّ النَّسِيجَ الشُّهْبَ وَالْبِيضَ مُلْبَسٌ
أُسُوداً تَلاَقَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفَا (٢)
بِنَا عَزَّ دِينُ اللهِ غَيْرَ تَنَحُّلٍ
وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِى مَعَهُ ضِعْفَا (٣)
بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَأَنَّ لِوَاءَنَا عُقَابٌ أَرَادَتْ بَعْدَ تَحْلِيقِهَا خَطْفَا
عَلَى شُخَّصِ الْأَبْصَارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَا
إِذَا هِيَ جَالَتْ فِى مَرَاوِدِهَا عَزْفَا (٤)
غَدَاةَ وَطِئْنَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ نَجِدْ لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ عَدْلاً وَلاَ صَرْفَا
بِمُعْتَرَكٍ لاَ يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَهُ لَنَا زَحْمَةً إِلاَّ التَّذَامُرَ وَالنَّقْفَا (٥)

---

(١) مصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل ، وزافت : سارت ومشت والطروقة : الناقة التي يطرقها الفحل ، والكلف : جمع أكلف ، وهو الأسود

(٢) النسيج هنا : الدروع ، والمراصد : جمع مرصد ، وهو المكان الذى يرصد فيه بعض الناس بعضا ، والغضف : جمع أغضف ؛ وهو المسترخى الأذنين

(٣) التنحل : الكذب

(٤) شخص : جمع شاخص ، وتقول : شخص بصره ، إذا ارتفع ، والمراود : جمع مرود ، وهو الوتد ، والعزف : الصوت والحركة

(٥) المعترك : موضع الاعتراك : أى الحرب ، والزحمة : أى الكلمة ، قال ابن السراج : هومن قولهم : مازحم بكلمة ، يريدون ماتكلم بكلمة ولا نطق بها ، والتذامر : أن يحض بعضهم بعضا على القتال ، والنقف : الضرب الشديد .

بِبِيضٍ تُطِيرُ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا
وَنَقْطِفُ أَعْنَاقَ الْكُمَاةِ بِهَا قَطْفَا (١)

فَكَائِنْ تَرَكْنَا مِنْ قَتِيلٍ مُلَحَّبٍ وَأَرْمَلَةٍ تَدْعُو عَلَى بَعْلِهَا لَهْفَا (٢)

رِضَا اللهِ نَنْوِى لَا رِضَا النَّاسِ نَبْتَغِى
وَلِلهِ مَا يَبْدُو جَمِيعًا وَمَا يَخْفَى

وقال عباس بن مرداس أيضا : —

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

مَا بَالُ عَيْنِكَ فِيهَا عَائِرٌ سَهِرُ
مِثْلُ الْحَمَاطَةِ أَغْضَى فَوْقَهَا الشُّفُرُ (٣)

عَيْنٌ تَأَوَّبَهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرَقٌ فَالْمَاءُ يَغْمُرُهَا طَوْرًا وَيَنْحَدِرُ (٤)

كَأَنَّهُ نَظْمُ دُرٍّ عِنْدَ نَاظِمَةٍ تَقَطَّعَ السِّلْكُ مِنْهُ فَهُوَ مُنْتَثِرُ (٥)

---

(١) أراد بالبيض السيوف ، والهام : هى الرءوس ، ومستقرها : مكان استقرارها ، ونقطف : نقطع ، والكماة : الشجعان ، واحدهم كمى

(٢) كائن : أى كثيرا ، وملحب : أى مقطع اللحم ، والأرملة : التى مات زوجها .

(٣) العائر : وجع العين ، وسهر : وصف من السهر الذى هو الامتناع من النوم ، وأرادسهر صاحبه ، والحماطة : شدة تكون فى جفن العين ، والشفر ـ بضم الشين والفاء جميعا ـ أجفان العين

(٤) تأوبها : جاءها مع الليل ، أوراجعهامرة بعد مرة ، والشجو : الحزن ، والأرق : السهر ، فالماء يغمرها : أراد بالماء ههنا الدمع ، يريد أنه يغطيها وينحدر : يسيل

(٥) السلك : هو الخيط الذى ينظم فيه الدر ، ومنتثر : منقطع

يَابُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ ... وَمَنْ أَتَى دُونَهُ الصَّمَّانُ فَالْحَفَرُ (١)

دَعْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ

وَلَّى الشَّبَابُ وَزَارَ الشَّيْبُ وَالزَّعَرُ (٢)

وَاذْكُرْ بَلاَءَ سُلَيْمٍ فِي مَوَاطِنِهَا

وَفِي سُلَيْمٍ لِأَهْلِ الْفَخْرِ مُفْتَخَرُ (٣)

قَوْمٌ هُمُ نَصَرُوا الرَّحْمَـٰنَ وَاتَّبَعُوا

دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ (٤)

لاَ يَغْرِسُونَ فَسِيلَ النَّخْـلِ وَسْطَهُمُ

وَلاَ تَخَاوَرُ فِي مَشْتَاهُمُ الْبَقَرُ (٥)

إلاَّ سَـوَابِحَ كَالْعِقْبَانِ مُقْرَبَةً

فِي دَارَةٍ حَوْلَهَا الْأَخْطَارُ وَالْعَـكَرُ (٦)

---

(١) الصمان ـ كشداد ـ والحفر ـ بفتح الحاء المهملة والفاء ـ اسما موضعين

(٢) الزعر : قلة الشعر ، وهو من علامات الكبر أيضا .

(٣) بلاء سليم : عظيم صنعها ، والمواطن : جمع موطن ، وأراد به مواقع الحروب ، ومفتخر : أراد موضع فخر

(٤) أمر الناس مشتجر : مختلف ، والاشتجار : الاختلاف وتداخل الحجج بعضها على بعض

(٥) الفسيل : صغار النخل ، وتخاور : هو من الخوار ، وهو صوت الأبقار ووقع فى بعض الروايات تجاور ـ بالجيم وبالراء المهملة ـ ووقع فى روايات أخرى تحاوز ـ بالحاء المهملة والزاى ـ وكلاهما غير صواب ، والصواب هو ماقدمناه .

(٦) سوابح : جمع سابح ، وهو الفرس الذى كأنه يعوم فى الماء عند جريه ،

تَدْعَى خُفَافٌ وَعَوفٌ فِى جَوَانِبِهَا
وَحَىٌّ ذَكْوَانَ لاَ مِيلٌ وَلَا ضُجُرُ (١)

الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشِّرْكِ ضَاحِيَةً
بِبَطْنِ مَكَّةَ وَالْأَرْوَاحُ تُبْتَدَرُ (٢)

حَتَّى رَفَعْنَا وَقَتْلَاهُمْ كَأَنَّهُمُ
نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْقَعِرُ (٣)

وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَانَ مَشْهَدُنَا
لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللهِ مُدَّخَرُ

إِذْ نَرْكَبُ الْمَوْتَ مُخْضَرًّا بَطَائِنُهُ
وَالْخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَدِرُ (٤)

تَحْتَ اللِّوَاءِ مَعَ الضَّحَّاكِ يَقْدُمُنَا
كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِى غَابَاتِهِ الْخَدِرُ (٥)

ومقربة ـ بالباء ـ التى تربط قريبا من بيوت أصحابها محافظة عليها ، ووقع فى بعض النسخ «مقرنة» بالنون ، والأخطار : الجماعات من الابل ، والعكر : الابل الكثيرة

(١) الميل ـ بكسر الميم ـ جمع أميل ، وهو الذى لاسلاح معه ؛ والضجر ـ بضم الضاد والجيم ـ جمع ضجر ـ ككتف ، وهو المتبرم الذى ساء احتماله وضاق صدره

(٢) ضاحية : منكشفة بارزة للشمس

(٣) منقعر : منقلع من أصله

(٤) ساطع : هو الغبار المتفرق ، والكدر : المتغير إلى السواد

(٥) الخدر ـ بفتح الخاء وكسر الدال ـ الأسد الداخل فى خدره ، وخدر الأسد وعرينه غابته : كل ذلك موضعه

فِي مَأْزِقٍ مِنْ مَجَرِّ الْحَرْبِ كَلْكَلُهَا
تَكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (١)

وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسٍ أَسِنَّتَنَا
لِلّٰهِ نَنْصُرُ مَنْ شِئْنَا وَنَنْتَصِرُ

حَتَّى تَأَوَّبَ أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ
لَوْلَا الْمَلِيكُ وَلَوْلَا نَحْنُ مَا صَدَرُوا (٢)

فَمَا تَرَى مَعْشَرًا قَلُّوا وَلَا كَثُرُوا
إِلَّا قَدْ أَصْبَحَ مِنَّا فِيهِمُ أَثَرُ

وقال عباس بن مرداس أيضا : —

قصيدة أخرى للعباس بن مرداس

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوِي بِهِ
وَجْنَاءُ مُجْمَرَةُ الْمَنَاسِمِ عِرْمِسُ (٣)

إِمَّا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ
حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ

يَاخَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطِيَّ وَمَنْ مَشَى
فَوْقَ التُّرَابِ إِذَا تُعَدُّ الْأَنْفُسُ

---

(١) المأزق : المكان الضيق ، والكلكل : الصدر ، وتأفل : تغيب

(٢) تأوب : أراد رجع ، وصدر : رجع أيضاً

(٣) تهوى به : تسرع به ، والوجناء : الناقة الضخمة ، والمناسم : جمع منسم ، وهو طرف خف البعير ، وعرمس : شديدة

إِنَّا وَفَيْنَا بِالَّذِى عَاهَدْتَنَا
وَالْخَيْلُ تُقْدَعُ بِالْكُمَاةِ وَتُضْرَسُ (١)

إِذْ سَالَ مِنْ أَفْنَاءِ بُهْثَةَ كُلُّهَا
جَمْعٌ تَظَلُّ بِهِ الْمَخَارِمُ تَرْجُسُ (٢)

حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَيْلَقًا
شَهْبَاءَ يَقْدُمُهَا الْهُمَامُ الْأَشْوَسُ (٣)

مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سُلَيْمٍ فَوْقَهُ
بَيْضَاءُ مُحْكَمَةُ الدِّخَالِ وَقَوْنَسُ (٤)

يُرْوِى الْقَنَاةَ إِذَا تَجَاسَرَ فِى الْوَغَى
وَتَخَالُهُ أَسَدًا إِذَا مَا يَعْبِسُ

يَغْشَى الْكَتِيبَةَ مُعْلِمًا وَبِكَفِّهِ
عَضْبٌ يَقُدُّ بِهِ وَلَدْنٌ مِدْعَسُ (٥)

---

(١) تقدع : تكف وتزجر ، والكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، وتضرس : تجرح

(٢) سال : أراد ارتفع ، وأصل الأفناء الجماعة إذا كانوا أخلاطا من قبائل شتى ، وأراد هنا الجماعه مطلقا ، وبهثة : حى من سليم ، والمخارم : الطرق فى الجبال ، واحدها مخرم ، وترجس : تهتز وتتحرك ، وأراد تموج بالسائرين فيها

(٣) صبحنا : أتينا صباحا ، وأراد هنا الغارة ، والفيلق : الجيش ، والشهباء : الكثيرة السلاح ، والهمام : السيد ، والأشوس : الذى ينظر نظر المتكبر

(٤) الأغلب : الشديد الغليظ ، ومحكمة الدخال : أى النسج ، وأراد الدرع ، والقونس : أعلى بيضة الحديد

(٥) العضب : السيف القاطع ، واللدن : اللين ، وأراد به الرمح ، والمدعس : الطعان ، تقول : دعسته بالرمح ، إذا طعنته به

وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا
أَلْفٌ أُمِدَّ بِهِ الرَّسُولَ عَرَنْدَسُ (١)

كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً
وَالشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ (٢)

نَمْضِي وَيَحْرُسُنَا الْإِلٰهُ بِحِفْظِهِ   وَاللّٰهُ لَيْسَ بِضَائِعٍ مَنْ يَحْرُسُ

وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمَنَاقِبِ مَحْبِساً   رَضِيَ الْإِلٰهُ بِهِ فَنِعْمَ الْمَحْبِسُ

وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَدْنَا شَدَّةً
كَفَتِ الْعَدُوَّ وَقِيلَ مِنْهَا يَا احْبِسُوا

تَدْعُو هَوَازِنُ بِالْإِخَاوَةِ بَيْنَنَا   ثَدْيٌ تَمُدُّ بِهِ هَوَازِنُ أَيْبَسُ

حَتَّى تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ وَكَأَنَّهُ   عَيْرٌ تُعَاقِبُهُ السِّبَاعُ مُفَرَّسُ (٣)

قال ابن هشام : أنشدنى خَلَفٌ الأحمر قوله « وقيل منها ياا حبسوا »

قال ابن إسحق : وقال عباس بن مرداس أيضا : ـ

كلمة أخرى للعباس ابن مرداس

نَصَرْنَا رَسُولَ اللهِ مِنْ غَضَبٍ لَهُ   بِأَلْفِ كَمِيٍّ لَا تُعَدُّ حَوَاسِرُهْ (٤)

(١) العرندس : الشديد

(٢) دريئة : أى مدافعة ، تقول : درأت عنه ، إذا دفعت ، ويروى « درية » بتشديد الياء المثناة ، ومعناه الستر ، والمعنيان متقاربان

(٣) العير ـ بفتح فسكون ـ حمار الوحش ، ومفرس : معقور قد افترسته السباع

(٤) حواسره : جمع حاسر ، وهوالذى لادرع له ، يريد لاتعد جموعه الذين لادروع لهم

حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرُّمْحِ رَايَةً   يَذُودُ بِهَا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ نَاصِرُهْ

وَنَحْنُ خَضَبْنَاهَا دَماً فَهْوَ لَوْنُهَا   غَدَاةَ حُنَيْنٍ يَوْمَ صَفْوَانُ شَاجِرُهْ [1]

وَكُنَّا عَلَى الْإِسْلاَمِ مَيْمَنَةً لَهُ   وَكَانَ لَنَا عَقْدُ اللِّوَاءِ وَشَاهِرُهْ

وَكُنَّا لَهُ دُونَ الْجُنُودِ بِطَانَةً   يُشَاوِرُنَا فِي أَمْرِهِ وَنُشَاوِرُهْ

دَعَانَا فَسَمَّانَا الشِّعَارَ مُقَدَّماً   وَكُنَّا لَهُ عَوْناً عَلَى مَنْ يُنَاكِرُهْ [2]

جَزَى اللهُ خَيْراً مِنْ نَبِيٍّ مُحَمَّداً   وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ وَاللهُ نَاصِرُهْ

قال ابن هشام: أنشدنى من قوله « وكنا على الاسلام » إلى آخرها بعضُ أهل العلم بالشعر، ولم يعرف البيت الذى أوله

* حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرُّمْحِ رَايَةً *

وأنشدنى بعدَ قوله:

* وَكَانَ لَنَا عَقْدُ اللِّوَاءِ وَشَاهِرُهْ *

* وَنَحْنُ خَضَبْنَاهُ دَمًا فَهْوَ لَوْنُهُ *

قال ابن إسحق: وقال عباس بن مرداس أيضا: —

قصيدة اخرى لعباس بن مرداس

مَنْ مُبْلِغُ الْأَقْوَامِ أَنَّ مُحَمَّدًا   رَسُولَ الْإِلٰهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا

---

(١) شاجره: مخاصمه ومخالطه، ويحتمل أن يكون المراد بشاجره مخالطه بالرمح، تقول: شجرته بالرمح، إذا طعنته به، وتقول: شجرت الرماح واشتجرت، إذا اختلط بعضها ببعض

(٢) أصل الشعار — بزنة كتاب — ما ولى جسد الانسان من الثياب، فاستعاره هنا للخلصان الأوداء.

دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللهَ وَحْدَهُ ‏ فَأَصْبَحَ قَدْ وَفَّى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا

سَرَيْنَا وَوَاعَدْنَا قُدَيْدًا مُحَمَّدًا ‏ يَؤُمُّ بِنَا أَمْرًا مِنَ اللهِ مُحْكَمَا

تَمَارَوْا بِنَا فِى الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا ‏ مَعَ الْفَجْرِ فِتْيَانًا وَغَابًا مُقَوَّمَا (١)

عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعُنَا ‏ وَرَجْلًا كَدُفَّاعِ الْأَتِىِّ عَرَمْرَمَا (٢)

فَإِنَّ سَرَاةَ الْحَىِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا ‏ سُلَيْمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمُ مَنْ تَسَلَّمَا

وَجُنْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخْذُلُونَهُ ‏ أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا

فَإِنْ تَكُ قَدْ أَمَّرْتَ فِى الْقَوْمِ خَالِدًا ‏ وَقَدَّمْتَـــــهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا

بِجُنْدٍ هَدَاهُ اللهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ ‏ تُصِيبُ بِهِ فِى الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا

حَلَفْتُ يَمِينًا بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ ‏ فَأَكْمَلْتُهَا أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ مُلْجَمَا

وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقَدَّمُوا ‏ وَحُبَّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ الْمُقَدَّمَا

وَبِتْنَا بِنَهْىِ الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ ‏ بِنَا الْخَوْفُ إِلَّا رَغْبَةً وَتَحَزُّمَا (٣)

أَطَعْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ‏ وَحَتَّى صَبَحْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلَمْلَمَا (٤)

---

(١) تماروا : شكوا فينا ، والغاب هنا : الرماح

(٢) الأتى ـ بفتح الهمزة وكسر التاء المثناة وتشديد الياء ـ السيل يأتى من بلد إلى بلد ، والعرمرم : الكثير الشديد

(٣) النهى ـ بفتح فسكون أو بكسر فسكون ـ الغدير من الماء

(٤) يلملم : موضع

يَضِلُّ الْحِصَانُ الْأَبْلَقُ الْوَرْدُ وَسْطَهُ
وَلَا يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوِّمَا (١)

سَمَوْنَا لَهُمْ وِرْدَ الْقَطَا زَفَّهُ ضُحًى
وَكُلٌّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدَ اُحْجَمَا (٢)

لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى تَرَكْنَا عَشِيَّةً حُنَيْنًا وَقَدْ سَالَتْ دَوَافِعُهُ دَمَا (٣)

إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلٍّ رَأَيْتَ طِمِرَّةً
وَفَارِسَهَا يَهْوِى وَرُمْحًا مُحَطَّمَا (٤)

وَقَدْ أَحْرَزَتْ مِنَّا هَوَازِنُ سَرْبَهَا
وَحُبَّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَنُحْرَمَا (٥)

قال ابن إسحق : وقال ضَمْضَم بن الحرث بن جُشَم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوْف بن يَقَظَة بن عُصَيَّة السُّلَمى ، فى يوم حنين ، وكانت ثقيف أصابت كنانةَ بن الحكم بن خالد بن الشريد فقتل به محْجَنًا وابن عم له ، وهما من ثقيف : —

قصيدة لضمضم بن الحارث السلمى

نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ غَيْرِ مَجْلَبِ
إِلَى جُرَشٍ مِنْ أَهْلِ زَيَّانَ وَالْفَمِ (٦)

---

(١) الحصان : الفرس الذكر ، ويسوم : يعلم نفسه بعلامة يعرف بها

(٢) زفه : ساقه سوقا سريعا ، وأحجم : رجع وانقبض ، ويقال : أحجم بمعنى تأخر ، ويقال : معناه تقدم ، والذى ذكرناه أولا هو المشهور

(٣) دوافعه : مجارى السيول فيه

(٤) طمرة ـ بكسرتين بعدهما ميم مشددة ـ فرس سريعة وثابة ، ومحطم : مكسر

(٥) السرب ـ بفتح فسكون ـ المال الراعى

(٦) مجلب ـ بفتح الميم وسكون الجيم ـ مكان الجلب ، وجرش ـ بضم ففتح ـ اسم موضع ، وزيان : جبل ، والفم : موضع

نُقَتِّلُ أَشْبَالَ الْأُسُودِ وَنَبْتَغِي طَوَاغِيَ كَانَتْ قَبْلَنَا لَمْ تُهَدَّمِ (١)
فَإِنْ تَفْخَرُوا بِابْنِ الشَّرِيدِ فَإِنَّنِي تَرَكْتُ بِوَجٍّ مَأْتَمًا بَعْدَ مَأْتَمِ (٢)
أَبَأْتُهُمَا بِابْنِ الشَّرِيدِ وَغَرَّهُ جِوَارُكُمُ وَكَانَ غَيْرَ مُذَمَّمِ (٣)
تُصِيبُ رِجَالًا مِنْ ثَقِيفٍ رِمَاحُنَا وَأَسْيَافُنَا يَكْلِمْنَهُمْ كُلَّ مَكْلَمِ (٤)

وقال ضمضم بن الحرث أيضاً : —

كلمة أخرى لضمضم بن الحارث

أَبْلِغْ لَدَيْكَ ذَوِي الْحَلَائِلِ آيَةً
لَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ ذَاتَ خِمَارِ (٥)
بَعْدَ الَّتِي قَالَتْ لِجَارَةِ بَيْتِهَا
قَدْ كُنْتِ لَوْ لَبِثَ الْغَزِيُّ بِدَارِ (٦)
لَمَّا رَأَتْ رَجُلًا تَسَفَّعَ لَوْنَهُ
وَغْرُ الْمَصِيفَةِ وَالْعِظَامُ عَوَارِ (٧)

---

(١) طواغى : جمع طاغية ، والمراد بها هنا البيوت التى كانوا يتعبدون فيها فى الجاهلية ويعظمونها سوى البيت الحرام ، وتهدم : تكسر ويزول أثرها

(٢) وج - بفتح الواو وتشديد الجيم — موضع بالطائف ، والمأتم : جماعة النساء يجتمعن فى الخير أو الشر ، وأراد به هنا اجتماعهن فى الحزن

(٣) أبأتهما بابن الشريد : أى جعلتهما بواء به ، والبواء : السواء ، والمراد أنه قتلهما

(٤) يكلمنهم : يجرحنهم ، والمكلم : مصدر ميمى بمعنى الجرح

(٥) الحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوجة ، والآية : العلامة ، وذات خمار : امرأة

(٦) الغزى : الجماعة الذين يغزون

(٧) تسفع لونه : غيره إلى السفعة ، وهى سواد بحمرة ، والوغر : شدة الحر

مُشُطَ الْعِظَامِ تَرَاهُ آخِرَ لَيْلِهِ   مُتَسَرْبِلاً فِي دِرْعِهِ لِغِوَارِ (١)

إِذْ لاَ أَزَالُ عَلَى رِحَالَةِ نَهْدَةٍ
جَرْدَاءَ تُلْحِقُ بِالنِّجَادِ إِزَارِي (٢)

يَوْماً عَلَى أَثَرِ النِّهَابِ وَتَارَةً   كُتِبَتْ مُجَاهَدَةً مَعَ الْأَنْصَارِ (٣)

وَزُهَاءَ كُلِّ خَمِيلَةٍ أَزْهَقْتُهَا   مَهْلاً تَمَهَّلَهُ وَكُلِّ خَبَارِ (٤)

كَيْمَا أُغَيِّرَ مَا بِهَا مِنْ حَاجَةٍ   وَتَوَدُّ أَنِّي لاَ أَؤُوبُ فَجَارِ (٥)

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة، قال: أُسر زُهَيْر بن الْعَجْوَة الْهُذَلي يوم حُنَين، فكتف، فرآه جميل بن معمر الجمحي، فقال له: أنت الماشي لنا بالمغايظ، فضرب عنقه، فقال أبو خراش الهذلي يرثيه، وكان ابن عمه: —

أبو خراش الهذلي يرثي زهير بن العجوة الهذلي

عَجَّفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ
بِذِي فَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ (٦)

---

(١) مشط العظام: قليل اللحم الذى على العظام، وهو بضمتين أو بفتح فسكون، والغوار ـ بكسر الغين المعجمة ـ مصدر غاوره، والمغاورة مثله

(٢) الرحالة: السرج، والنهدة ـ بفتح النون وسكون الهاء ـ الغليظة وأراد بها فرسا، والجرداء: قصيرة الشعر، والنجاد ـ بزنة كتاب ـ حمائل السيف

(٣) النهاب: جمع نهب، وهو ما يغنم وينهب

(٤) الخميلة: الرملة الطيبة ينبت فيها شجر، والخبار: أرض لينة التراب

(٥) أؤوب: أرجع، وفجار: فعال كقطام من الفجور، وهو معدول عن فاجرة، وكان من حق هذه الصيغة ألا يستعملها فاعلا، لأنها خاصة بالنداء

(٦) عجف: أضعف وأهزل، والأرامل: جمع أرملة، وهى المرأة التى لا زوج لها

طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ لَيْسَ بِجَيْدَرٍ
إِذَا اهْتَزَّ وَاسْتَرْخَتْ عَلَيْهِ الْحَمَائِلُ (١)

تَكَادُ يَدَاهُ تُسْلِمَانِ إِزَارَهُ
مِنَ الْجُودِ لَمَّا أَزْلَقَتْهُ الشَّمَائِلُ (٢)

إِلَى بَيْتِهِ يَأْوِى الضَّرِيكُ إِذَا شَتَا
وَمُسْتَنْبِحٌ بَالِى الدَّرِيسَيْنِ عَائِلُ (٣)

تَرَوَّحَ مَقْرُورًا وَهَبَّتْ عَشِيَّةً لَهَا حَدَبٌ تَحْتَثُّهُ فَيُوَائِلُ (٤)

فَمَا بَالُ أَهْلِ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا
وَقَدْ بَانَ مِنْهَا اللَّوْذَعِىُّ الْحُلَاحِلُ (٥)

فَأُقْسِمُ لَوْ لَاقَيْتَهُ غَيْرَ مُوثَقٍ
لَآبَكَ بِالنَّعْفِ الضِّبَاعُ الْجَيَائِلُ (٦)

---

(١) الجيدر - بالجيم - القصير

(٢) الجود هنا الجوع كما قال الخشنى ، ويحتمل أن يكون باقيا على أصله . أزلقته : أدركته وحددت ناظره ، والشمائل : جمع شمال وهو الطبع

(٣) الضريك : الفقير ، والمستنبح : الذى يضل بالليل ويتحير فينبح فتجيبه الكلاب فيقصدها ، والدريس : الثوب الخلق ، وأراد بالدريسين إزاره ورداءه ، والعائل : الفقير

(٤) المقرور : الذى أصابه القر ، وهو البرد ، والحدب : الارتفاع ، وتحتثه : تسوقه سوقا سريعا ، ويروى « تجتثه » بالجيم مكان المهملة — ومعناه تقتلعه من الأرض ، ويوائل : يطلب موئلا وهو الملجأ

(٥) لم يتصدعوا : لم يتفرقوا ، وبان : بعد ، واللوذعى : الذكى ، والحلاحل : السيد

(٦) لآبك : رجع إليك وزارك ، والنعف : أسفل الجبل ، والضباع : نوع من السباع ، والجيائل : جمع جيأل ، وهو من أسماء الضبع

وَإِنَّكَ لَوْ وَاجَهْتَهُ أَوْ لَقِيتَهُ فَنَازَلْتَهُ أَوْ كُنْتَ مِمَّنْ يُنَازِلُ

لَظَلَّ جَمِيلٌ أَفْحَشَ الْقَوْمِ صِرْعَةً
وَلَـكِنَّ قِرْنَ الظَّهْرِ لِلْمَرْءِ شَاغِلُ (١)

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَاأُمَّ ثَابِتٍ
وَلَـكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلَاسِلُ

وَعَادَ الْفَتَى كَالشَّيْخِ لَيْسَ بِفَاعِلٍ
سِوَى الْحَقِّ شَيْئاً وَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ (٢)

وَأَصْبَحَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ كَأَنَّمَا
أَهَالَ عَلَيْهِمْ جَانِبَ التُّرْبِ هَائِلُ (٣)

فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي نَسِيتُ لَيَالِيًا
بِمَكَّةَ إِذْ لَمْ نَعْدُ عَمَّا نُحَاوِلُ (٤)

إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بِعِزَّةٍ
وَإِذْ نَحْنُ لَا تُثْنَى عَلَيْنَا الْمَدَاخِلُ (٥)

---

(١) صرعة — بكسر فسكون — اسم هيئة من الصرع ، وقرن الظهر : هو الذى يأتيه من وراء ظهره من حيث لايراه

(٢) العواذل : اللوائم ، واحدهن عاذلة

(٣) أهال : هو فى التراب مثل صب فى الماء

(٤) نعد : نشتغل ونمتنع

(٥) بعزة — بالعين المهملة والزاى — كذا وقع فى نسختين ، وفى نسخة أبو ذر « بغرة » بغين معجمة وراء مهملة ، وهى الغفلة ، ولاتثنى : تعطف ويروى فى مكانه « لاتبنى » مبنيا للمعلوم

قال ابن إسحق : وقال مالك بن عوف ، وهو يعتذر يومئذ من فراره : ـ

قصيدة لمالك بن عوف يعتذر عن فراره

مَنَعَ الرُّقَادَ فَمَا أُغَمِّضُ سَاعَةً
نَعَمٌ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخَضْرَمُ (١)

سَائِلْ هَوَازِنَ هَلْ أَضُرُّ عَدُوَّهَا
وَأُعِينُ غَارِمَهَا إِذَا مَا يَغْرَمُ

وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ فِئَتَيْنِ مِنْهَا حَاسِرٌ وَمُلَأَّمُ (٢)
وَمُقَدَّمٍ تَعْيَا النُّفُوسُ لِضِيقِهِ قَدَّمْتُهُ وَشُهُودُ قَوْمِي أَعْلَمُ (٣)
فَوَرَدْتُهُ وَتَرَكْتُ إِخْوَانًا لَهُ يَرِدُونَ غَمْرَتَهُ وغَمْرَتُهُ الدَّمُ (٤)

فَإِذَا انْجَلَتْ غَمَرَاتُهُ أَوْرَثْنَنِي
مَجْدَ الْحَيَاةِ وَمَجْدَ غُنْمٍ يُقْسَمُ (٥)

كَلَّفْتُمُونِي ذَنْبَ آلِ مُحَمَّدٍ وَاللهُ أَعْلَمُ مَنْ أَعَقُّ وَأَظْلَمُ
وَخَذَلْتُمُونِي إِذْ أُقَاتِلُ وَاحِدًا وَخَذَلْتُمُونِي إِذْ تُقَاتِلُ خَثْعَمُ

---

(١) النعم ـ بفتحتين ـ الابل ، ويقال : كل ماشية أكثرها إبل فهى نعم ، وأجزاع الطريق : ماانعطف منه ، ومخضرم : قد قطع من آذانه ليكون ذلك علامة له

(٢) الكتيبة : الجيش ، سميت بذلك لاجتماعها ، والحاسر : الذى لادرع له ، والملأم : الذى لبس اللأمة ، وهى الدرع

(٣) مقدم ـ بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المهملة مفتوحة ـ الموضع الذى لايتقدم فيه إلا الشجعان ، وهو اسم مكان من قدم ـ بتضعيف حشوه

(٤) غمرته : معظمه

(٥) المجد : الشرف

وَإِذَا بَنَيْتُ ٱلْمَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُكُمْ
لاَ يَسْتَوِى بَانٍ وَآخَرُ يَهْدِمُ

وَأَقَبَّ مِخْمَاصِ الشِّتَاءِ مُسَارِعٍ
فِى ٱلْمَجْدِ يُنْمَى لِلْعُلاَ مُتَكَرِّمِ (١)

أَكْرَهْتُ فِيهِ أَلَّةً يَزَنِيَّةً
سَحْمَاءَ يَقْدُمُهَا سِنَانٌ سَلْجَمُ (٢)

وَتَرَكْتُ حَنَّتَهُ تَرُدُّ وَلِيَّهُ
وَتَقُولُ : لَيْسَ عَلَى فُلاَنَةَ مُقْدَمُ (٣)

وَنَصَبْتُ نَفْسِى لِلرِّمَاحِ مُدَجَّجًا
مِثْلَ الدَّرِيَّةِ تُسْتَحَلُّ وَتُشْرَمُ (٤)

كلمة لبعض هوازن

قال ابن إسحق : وقال قائل من هوازن أيضا ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف ، بعد إسلامه : —

---

(١) أقب : ضامر الخصر ، ومخماص : ضامر البطن

(٢) الألة ـ بفتح الهمزة وتشديد اللام مفتوحة ـ الحربة ، ويزنية : منسوبة إلى ذى يزن ، وهو أحد ملوك حمير ، وسحماء : سوداء العصا ، وسنان سلجم : أى طويل

(٣) حنته : زوجته ، سميت بذلك لأنها تحن إليه ويحن هو إليها

(٤) مدججا : كامل السلاح ، والدرية : حلقة تنصب ليتعلم الطعن فيها وأصلها دريئة ، نخفف الهمزة بقلبها ياء ثم أدغم الياء فى الياء ، وتشرم : تقطع ، وهو مبنى للمجهول

أُذْكُرْ مَسِيرَهُمُ للنَّاسِ إِذْ جَمَعُوا
وَمَالِكٌ فَوْقَهُ الرَّايَاتُ تَخْتَفِقُ
وَمَالِكٌ مَالِكٌ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ
يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْهِ التَّاجُ يَأْتَلِقُ (١)
حَتَّى لَقُوا الْبَأْسَ حِينَ الْبَأْسُ يَقْدُمُهُمْ
عَلَيْهِمُ الْبِيضُ وَالأَبْدَانُ وَالدَّرَقُ (٢)
فَضَارَبُوا النَّاسَ حَتَّى لَمْ يَرَوْا أَحَدًا
حَوْلَ النَّبِيِّ وَحَتَّى جَنَّهُ الْغَسَقُ (٣)
ثُمَّتَ نُزِّلَ جِبْرِيلٌ بِنَصْرِهِمُ
مِنَ السَّمَاءِ فَمَهْزُومٌ وَمُعْتَنَقُ
مِنَّا ، وَلَوْ غَيْرَ جِبْرِيلٍ يُقَاتِلُنَا
لَمَنَعَتْنَا إِذًا أَسْيَافُنَا الْعُتُقُ (٤)
وَفَاتَنَا عُمَرُ الْفَارُوقُ إِذْ هُزِمُوا
بِطَعْنَةٍ بَلَّ مِنْهَا سَرْجَهُ الْعَلَقُ (٥)

أبيات لامرأة من بنى جشم

وقالت امرأة من بنى جُشَم ، ترثى أخوين لها أصيبا يوم حنين (٦) : —

---

(١) يأتلق : يلمع
(٢) البيض : جمع بيضة الحديد ، والأبدان : الدروع ، والدرق : جمع درقة
(٣) جنه : ستره وأخفاه ، والغسق : الظلمة ، وأراد بها ظلمة الغبار
(٤) العتق : القديمة ، واحدها عتيق ، مثل رغيف ورغف
(٥) العلق : الدم ، ووقع صدر البيت فى بعض النسخ « وفاتنى . . . »
(٦) انظر (ص ٩٠ من هذا الجزء)

أَعَيْنَيَّ جُودَا عَلَى مَالِكٍ   مَعًا وَالْعَلَاءِ وَلَا تَجْمُدَا

هُمَا الْقَاتِلَانِ أَبَا عَامِرٍ   وَقَدْ كَانَ ذَا هَبَّةٍ أَرْبَدَا

هُمَا تَرَكَاهُ لَدَى مُجْسَدٍ   يَنُوءُ نَزِيفاً وَمَا وُسِّدَا [1]

كلمة لأبى ثواب زيد بن صحار

وقال أبو ثَوَاب زيدُ بن صُحَار أحد بنى سعد بن بكر : —

أَلَا هَلْ أَتَاكَ أَنْ غَلَبَتْ قُرَيْشٌ   هَوَازِنَ وَالْخُطُوبُ لَهَا شُرُوطُ

وَكُنَّا يَاقُرَيْشُ إِذَا غَضِبْنَا   يَجِيءُ مِنَ الْغِضَابِ دَمٌ عَبِيطُ [2]

وَكُنَّا يَا قُرَيْشُ إِذَا غَضِبْنَا   كَأَنَّ أُنُوفَنَا فِيهَا سَعُوطُ [3]

فَأَصْبَحْنَا تُسَوِّقُنَا قُرَيْشٌ   سِيَاقَ الْعِيرِ يَحْدُوهَا النَّبِيطُ [4]

فَلَا أَنَا إِنْ سُئِلْتُ الْخَسْفَ آبٍ   وَلَا أَنَا أَنْ أَلِينَ لَهُمْ نَشِيطُ [5]

سَيُنْقَلُ لَحْمُهَا فِي كُلِّ فَجٍّ   وَتُكْتَبُ فِي مَسَامِعِهَا الْقُطُوطُ

[ويروى «الخطوط» وهذا البيت فى رواية ابن سعد [6]]

قال ابن هشام : ويقال : أبو ثواب زياد بن ثواب ، وأنشدنى خَلَفٌ الأحمر قوله : —

---

(١) ينوء : ينهض متثاقلا ، والنزيف : الذى سال دمه حتى ضعف

(٢) الدم العبيط : الطرى

(٣) السعوط : مايجعل فى الأنف

(٤) النبيط : قوم من العجم كانوا يسكنون سواد العراق

(٥) الخسف : الذل والهوان ، وآب : ممتنع

(٦) سقطت هذه العبارة من أكثر النسخ ، والذى نعتقده أنها من حشو بعض النساخ ، وليست من أصل الكتاب ، فان ابن سعد متأخر الوفاة عن ابن هشام

يَجِيءُ مِنَ الْعِضَابِ دَمٌ عَبِيطُ

وآخرها بيتاً عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : فأجابه عبد الله بن وهب ، رجل من بنى تميم ثم من بنى أُسَيِّد ، فقال : —

عبد الله بن وهب يجيب أبا ثواب

بِشَرْطِ اللهِ نَضْرِبُ مَنْ لَقِينَا   كَأَفْضَلِ مَا رَأَيْتَ مِنَ الشُّرُوطِ
وَكُنَّا يَا هَوَازِنُ حِينَ نَلْقَى   نَبُلُّ الْهَامَ مِنْ عَلَقٍ عَبِيطِ (١)
بِجَمْعِكُمُ وَجَمْعِ بَنِى قَسِيٍّ   نَحُكُّ الْبَرْكَ كَالْوَرَقِ الْخَبِيطِ (٢)
أَصَبْنَا مِنْ سَرَاتِكُمُ وَمِلْنَا   نُقَتِّلُ فِى الْمُبَايِنِ وَالْخَلِيطِ
بِهِ الْمُلْتَاثُ مُفْتَرِشٌ يَدَيْهِ   يَمُجُّ الْمَوْتَ كَالْبَكْرِ النَّحِيطِ (٣)
فَإِنْ تَكُ قَيْسُ عَيْلَانٍ غِضَاباً   فَلَا يَنْفَكُّ يُرْغِمُهُمْ سَعُوطِى

وقال خَدِيجُ بن الْعَوْجَاء النَّصْرِىّ :—

أبيات لخديج ابن العوجاء النصرى

لَمَّا دَنَوْنَا مِنْ حُنَيْنٍ وَمَائِهِ   رَأَيْنَا سَوَاداً مُنْكَرَ اللَّوْنِ أَخْصَفَا (٤)

---

(١) الهام : الرءوس ، والعلق : الدم ، والعبيط : الطرى ، يريد أنهم يقتلون من يحاربونهم

(٢) بنوقسى : هم ثقيف ، والبرك : الصدر ، والورق الخبيط : هو الذى يخبط بالعصا ليسقط فتأكله الماشية

(٣) الملتاث : اسم رجل فى هذا الموضع ، والبكر : الفتى من الإبل ، والنحيط : هو الذى يردد النفس فى صدره حتى يسمع له دوى ، وذلك إذا ذبح ، يريد أنه قتل

(٤) السواد : أراد به أشخاصا ظهروا من بعيد ، والأخصف : الذى فيه ألوان

بِمَلْمُومَةٍ شَهْبَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا
شَمَارِيخَ مِنْ عُرْوَى إِذَنْ عَادَ صَفْصَفَا (١)

وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَاتُهُمْ
إِذَنْ مَا لَقِينَا الْعَارِضَ الْمُتَكَشِّفَا (٢)

إِذَنْ مَا لَقِينَا جُنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا وَاسْتَمَدُّوا بِخِنْدِفَا (٣)

ذكر غزوة الطائف بعد حُنين ، في سنة ثمان

ولما قدم فَلُّ ثقيف الطائفَ أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وَصنعوا الصنائع للقتال ، ولم يشهد حُنَيْناً ولا حصار الطائف عُرْوَةُ بن مسعود ، ولا غَيْلَان بن سَلَمَة ؛ كانا بجُرَشَ يتعلّمان صَنْعة الدَّبّابات والمجانيق وَالضُّبور (٤)

سير النبي إلى الطائف

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف — حين فرغ من حنين — فقال كعب بن مالك حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف : —

قصيدة لكعب بن مالك

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا (٥)
نُخَبِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا

---

(١) ملمومة : كتيبة مجتمعة ، وشهباء : يريد أن لونها الشهبة من كثرة السلاح ، والشماريخ : أعالي الجبال ، واحدها شمراخ ، وعروى : اسم جبل ، ويروى بالدال المهملة وبالراء ، والصفصف : المستوى من الأرض

(٢) العارض : السحاب

(٣) خندف : اسم قبيلة ، سميت بأمها ، ولهذه التسمية قصة

(٤) الدبابات : آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود ثم يدخل فيها الرجال

(٥) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز ، والريب : الشك ، وأجممنا : أرحنا

فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إنْ لَم تَرَوْهَا ... بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلوفا (١)

وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ ... وَتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا (٢)

وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرْعَانُ خَيْلٍ ... يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعاً كَثِيفَا (٣)

إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ ... لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا (٤)

بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٌ ... يُزِرْنَ الْمُصْطَلِينَ بِهَا الْحُتُوفَا (٥)

كَأَمْثَالِ العَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا ... قُيُونُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفَا (٦)

تَخَالُ جَدِيَّةَ الْأَبْطَالِ فِيهَا ... غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيًّا مَدُوفَا (٧)

---

(١) الحاضن : المرأة التي تحضن ولدها ، وساحة الدار : وسطها ، ويقال : الساحة الفناء

(٢) العروش هنا : سقف البيوت ، ووج : موضع ، والخلوف : الغائبون هنا

(٣) السرعان : المتقدمون السابقون ، وكثيفا : أراد كثيرا ، وأصله الملتف بعضه ببعض ، ويروى فى مكانه « كشيفا » بالشين المعجمة فى مكان الثاء — وهو الظاهر

(٤) الرجيف : هو الصوت الشديد مع زلزال ، وهو من الرجفة ، ويروى « وجيفا » بالواو فى مكان الراء — وهو السريع ، يريد تسمعون صوته بسرعة

(٥) القواضب : السيوف ، والمرهفات : المحددة أو القاطعة ، والمصطلون بها : المباشرون لها ، يريد أعداءهم الذين يضربونهم بها

(٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهى هنا شعاع البرق ، والكتيف — بالتاء المثناة — جمع كتيفة ، وهى صفائح الحديد التى تضرب للأبواب وغيرها

(٧) الجدية : الطريقة من الدم ، و « غداة الزحف » أى دنو بعض

أَجَدَّهُمُ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنَ الْأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا (١)
يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالنُّجُبَ الطُّرُوفَا (٢)
وَأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفَا
رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْبًا نَقِيَّ الْقَلْبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفَا (٣)
رَشِيدَ الْأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقًا خَفِيفَا (٤)
نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبًّا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَؤُوفَا
فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السِّلْمَ نَقْبَلْ
وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُدًا وَرِيفَا (٥)
وَإِنْ تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرْ
وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشًا ضَعِيفَا (٦)
نُجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيفَا (٧)

الناس من بعض ، وأراد يوم القتال والحرب ، ويروى « غداة الروع » أى يوم الفزع ، وهو يوم القتال أيضا ، والجادى — بتشديد الياء — هو الزعفران ، والمدوف : المختلط ، وهو اسم مفعول من داف الطيب ونحوه يدوفه

(١) العريف هنا : العارف

(٢) النجب : جمع نجيب ، وهو العتيق الكريم ، والطروف : جمع طرف — بكسر فسكون — وهو الكريم من الخيل أيضا

(٣) العزوف عن الشيء : الصابر عليه المنصرف عنه ، وأراد أنه عزوف عن كل ما يشين الرجال

(٤) النزق — مثل فرح — الكثير الطيش

(٥) الريف : الموضع المخصب على الماء

(٦) الرعش : المتقلب غير الثابت

(٧) الاذعان : الانقياد فى ذل ، والمضيف : الذى يشفق منه ويخاف

نُجَاهِدُ لاَ نُبَالِى مَنْ لَقِينَا ... أَأَهْلَكْنَا التِّلاَدَ أَمِ الطَّرِيفَا (١)

وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلَبُوا عَلَيْنَا ... صَمِيمَ الْجِذْمِ مِنْهُمْ وَالْحَلِيفَا (٢)

أَتَوْنَا لاَ يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً ... فَجَدَّعْنَا الْمَسَامِعَ وَالْأُنُوفَا (٣)

بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ ... نَسُوقُهُمُ بِهَا سَوْقًا عَنِيفَا (٤)

لِأَمْرِ اللهِ وَالْإِسْلاَمِ حَتَّى ... يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَدِلًا حَنِيفَا

وَتُنْسَى اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَوَدٌّ ... وَنَسْلُبُهَا الْقَلاَئِدَ وَالشُّنُوفَا (٥)

فَأَمْسَوْا قَدْ أَقَرُّوا وَاطْمَأَنُّوا ... وَمَنْ لاَ يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسُوفَا (٦)

فأجابه كنانة بن عبد يا ليل بن عمرو بن عُمَير ، فقال : —

كلمة لكنانة بن عبد ياليل يجيب فيها كعب بن مالك

مَنْ كَانَ يَبْغِينَا يُرِيدُ قِتَالَنَا ... فَإِنَّا بِدَارٍ مَعْلَمٍ لاَ نَرِيمُهَا (٧)

وَجَدْنَا بِهَا الْآبَاءَ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى ... وَكَانَتْ لَنَا أَطْوَاؤُهَا وَكُرُومُهَا (٨)

---

(١) التليد : المال القديم ، والطريف : المال المحدث

(٢) ألبوا علينا : جمعوا علينا الناس ، والجذم ـ بكسر فسكون ـ الأصل

(٣) جدعنا : قطعنا ، وأكثر استعمال هذا اللفظ فى قطع الآنف خاصة

(٤) لين ـ بفتح فسكون ـ مخفف لين ـ بتشديد الياء مكسورة ـ وعنيف: ليس فيه رفق

(٥) الشنوف : جمع شنف ، وهو القرط الذى يلبس فى الأذن

(٦) الخسوف هنا : الذل والمهانة

(٧) دار معلم : مشهورة معروفة ، ولا نريمها : لا نبرحها ولا نزول عنها

(٨) أطواء : جمع طوى ، وهى البئر ، ويروى « أطوادها » بالدال ـ وهو جمع طود ، وهو الجبل

وَقَدْ جَرَّبَتْنَا قَبْلُ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ   فَأَخْبَرَهَا ذُورَأْيِهَا وَحَلِيمُهَا

وَقَدْ عَلِمَتْ إِنْ قَالَتِ الْحَقَّ أَنَّنَا
إِذَا مَا أَبَتْ صُعْرُ الْخُدُودِ نُقِيمُهَا (١)

نُقَوِّمُهَا حَتَّى يَلِينَ شَرِيسُهَا   وَيُعْرَفَ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ ظَلُومُهَا (٢)

عَلَيْنَا دِلَاصٌ مِنْ تُرَاثِ مُحَرِّقٍ   كَلَوْنِ السَّمَاءِ زَيَّنَتْهَا نُجُومُهَا (٣)

نُرَفِّعُهَا عَنَّا بِبِيضٍ صَوَارِمٍ
إِذَا جُرِّدَتْ فِي غَمْرَةٍ لَا نَشِيمُهَا (٤)

أبيات لشداد بن عارض الجشمي

قال ابن إسحق : وقال شداد بن عارض الْجُشَمِي فى مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :ـ

لَا تَنْصُرُوا اللَّاتَ إِنَّ اللهَ مُهْلِكُهَا
وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ

إِنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسُّدِّ فَاشْتَعَلَتْ   وَلَمْ تُقَاتِلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ (٥)

إِنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلْ بِلَادَكُمُ   يَظْعَنْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ

طريق رسول الله

قال ابن إسحق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَخْلَةَ اليمانية ، ثم على قَرْن ، ثم على الْمُلَيْح ، ثم على بَحْرَةِ الرُّغَاء من لِيَّة ، فابتنى بها مسجدا فصلى فيه .

---

(١) صعر الخدود : هى المائلة إلى جهة من الكبر والعجب

(٢) الشريس : الشديد الصعب الانقياد

(٣) دلاص : هى الدروع اللينة ، ومحرق : هو عمرو بن عامر ، وهو أول من حرق بالنار من العرب

(٤) لانشيمها : أراد ههنا لانغمدها فى قربها ، ويقال : شمت السيف ، إذا أغمدته ، ويقال : شمته ، إذا سللته ، فهو من الأضداد

(٥) الهدر : الباطل الذى لايؤخذ بثأره

أول دم أقاده به رسول الله

قال ابن إسحق : فحدثنى عَمْرو بن شعيب أنه أقاد يومئذ ببَحْرَة الرُّغاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم أُقيد به فى الإسلام ، رجلٌ من بنى ليث قَتَلَ رجلا من هُذَيْل ، فقتله به ،

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو بلِيَّةَ — بحِصْنِ مالك ابن عَوْف فَهُدِم ،

ثم سلك فى طريق يقال لها الضَّيْقة ، فلما توجَّه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها ، فقال : « مَا اسْمُ هٰذِهِ الطَّرِيق » ؟ فقيل له : الضَّيْقة ، فقال : « بَلْ هِيَ الْيُسْرَى » ثم خرج منها على نَخْب حتى نزل تحت سِدْرَة يقال لها الصَّادِرة ، قريبا من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إمَّا أَنْ تَخْرُجْ ، وَإمَّا أَنْ نُخَرِّبَ عَلَيْكَ حَائِطَكَ » فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من الطائف فضرب به عسكره ، فقُتِل نَاسٌ من أصحابه بالنَّبْل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ، فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بِضْعًا وعشرين ليلة .

رسول الله يأمر بإخراب حائط لرجل من ثقيف

قال ابن هشام : ويقال : سَبْعَ عَشَرَةَ ليلة

قال ابن إسحق : ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أمُّ سَلَمَةَ ابنة أبى أُمَيَّة فضرب لهما قُبَّتَيْن ، ثم صلى بين القبتين ، ثم أقام ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرُو بن أمية بن وَهْب بن مُعَتِّب بن مالك مسجدا ، وكانت فى ذلك المسجد سارية — فيما يزعمون — لا تطلع

الشمس عليها يوما من الدهر إلا سمع لها نقيض [١] ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديداً وَتَرَامَوْا بالنَّبْل

رسول الله أول من رمى بالمنجنيق فى الاسلام

قال ابن هشام : ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ، حدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى فى الإسلام بالمَنْجَنِيق ، رمى أهل الطائف

قال ابن إسحق : حتى إذا كان يوم الشدْخَة ، عند جدار الطائف دخل نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دَبَّابة ، ثم زَحَفُوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكَكَ الحديد مُحمَاةً بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقَطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون ، وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف فناديا ثقيفا أن أمنونا حتى نكلمكم ، فأمنوهما ، فدَعَوَا نساء من نساء قريش و بنى كنانة ليخرجن إليهما وهما يخافان عليهنَّ السباء ، فأَبَيْنَ ، منهن آمنة بنت أبى سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة .

أهل ثقيف وشأنهم مع أبى سفيان والمغيرة

قال ابن هشام : ويقال : إن أم داود ميمونة بنت أبى سفيان ، وكانت عند أبى مرة بن عروة بن مسعود فولدت له داود بن أبى مرة .

قال ابن إسحق : وَالْفِرَاسِيَّةُ بنت سُوَيْدِ بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن بن قارب ، وَالْفُقَيْمِيَّةِ أُمَيْمَة بنت الناسىء أُمَيَّة بن قَلْع ؛ فلما أَبَيْن عليهما قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان وَيامغيرة ، ألا

---

(١) النقيض : الصوت

أدلكما على خيرٍ مما جئتما له ؟ إن مال بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف نازلا بوادٍ يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رِشاء ولا أشدُّ مؤونة ولا أبعد عِمَارَةً من مال بنى الأسود ، وإن محمدا إن قطعه لم يَعْمُرْ أبدا ، فكلِّماه فليأخذه لنفسه أو لِيَدَعْه لله والرحم ، فان بيننا وبينه من القرابة مالا يجهل ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم

وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : « ياأبَا بَكْرٍ ، إنى رأيت أنى أهْدِيَتْ لى قَعْبَةٌ (١) مملوءة [زُبْدًا] فَنَقَرَهَا ديكٌ فَهَرَاقَ مافيها » فقال أبو بكر : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ماتريد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنَا لاأرَى ذَلك » .

ثم إن خُوَيْلَةَ ابنة حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُّلَمية وهى امرأة عثمان بن مَظْعون ، قالت : يارسول الله ، أعطنى إن فتح الله عليك الطائفَ حُلِيَّ بادية ابنة غَيْلَان بن سَلَمَة ، أو حُلِيَّ الْفَارعة بنت عَقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف ، فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها « وإن كَانَ لَمْ يُؤْذَن لِى فِى ثَقِيفٍ يَاخُوَيْلة » فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : [يارسول الله] ما حديثٌ حَدَّثَتْنيه خُوَيْلة ، زعمت أنك قلته ، قال : « قَدْ قلته » قال : أوماأذِن لك فيهم يارسول الله ؟ قال « لا » قال : أفلا أؤَذِّن بالرحيل ؟ قال : « بلى » قال : فأذَّن عمر بالرحيل ، فلما استقل الناس نادى سعيد بن عُبَيْد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إن الحىَّ مقيم ، قال : يقول عيينة

---

(١) القعبة - بفتح فسكون - القدح

ابن حصن : أجَلْ والله مَجدَةً كِرَامًا ، فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله ياعيينة ! ! أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إنى والله ماجئت لأقاتل ثقيفا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتَّطِئُهَا لعلها تلد لى رجلا ، فان ثقيفا قوم مناكير

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى إقامته ، ممن كان محاصراً بالطائف عَبِيدٌ ، فأسلموا ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُكَدَّمٍ ، عن رجال من ثقيف ، قالوا : لما أسلم أهل الطائف تكلَّم نفر منهم فى أولئك العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لاَ ، أُولَئِكَ عُتَقَاءُ اللهِ» وكان ممن تكلم فيهم الحرث بن كَلَدَةَ

قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحق من نزل من أولئك العبيد

قال ابن إسحق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمروان بن قيس الدَّوْسِيِّ ، وكان قد أسلم وظَاهَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف ــ وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قيس : « خُذْ يَامَرْوَانُ بِأَهْلِكَ أولَ رَجُلٍ تَلْقَاهُ مِنْ قَيْسٍ » فلقى أُبَيَّ بن مالك القُشَيْرِيَّ فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله ، فقام فى ذلك الضَّحَّاك بن سُفْيان الكِلاَبِيُّ . فكلم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان وأطلق لهم أُبَيَّ بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه وبين أُبَيِّ بن مالك : ــ

أَتَنْسَى بَلَائِى يَا أُبَىَّ بْنَ مَالِكٍ
غَدَاةَ الرَّسُولُ مُعْرِضٌ عَنْكَ أَشْوَسُ (١)
يَقُودُكَ مَرْوَانُ بْنُ قَيْسٍ بِحَبْلِهِ
ذَلِيلاً كَمَا قِيدَ الذَّلُولُ الْمُخَيَّسُ (٢)
فَعَادَتْ عَلَيْكَ مِنْ ثَقِيفٍ عِصَابَةٌ
مَتَى يَأْتِهِمْ مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يُقْبِسُوا (٣)
فَكَانُوا هُمُ الْمَوْلَى فَعَادَتْ حُلُومُهُمْ
عَلَيْكَ وَقَدْ كَادَتْ بِكَ النَّفْسُ تَيْأَسُ (٤)

قال ابن هشام «يُقْبِسُوا» عن غير ابن إسحق

تسمية شهداء يوم الطائف

قال ابن إسحق: وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف

من قريش، ثم من بنى أُمَيَّة بن عبد شمس: سَعِيدُ بن سعيد بن العاص بن أمية، وعُرْفُطَة بن جَنَّاب حليف لهم من الأسْد بن الغوث

قال ابن هشام: ويقال ابن حُبَاب

قال ابن إسحق: ومن بنى تَيْم بن مُرَّة: عبد الله بن أبى بكر الصديق. رُمِيَ بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) البلاء هنا: النعمة، والأشوس: الذى يعرض بنظره إلى جهة أخرى

(٢) الذلول: الذى تروضه حتى يذل وينقاد، ووقع فى بعض النسخ «الذليل» والمخيس: المذلل

(٣) مستقبس الشر: الذى يطلبه، وأصل المستقبس الذى يطلب قبسا من النار، وقوله «يقبسوا» معناه يعطوه ما يطلبه

(٤) الحلوم: العقول

ومن بنى مَخْزُوم : عبدُ الله بن أبى أمية بن المغيرة ، من رَمْيَةٍ رُمِيهاَ يومئذ .

ومن بنى عَدِىٍّ بن كعب : عبدُ الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم

ومن بنى سَهْم بن عَمْرو : السائب بن الحرث بن قيس بن عدى ، وأخوه عبدالله بن الحرث

ومن بنى سعد بن لَيْث : جُلَيْحَة [1] بن عبد الله

واستشهد من الأنصار : من بنى سلمة : ثابتُ بن الجِذْعِ ، ومن بنى مازن بن النجار : الحرثُ بن سَهْلِ بن أبى صَعْصَعَة ، ومن بنى ساعدة : المنذرُ بن عبد الله ، ومن الأوس : رُقَيْمُ بن ثابت بن ثعلبة بن زيد ابن لَوْذَان بن معاوية

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناعشر رجلا : سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القتال والحصار قال بُجَيْر بن زُهَيْر بن أبى سُلْمى يذكر حُنَيْنًا والطائف :

كلمة لبجير بن زهير فى حنين والطائف

كَانَتْ عُلاَلَةُ يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ
وَغَدَاةَ أوْطَاسٍ وَيَوْمَ الْأَبْرَقِ [2]

---

(١) جليحة ـ بالجيم بعدها لام وبعد الياء حاء مهملة ـ هذا هو الصواب فى اسمه ، وهو المذكور فى أكثر أصول الكتاب وفى الاصابة للحافظ بن حجر ، ووقع عند أبى ذر « حليمة » قال : « ومن بنى سعد بن بكر حليمة بن عبد الله ، يروى بالحاء المهملة ، ويروى أيضا جليحة بالجيم فى الأول والحاء المهملة فى الثانى وهكذا ذكره أبو عمرو » اه

(٢) العلالة ههنا : التكرار ، وأصله الشرب بعد الشرب ؛ وحنين ـ بتشديد

جَمَعَتْ بِإِغْوَاءِ هَوَازِنُ جَمْعَهَا فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ الْمُتَمَزِّقِ (١)
لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَاماً وَاحِدًا إِلاَّ جِدَارَهُمُ وَبَطْنَ الْخَنْدَقِ
وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لِكَيْمَا يَخْرُجُوا فَتَحَصَّنُوا مِنَّا بِبَابٍ مُغْلَقِ
تَرْتَدُّ حَسْرَانًا إِلَى رَجْرَاجَةٍ شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بِالْمَنَايَا فَيْلَقِ (٢)
مَلْمُومَةٍ خَضْرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا حِصْنًا لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ (٣)
مَشْيَ الضِّرَاءِ عَلَى الْهِرَاسِ كَأَنَّنَا قُدُرٌ تَفَرَّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِي (٤)
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَحْصَنَتْ
كَالنِّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَقْرِقِ (٥)
جُدْلٌ تَمَسُّ فُضُولُهُنَّ نِعَالَنَا مِنْ نَسْجِ دَاوُدٍ وَآلِ مُحَرِّقِ (٦)

الياء مكسورة ـ تصغير حنين ، وأوطاس : اسم موضع (انظر : هـ ١ ص ٦٥ من هذا الجزء) والأبرق فى الأصل : الجبل الذى فيه ألوان من الحجارة ، وهو ههنا موضع بعينه

(١) الاغواء : مصدر أغوى إذا حرض على الغى وهو ضد الرشد ،

(٢) حسرانا : الحسرى : جمع حاسر ، وهو الذى لادرع له ، أو هو جمع حسير وهو المعيي ، والرجراجة : الكتيبة التى يموج بعضها فى بعض ، وشهباء : يروى فى مكانه « خضراء » والفيلق : الجيش الكثير

(٣) حصنا : يروى فى مكانه « حضرا » بالحاء المهملة والضاد ـ اسم جبل

(٤) الضراء : جمع ضار ، وهو الأسد المفترس ، والهراس : نبات له شوك ، وفدر : يروى بالفاء وبالقاف ؛ فأما من رواه بالفاء فهو جمع فادر ، وهو الوعل (تيس الجبل) وأما من رواه بالقاف فانما عنى بها الخيل التى تضع أرجلها فى مواضع أيديها إذا مشت

(٥) السابغة : الدرع الكاملة ، والنهى ـ بكسر فسكون أو فتح فسكون ـ الغدير من الماء ، والمترقرق : المتحرك المضطرب

(٦) الجدل : جمع جدلاء ، وهى الدرع الجيدة النسج

أمر أموال هوازن وسباياها ، وعطايا المؤلفة قلوبهم منها ، وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دُحْنَا حتى نزل الجِعْرَانة فيمن معه من الناس ، ومعه من هوازن سَبْيٌ كثير ، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يارسول الله ، ادْعُ عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفاً وَائْتِ بِهِمْ » .

ثم أتاه وَفْدُ هوازن بِالجِعْرَانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَبْي هوازن ستةُ آلافٍ من الذَّرَارى والنساء ، ومن الإبل والشاء مالايدرى ماعِدَّتُه

قال ابن إسحق : فحدثنى عمرو بن شُعَيْب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله ابن عمرو ، أن وَفْدَ هوازن أتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلموا ، فقالوا : يارسول الله ، إنا أَصْلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء مالم يَخْفَ عليك ، فَامْنُنْ علينا مَنَّ الله عليك ، قال : وقام رجل من هوازن ، ثم أحد بنى سعد بن بكر يقال له زهير، يكنى أبا صُرَد ، فقال : يارسول الله ، إنما فى الحَظَائِرِ (١) عَمَّاتُكَ وَخَالاَتُكَ وحَوَاضِنك (٢) اللاتى

---

(١) الحظائر : جمع حظيرة ، وأصلها مايصنع للابل والغنم ليكفها ويمنعها الانفلات

(٢) حواضنك : يريد النساء اللاتى أرضعنك ، لأن حاضنة رسول الله من بنى سعد وهم من هوازن

كُنَّ يَكْفُلْنَكَ ، ولو أنا مَلَحْنَا (١) للحرث ابن أبى شمر أو للنُّعْمَان بن المنذر ، ثم نزل منّا بمثل الذى نزلتَ به رَجَوْنَا عَطْفَهُ وعائدته (٢) علينا ، وأنت خَيْرُ المكفولين

قال ابن هشام : ويروى: ولو أنا مَالَحنَا الحرثَ بن أبى شمر أو النعمان ابن المنذر

رسول الله يرد على هوازن السبايا

قال ابن إسحق : فحدثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ » ؟ فقالوا : يارسول الله ، خَيَّرْتَنَا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا ، فقال لهم : « أَمَّا مَا كَانَ لِى وَلِبَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ ، وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ فَقُومُوا فَقُولُوا إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] فِى أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ »

المهاجرون والانصار يردون السبايا

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا مَا كَانَ لِى وَلِبَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الأَقْرَعُ بن حَابِسٍ : أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال عَبَّاسُ بن مِرْدَاسٍ : أما أنا وبنو سليم فلا ، فقالت بنو سليم : بَلَى ،

---

(٣) ملحنا : أرضعنا ، والملح : الرضاع

(٤) عائدته : فضله

ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يقول عَبَّاس بن مِرْدَاس لبنى سُلَيم : وهَّنْتُمُونى (١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أمَّا مَنْ تَمَسَّكَ مِنْــكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هٰذَا السَّبْىِ فَلَهُ بِــكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ سَبْيٍ أُصِيبُهُ » فَرَدُّوا إِلَى النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وِنساءهم

قال ابن إسحق : وحدثنى أبو وَجْزَةَ يزِيدُ بن عبيد السعدى ، أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم أعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه جارِيةً يقال لها رَيْطَة بنت هِلاَل بن حَيَّان بن عُمَيْرة بن هِلاَل بن ناصرة (٢) بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر، وأعطى عثمان بن عفان جاريةً يقال لها زينب بنت حَيَّان بن عمرو بن حَيَّان ، وأعطى عُمَرَ بن الخطاب جاريةً فوهبها لعبد الله بن عُمرَ ابنه

قال ابن إسحق : فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبدالله بن عمر ، قال : بعثت بهــا إلى أخوالى من بنى جُمَح ليصلحوا لى منهــا ويُهَيِّؤها حتى أطُوفَ بالبيت ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال : فخرجت من المسجد — حين فرغت — فاذا الناس يَشْتَدُّون ، فقلت : ماشأنكم ؟ قالوا : ردَّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا ، فقلت : تِلْــكُمْ صاحبتكم فى بنى جُمَح فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها

قال ابن إسحق : وأما عُيَيْنَة بن حِصْنٍ فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن

---

(١) وهنتمونى : أضعفتمونى بمخالفتكم إياى

(٢) قال أبو ذر : « قوله فى نسب ريطة : ابن ناصرة بن قصية ، كذا وقع ههنا بفتح القاف وضمها ، وفصية ـ بالفاء المضمومة ـ ذكره ابن دريد ، وقال : هو تصغير فصاة » اه

وقال حين أخذها : أرى عجوزاً ، إنى لأحسب لها فى الحىِّ نَسَباً ، وعسى أن يَعْظُم فداؤها ، فلما رَدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بِستٍّ فرائض أبى أن يردها ، فقال له زهير أبو صُرَد : خذها عنك فوالله مافُوها ببارد ، ولاثَدْيُهَا بناهد ، ولابطنها بوالد ، ولازوجها بواجد [1] ، ولادَرُّها بماكد [2] فردها بست فرائض حين قال له زهير ماقال ، فزعموا أن عيينة لقى الأقرع بن حابس فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ماأخذتها بيضاء غَرِيرَةً [3] ولا نَصَفًا وَثِيرَةً [4]

إسلام مالك بن عوف النصرى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن وسألهم عن مالك ابن عوف ، مافعل؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَخْبِرُوا مَالِكاً أَنَّهُ إِنْ أَتَانِى مُسْلِماً رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ» فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف ، وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يَعْلَموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال فيحبسوه ، فأمر براحلته فَهُيِّئَتْ له ، وأمر بفرس له فأُتِى به إلى [الطائف] ، فخرج ليلا ، فجلس على فرسه فرَكَضَه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بِالجِعْرَانة ، أو بمكة ، فردَّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الابل ، وأسلم فحسن إسلامه ، فقال مالك بن عَوْف حين أسلم : —

---

(١) ولا زوجها بواجد : يريد أن زوجها لايحزن عليها لأنها عجوز كبيرة

(٢) ولا درها بماكد : الدر اللبن ، والماكد هنا : الغزير

(٣) الغريرة : المتوسطة فى السن من النساء

(٤) الوثيرة : السمينة اللينة الرطبة ، من قولهم : فراش وثير ، إذا كان لينا رطبا

أبيات لمالك بن عوف حين أسلم

مَا إنْ رَأَيْتُ وَلاَ سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِى النَّاسِ كُلِّهِمِ بِمِثْلِ مُحَمَّدِ

أوْفَى وَأعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتُدِى

وَمَتَى تَشَأ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِى غَدِ (١)

وَإذَا الْكَتِيبَةُ عَرَّدَتْ أَنْيَابُهَا

بِالسَّمْهَرِىِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ (٢)

فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسْطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِى مَرْصَدِ (٣)

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل ثُمَالَة وَسَلِمَة وَفَهْم ، فكان يقاتل بهم ثقيفا ، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلا أغار عليه ، حتى ضَيَّقَ عليهم ، فقال أبو مِحْجَن بن حبيب بن عمرو بن عُمَيْر الثَّقَفِيّ : —

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ثُمَّ تَغْزُونَا بَنُو سَلِمَهْ

وَأَتَانَا مَالِكٌ بِهِمُ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرُمَهْ

وَأَتَوْنَا فِى مَنَازِلِنَا وَلَقَدْ كُنَّا أُولِى نِقِمَهْ

قسم فىء هوازن

قال ابن إسحق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين إلى أهلها ركب ، واتبعه الناس يقولون : يارسول الله ، اُقسم علينا فَيْأَنَا من الابل والغنم ، حتى ألجؤه إلى شجرة فاختطفت عنه رداءه ، فقال :

---

(١) اجتدى : طلبت منه الجدى ، وهى العطية

(٢) عردت : عرجت ومالت ، والسمهرى : الرمح ، والمهند : السيف

(٣) الأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد ، والهباءة أيضا : الغبرة ، والخادر : الداخل فى خدره ، والخدر : غابة الأسد ، والمرصد : الموضع الذى يرصد منه ويرقب

« رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي أَيُّهَا النَّاسُ فَوَاللهِ أَنْ لَوْ كَانَ لَكُمْ بِعَدَدِ شَجَرِ تِهَامَةَ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ ثُمَّ مَا أَلْفَيْتُمُونِي بَخِيلاً وَلاَ جَبَانًا وَلاَ كَذُوبًا » ثم قام إلى جنب بعير فأخذ وَبَرَةً من سنامه [1] بين أصبعيه ثم رفعها ، ثم قال: « أَيُّهَا النَّاس وَاللهِ مَا لِي مِنْ فَيْئِكُمْ وَلاَ هٰذِهِ الْوَبَرَةُ إِلاَّ الْخُمُسُ ، وَالْخُمُس مَرْدُود عَلَيْكُمْ ؛ فَأَدُّوا الْخِيَاطَ [2] وَالْمِخْيَطَ فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَاراً وَنَاراً وَشَنَاراً [3] يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قال : فجاء رجل من الأنصار بكُبَّة من خيوط شعر ، فقال : يارسول الله ، أخذتُ هذه الكُبَّة أعمل بها بَرْذَعَةَ بعيرٍ لى دَبِرٍ ، فقال : « أَمَّا نَصِيبِي مِنْهَا فَلَكَ » قال : أمَّا إِذ بلغَتْ هذا فلا حاجة لى بها ، ثم طرحها من يده

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حُنَيْن على امرأته فاطمة ابنة شيبة بن ربيعة وسيفه مُتَلَطِّخ دمًا ، فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ أَخَذَ شيئا فَلْيَرُدَّهُ حتى الخِيَاطَ وَالْمِخْيَطَ ، فرجع عقيل فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت فأخذها فألقاها فى الغنائم

المؤلفة قلوبهم وأعطياتهم

قال ابن إسحق : وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المُؤَلَّفَةَ قلوبهم ، وكانوا أشرافا من أشراف الناس ، يتألَّفُهُمْ ويتألَّفُ بهم قومهم ؛

(١) السنام ـ بزنة سحاب ـ أعلى ظهر البعير
(٢) الخياط ـ بزنة كتاب ـ هو الخيط ، والمخيط ـ بزنة منبر ـ الابرة
(٣) الشنار : أقبح العار

فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحرث بن الحرث بن كَلَدَة أخا بنى عبد الدار مائة بعير

قال ابن هشام : نُصَيْر بن الحرث بن كَلَدَة ، ويجوز أن يكون اسمه الحرث أيضا .

قال ابن إسحق : وأعطى الحرث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حُوَيْطِبَ بن عبد العزى بن أبى قيس مائة بعير ، وأعطى الْعَلاَءَ بن جارية الثقفى حليف بنى زهرة مائة بعير ، وأعطى عُيَيْنَةَ بن حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمى مائة بعير ، وأعطى مالك بن عَوْفٍ النَّصْرِى مائة بعير ، وأعطى صَفْوان بن أمية مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين ، وأعطى دون المائة رجالا من قريش : منهم مَخْرَمَةُ بن نوفل الزُّهرى ، وعمير بن وَهْب الْجُمَحِى ، وهشامُ بن عمرو أخو بنى عامر بن لؤى ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن يَرْبُوع بن عَنْكَثَة ابن عامر بن مخزوم خمسين من الابل ، وأعطى السَّهْمِيَّ خمسين من الابل .

قال ابن هشام : واسمه عدىّ بن قيس

العباس بن مرداس يسخط عطاءه ويعاتب النبى فيه

قال ابن إسحق : وأعطى عَبَّاسَ بن مِرْدَاس أباعِرَ فَسَخِطَهَا فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

كَانَتْ نِهَاباً تَلاَفَيْتُهَا
بِكَرِّى عَلَى الْمُهْرِ فِى الْأَجْرَعِ [1]

---

(١) الضمير المستتر فى « كانت » يعود إلى الابل والماشية ، والنهاب :

وَإِيقَاظِى الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا ... إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعِ (١)

فَأَصْبَحَ نَهْبِى وَنَهْبُ الْعُبَيْـ ... ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ (٢)

وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرَإٍ ... فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعِ (٣)

إِلَّا أَفَائِلَ أُعْطِيتُهَا ... عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْبَعِ (٤)

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ شَيْخِىَ فِى الْمَجْمَعِ (٥)

وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا ... وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

قال ابن هشام : أنشدنى يونس النحوى :

فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى الْمَجْمَعِ

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذْهَبُوا بِهِ فَاقْطَعُوا عَنِّى لِسَانَهُ » فَأَعْطَوْه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم

جمع نهب ، وهو ماينهب ويغنم ، والأجرع : المكان السهل

(١) هجع : نام

(٢) العبيد : اسم فرس العباس بن مرداس

(٣) تدرأ ـ بضم فسكون ففتح ـ يريد ذا دفع وصد لغارات الأعداء ، من قولك:درأه ، إذا دفعه ومنعه

(٤) أفائل : جمع أفيل ، وهو الصغير من الابل

(٥) حصن : هو أبو عيينة ، وحابس : هو أبو الأقرع ، وأراد بشيخه أباه ، ويروى شيخى بتشديد الياء ـ على أنه مثنى شيخ ، وأراد بهما أباه وجده ، ورواه أهل الكوفة « يفوقان مرداس » على ما ذكره ابن هشام عن يونس شيخ سيبويه ، واستدلوا بهذه الرواية على أن الشاعر إذا اضطر ساغ له أن يترك صرف الاسم المنصرف

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن عباس بن مرداس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنْتَ الْقَائِلُ فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ » فقال أبو بكر الصديق : بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُمَا وَاحِدٌ » فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله (٣٦: ٦٩) : (وما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ)

أعطى رسول الله رجالا من قريش وغيرهم

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم فأعطاهم يوم الجِعْرَانة من غنائم حُنَين

من بنى أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وطليق ابن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار بن قُصَى : شَيْبَةُ بن عُثْمَان بن أبى طلحة بن عبد العُزَّى ابن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السَّنَابل بن بَعْكَك بن الحرث بن عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، وعِكْرِمَة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار .

ومن بنى مَخْزُوم بن يَقَظَة : زهيرُ بن أبى أمية بن المغيرة ، والحرث بن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، والسائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدى بن كعب : مطيعُ بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة ، وأبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم .

ومن بنى جُمَحَ بن عمرو : صفوانُ بن أميَّة بن خَلَف ، وأُحَيْحَةُ بن أميَّة بن خلف ، وعُمَيْر بن وهب بن خلف

ومن بنى سَهْم : عدىٌّ بن قَيْس بن حُذَافة

ومن بنى عامر بن لؤى : حوَيْطب بن عبد العُزَّى بن أبى قيس بن عبد ود ، وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحرث بن حبيب

ومن أفناء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفلُ ابن معاوية بن عُرْوَة بن صَخْر بن رَزْن بن يَعْمَر بن نُفَاثة بن عدى بن الدِّيل ؛ ومن بنى قَيْس ، ثم من بنى عامر بن صَعْصَعَة ، ثم من بنى كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة : علقمةُ بن عُلاَثة بن عَوْف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب ، ولَبِيدُ بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب ؛ ومن بنى عامر بن ربيعة : خالدُ بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ، وحَرْمَلَة بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو ؛ ومن بنى نَصْر ابن معاوية : مالكُ بن عَوْف بن سعيد بن يَرْبُوع ؛ ومن بنى سُلَيم ابن منصور : عبَّاس بن مِرْدَاس بن أبى عامر ، أخو بنى الحرث بن بُهْثَة ابن سُلَيم ؛ ومن بنى غَطَفَان ، ثم من بنى فَزَارَة : عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيفة ابن بدر ؛ ومن بنى تميم ، ثم من بنى حَنْظَلة : الأقرع بن حابس بن عِقَال ، من بنى مجاشع بن دارم

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمِى ، أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يارسول الله ، أعْطَيْتَ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ وَالْأَقْرَعَ بن حابس مائةً مائةً وَتركتَ جُعَيْلَ ابن سُرَاقة الضَّمْرِىَّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَا وَالَّذى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَجُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ خَيْرٌ مِنْ طِلَاعِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ

مِثْلُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَلَكِنِّي تَأَلَّفْتُهُمَا لِيُسْلِمَا ووَكَلْتُ جُعَيْلَ بْنَ سُرَاقَةَ إِلَى إِسْلَامِهِ »

شأن ذي الخويصرة التميمي

قال ابن إسحق : وحدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر ، عن مِقْسَمٍ أبى القاسم مولى عبد الله بن الحرث بن نوفل ، قال : خرجتُ أنا وتَلِيدُ بن كلاب الليثى حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت مُعَلِّقًا نعله بيده ، فقلنا له : هل حَضَرْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كَلَّمه التميمى يوم حُنَيْن ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم يقال له ذوالْخُوَيْصِرَةِ ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يامحمد ، قد رَأَيتُ ماصَنَعْتَ فى هذا اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« أَجَلْ فَكَيْفَ رَأَيْتَ » ؟ فقال : لم أَرَكَ عَدَلْتَ ، قال : فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال « وَيْحَكَ ! ! إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَدْلُ عِنْدِى فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ » ؟ فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ألا أقتله ؟ فقال : « لاَ ، دَعْهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِى الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ يُنْظَرُ فِى النَّصْلِ فَلاَ يُوجَدُ شَىْءٌ ثم فِى الْقِدْحِ فَلاَ يُوجَدُ شَىْءٌ ثُمَّ فِى الْفُوقِ فَلاَ يُوجَدُ شَىْءٌ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ »

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن على بن الحسين أبو جعفر ، بمثل حديث أبى عبيدة ، وسماه ذا الخويصرة

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن أبيه ، بمثل ذلك

قال ابن هشام : ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى

فى قريش وقبائل العرب ولم يُعْطِ الأنْصَار شيئا ، قال حسان بن ثابت يعاتبه فى ذلك :

قصيدة لحسان فى غضبه لعدم عطاء الانصار

زَادَ الْهُمُومُ فَمَاءُ الْعَيْنِ مُنْحَدِرُ سَحًّا إِذَا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ (١)

وَجْداً بِشَمَّاءَ إِذْ شَمَّاءُ بَهْكَنَةٌ هَيْفَاءُ لاَ دَنَسٌ فِيهَا وَلاَ خَوَرُ (٢)

دَعْ عَنْكَ شَمَّاءَ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا

نَزْرًا وَشَرُّ وِصَالِ الْوَاصِلِ النَّزِرُ (٣)

وَائْتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَاخَيْرَ مُؤْتَمَنٍ

لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَاعُدِّدَ الْبَشَرُ

عَلاَمَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْىَ نَازِحَةٌ

قُدَّامَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا (٤)

سَمَّاهُمُ اللهُ أَنْصَارًا بِنَصْرِهِمُ

دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ (٥)

---

(١) السح : الصب ، تقول : سح المطر ، إذا صب ماءه صبا ، وحفلته : جمعته ، ومنه قيل لمجتمع الناس محفل ، والعبرة : الدمعة ، ودرر : أى سائلة

(٢) الوجد : الحزن ، وشماء : اسم امرأة ، وبهكنة : كثيرة اللحم ، وهيفاء : ضامرة البطن ، وقوله « لادنس » تروى هذه الكلمة بثلاث روايات ، هذه إحداها ، وهى ظاهرة ، والثانية « لادنن » بالدال المهملة وبنونين بعدها ، والدنن : غؤور الصدر وتطامنه ، والرواية الثالثة « لاذنن » بذال معجمة ونونين ، والذنن : القذر ، ومنه الذنين ، وهو ما يسيل من الأنف ، والخور : الضعف

(٣) نزرا : قليلة

(٤) نازحة : بعيدة ، وقدام : أمام ، وأراد بالقوم الذين آووا وقومه الأنصار

(٥) عوان الحرب : التى قوتل فيها المرة بعد المرة ، وتستعر : تلتهب وتشتعل

وَسَارَعُوا فِى سَبِيلِ اللهِ وَاعْتَرَفُوا
لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجِرُوا (١)

وَالنَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا
إِلاَّ السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزَرُ (٢)

نُجَالِدُ النَّاسَ لاَ نُبْقِى عَلَى أَحَدٍ وَلاَ نُضَيِّعُ مَا تُوحِى بِهِ السُّوَرُ

وَلاَ تُهِرُّ جُنَاةُ الْحَرْبِ نَادِينَا وَنَحْنُ حِينَ تَلَظَّى نَارُهَا سُعُرُ (٣)

كَمَا رَدَدْنَا بِبَدْرٍ دُونَ مَا طَلَبُوا أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الظَّفَرُ

وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أُحُدٍ
إِذْ حَزَّبَتْ بَطَرًا أَحْزَابَهَا مُضَرُ (٤)

فَمَا وَنَيْنَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا
مِنَّا عِثَارًا وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا (٥)

مقالة الأنصار وخطبة رسول الله فيهم

قال ابن هشام : حدثنى زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحق ، قال : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخُدْرى ، قال : لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وفى قبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء

(١) اعترفوا : أراد صبروا ، وما خاموا : أى ما جبنوا ، وما ضجروا : يريد ما أصابهم ضجر ولا قلق

(٢) ألب : متألبون مجتمعون علينا ، والوزر : الملجأ

(٣) لاتهر : لاتكره ، والنادى : المجلس ، وسعر : جمع سعير ، وهو توقد الحرب واشتعالها ، شبه أنفسهم به فى الحدة والمضاء.

(٤) النعف : أسفل الجبل ، وحزبت : جمعت وأعان بعضها بعضا

(٥) ونينا : فترنا وضعفنا

وَجَدَ هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم الْقَالَة (١) ، حتى قال قائلهم : لقى والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فدخل عليه سَعْد ابن عُبَادة ، فقال : يارسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبتَ ، قَسَمْتَ فى قومك وأعطيت عطايا عِظَاماً في قبائل العرب ، ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شىء ، قال : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَاسَعْدُ » ؟ قال : يارسول الله ، ماأنا إلا من قومى ، قال : « فَاجْمَعْ لِى قَوْمَكَ فِى هٰذِهِ الْحَظِيرَةِ » (٢) قال : فخرج سعد فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة ، قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ (١) بلغتنى عَنْكُم ؟ وَجِدَةٌ (٣) وَجَدْتُمُوهَا عَلَىَّ فِى أَنْفُسِكُم ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللهُ (٤) وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُم » قالوا : بلى ، الله ورسوله أَمَنُّ وَأَفْضَلُ (٥) ، ثم قال : « أَلَا تُجِيبُونِى يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ » ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟

---

(١) القالة : الكلام الردىء

(٢) الحظيرة : هى فى الأصل مكان يتخذ للابل والغنم يمنعها الانفلات ويمنعها هجمات اللصوص والوحوش

(٣) الجدة ـ بكسر الجيم وفتح الدال ـ أراد بها الموجدة ، وهى العقاب وأكثر ما تستعمل الجدة فى المال

(٤) العالة : الفقراء

(٥) أمن : هو أفعل تفضيل من المنة ، وهى النعمة

لله ورسوله المنُّ والفضل ، قال صلى الله عليه وسلم : « أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيداً فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ [(١)] أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِى أَنْفُسِكُمْ فِى لَعَاعَةٍ [(٢)] مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ أَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللهِ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا [(٣)] وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ » قال : فبكى القوم حتى أَخْضَلُوا لحاهم [(٤)] ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسْمًا وَحَظًّا ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

عُمْرَةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرَانَةِ

واستخلافه عَتَّابَ بن أسيد على مكة، وَحَجُّ عَتَّاب بالمسلمين ، سنة ثمان

قال ابن إسحق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرَانة معتمرا ، وأمر ببقايا الْفَيء فحُبِسَ بِمَجَنَّة بناحية مَرِّ الظَّهْرَان ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عُمْرَته انصرف راجعا إلى المدينة واستخلف عَتَّاب بن أسيد على مكة ، وَخَلَّفَ معه مُعَاذ بن جَبَل يُفَقِّه

---

(١) آسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا

(٢) اللعاعة : بقلة حمراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها

(٣) الشعب ـ بكسر فسكون ـ الطريق بين جبلين

(٤) أخضلوا لحاهم : بلوها بالدموع ، والغصن الخضل : هو الذى بله المطر

الناس فى الدين ويعلمهم القرآن ، واتَّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفىء

رسول الله يرزق عامله كل يوم درهما

قال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه : قال لما استعمل النبى صلى الله عليه وسلم عَتَّاب بن أسيد على مكة رَزَقه كلَّ يوم دِرْهَمًا ، فقام ، فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجَاعَ الله كبد من جاعَ على درهم ، فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كلَّ يوم ، فليست بى حاجة إلى أحد

وقت عمرة رسول الله

قال ابن إسحق : وكانت عُمْرَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى بقية ذى القعدة ، أو فى أول ذى الحجة

قال ابن هشام : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بَقِينَ من ذى القعدة ، فيما قال أبو عمرو المدنى

قال ابن إسحق : وَحَجَّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عَتَّاب بن أسيد ، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ، ما بين ذى القعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع

أمر كَعْب بن زُهَيْر ، بعد الانصراف عن الطائف

نصيحة بجير لاخيه كعب

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مُنْصَرَفه عن الطائف كتب بُجَيْرُ بن زُهَيْر بن أبى سُلْمَى إلى أخيه كَعْب بن زُهَيْر يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ابنَ الزَّبَعْرَى وهُبَيْرَةَ بن أبى وهب قد هربوا فى كل وَجْه ، فان كانت لك فى نفسك حاجة فَطِرْ إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فانه لايقتل أحدا جاءه تائبا ، و إن أنت لم تفعل فَانْجُ إلى نَجَائِكَ من الأرض ، وكان كعب [بن زهير] قد قال : —

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً
فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ وَيْحَكَ هَلْ لَكَا

فَبَيِّنْ لَنَا إنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ
عَلَى أيِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَا

عَلَى خُلُقٍ لَمْ أُلْفِ يَوْمًا أَبًا لَهُ عَلَيْهِ وَمَا تُلْفِي عَلَيْهِ أَبًا لَكَا

فإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ
وَلاَ قَائِلٍ إمَّا عَثَرْتَ لَعاً لَكَا (١)

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيَّةً
فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا (٢)

قال ابن هشام : ويروى « المأمور » وقوله « فبين لنا » عن غير ابن إسحق ، وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً
فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَا

شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأْساً رَوِيَّةً
فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وعَلَّكَا (٢)

---

(١) بآسف : أراد لست بنادم ، وقوله « لعالك » هذه كلمة تقال للعاثر ، يدعى له بها ، ومعناها قم وانتعش

(٢) أنهلك : سقاك النهل ، وهو الشرب الأول ، وعلك : سقاك العلل ، والعلل : الشرب الثاني

وَخَالَفْتَ أسْبَابَ الْهُدَى وَاتَّبَعْتَهُ
عَلَى أىِّ شَىْءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمًّا وَلاَ أَبًا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخاً لَكَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تفعلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ
وَلاَ قَائِلٍ إمَّا عَثَرْتَ لَعًا لَكَا

قال : وبعث بها إلى بُجَير ، فلما أتت بُجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع « سَقَاكَ بِهَا المأمون »: « صَدَقَ وَإِنَّهُ لَكَذُوبٌ ، أنا المأمون » ولما سمع « عَلَى خُلُقٍ لم تلف أما ولا أبا عليه » قال : « أَجَلْ لَمْ يُلْفِ عَلَيْهِ أبَاهُ وَلاَ أمه » ثم قال بجير لكعب : —

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِى الَّتِى
تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلاً وَهِىَ أحْزَمُ
إلَى الله، لاَ الْعُزَّى وَلاَ اللاَّتِ ، وَحْدَهُ
فتَنْجُو إذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لاَ يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ
مِنَ النَّاسِ إلاَّ طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زُهَيْرٍ وَهْوَ لاَ شَىْءَ دِينُهُ وَدِينُ أَبِى سُلْمَى عَلَىَّ مُحَرَّمُ

قال ابن إسحق : وإنما يقول كعب « المأمون » (ويقال « المأمور » فى قول ابن هشام) لقول قريش الذى كانت تقوله فى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فلما بلغ كعباً الكتابُ ضاقت به الأرض ،

خوف كعب ومجيئه المدينة

وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه ، فقالوا : هو مقتول ، فلما لم يجد من شىء بُدًّا قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينةَ ، كما ذكر لى ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه ، فذُكِر لى أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يارسول الله ، إن كعب ابن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » قال : أنا يارسول الله كعب بن زهير

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يارسول الله ، دَعْنِى وَعَدُوَّ الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «دَعْهُ عَنْكَ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا نَازِعًا عَمَّا كَانَ عليه » قال : فغضب كعبٌ على هذا الحى من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

قصيدة كعب فى مدح النبى وهى البردة

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ ‏ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ (١)

---

(١) البين : الفراق ، وبانت : ذهبت وفارقت ، وسعاد : اسم امرأة ، ومتبول : هالك ، من التبل — بفتح فسكون — وهو الهلاك وطلب الثأر ، ومتيم : معبد مذلل ، ومنه سموا تيم اللات : أى عبدها ، ويروى «متيم عندها لم يجز»

وَمَا سعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلَوْا
إلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ (١)

[هَيْفَاءُ مُقْبِــلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً
لاَ يُشْتَــكَى قِصَرٌ مِنْهَا وَلاَ طُولُ (٢)]

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِى ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ
كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ (٣)

شُجَّتْ بِذِى شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ
صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ (٤)

تَنْفِى الرِّيَاحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ
مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ (٥)

---

(١) الأغن : الصبي الصغير الذى فى صوته غنة ، والغنة : الصوت الذى يخرج من الخياشيم ، ومعنى غضيض الطرف فاتر الجفن

(٢) الهيفاء : ضامرة البطن والخصر ، والعجزاء : عظيمة العجيزة ، وهى الردف

(٣) تجلو : تصقل ، والعوارض : الأسنان ، و « ذى ظلم » هو الفم ، والظلم ـ بفتح فسكون ـ ماء الأسنان وبريقها ، ومنهل : اسم مفعول من أنهله إذا سقاه نهلا ، والراح : اسم من أسماء الخمر ، ومعلول : اسم مفعول من عله إذا سقاه عللا

(٤) شجت : مزجت ، وأراد بذى شبم الماء البارد ، والشبم ـ بفتحتين ـ البرد ، والمحنية : منتهى الوادى ، ويقال : هو ما انعطف منه ، والأبطح : الموضع السهل ، ومشمول : هبت عليه ريح الشمال ، وهى عندهم ريح باردة إذا هبت

(٥) أراد بالقذى ما يقع فى المـاء من تبن أو عود أو غيره ، وأفرطه :

فَيَا لَهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ
بِوَعْدِهَا أَوْ لَوَ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ (١)

لَـٰكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا
فَجْعٌ وَوَلْعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ (٢)

فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا ... كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ (٣)

وَمَا تَمَسَّكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ ... إِلَّا كَمَا يُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ

فَلَا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ... إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا ... وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ (٤)

أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا
وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ (٥)

سبق إليه وملأه ، والصوب : المطر ، والغادية : السحابة التى تمطر بالغدو، واليعاليل : الحباب الذى يعلو وجه الماء ، وهو رغوة الماء

(١) الخلة هنا : الصديقة ، يقال : هى خلتى ، بمعنى صديقتى وصاحبتى، ويقال للرجل خلة أيضا ، قال شاعر الحماسة :-

أَلَا أَبْلِغَا خُلَّتِي رَاشِدًا ... وَصِنْوِي قَدِيمًا إِذَا مَا تَصِلْ

(٢) سيط : تروى هذه الكلمة بالسين المهملة وبالشين المعجمة ، فأما من رواها بالسين المهملة فقد عنى أنه خلط بدمها ما يذكر بعد ذلك من الصفات ، تقول : سطت الشىء أسوطه ، إذا خلطته ، وأما من رواها بالشين المعجمة فقد أراد معنى علي وارتفع وعلا ، والولع - بفتح فسكون - الكذب

(٣) الغول : ساحرة الجن

(٤) عرقوب : اسم رجل يضرب به المثل فى خلف الوعد

(٥) إخال - بكسر الهمزة - فعل مضارع بمعنى الظن ، وكسر همزة المضارعة فى هذا الفعل خاصه لغة تميم من بين العرب

أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبَلِّغُهَا
إِلاَّ الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ (١)
وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إِلاَّ عُذَافِرَةٌ لَهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ (٢)
مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ
عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ (٣)
تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحُزَّانُ وَالْمِيلُ (٤)
ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا
فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ (٥)

---

(١) المراسيل : السريعة

(٢) العذافرة ـ بضم العين وبعد الألف فاء مكسورة ـ الناقة الضخمة ، والأين : الفتور والاعياء ، والارقال : مصدر أرقل ، وهو ضرب من السير ، ومثله التبغيل

(٣) نضاحة : تروى هذه الكلمة بالحاء المهملة وبالخاء المعجمة ، وهى التى يرشح عرقها ، وبعض أهل اللغة يجعل النضخ بالمعجمة أكثر من النضح بالمهملة ، والذفرى ـ بكسر الذال وسكون الفاء ـ عظم فى أصل الأذن ، ويقال : هى نقرة خلف الأذن ، وهى أول مايعرق من البعير ، وعرضتها : همتها ، وهو من قولهم : بعير عرضة للسفر : أى جلد عليه قوى ، وطامس : متغير ، والأعلام : العلامات التى تكون فى الطرق يهتدى بها ، وأراد أنه ليس بها علم

(٤) الغيوب : جمع غائب ، مثل شاهد وشهود ، وحاضر وحضور ، ويروى فى مكانه « النجاد » وهو جمع نجد ، وهو ماارتفع وعلا ، وقوله « بعينى مفرد » أراد بعينين مثل عينى ثور مفرد وهو الذى انفرد فى الصحراء ولهق : هو الشديد البياض ، وهو بفتح اللام وهاؤه مكسورة أو مفتوحة ، مثل أبيض يقق ويقق ، والحزان : جمع حزن ، وهو المكان الغليظ الصلب ، والميل : جمع أميل أو ميلاء ، ويقال : الميل هو العلم الذى يبنى على الطريق

(٥) المقلد : مكان التقليد ، وهو العنق ، وفعم : أى ممتلىء ، ومقيدها : موضع التقييد منها ، وأراد به الرجل

غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ فِي دَفِّهَا سَعَةٌ قُدَّامَهَا مِيلُ (١)

وَجِلْدُهَا مِن أَطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ طِلْحٌ بِضَاحِيَةِ الْمَتْنَيْنِ مَهْزُولُ (٢)

حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ (٣)

يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ (٤)

---

(١) الغلباء : الغليظة الرقبة ، والوجناء : عظيمةالوجنتين ، والعلكوم : الشديدة ، ومذكرة : يريد أنها فى عظم خلقها تشبه الذكر من الأباعر ، والدف ـ بفتح الدال وتشديد الفاء ـ الجنب ، وقد أقام هنا الواحد عن المثنى ، فهما جنبان ، وقوله « قدامها ميل » وصف لها بطول العنق

(٢) يريد أن جلدها قوى شديد الملاسة لسمنها وضخامتها فالقراد المهزول من الجوع لايثبت عليها ولا يلزق بها ، والأطوم : هى الزرافة أو السلحفاة البرية ، شبهها بأحداهما فى الملاسة ، ويؤيسه : يذلله ويؤثر فيه ، والطلح ـ بكسر الطاء وسكون اللام ـ القراد ، والضاحية : البارزة الظاهرة ، وأراد بالمتنين ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال من عصب ولحم ، ومهزول : صفة لطلح

(٣) الحرف فى الأصل حرف الجبل ، وهو القطعة الخارجة منه ، شبه الناقة به فى الصلابة ، أو الحرف هو حرف الخط وشبه به الناقة فى الهزال والضمور ، فهذه الكلمة تحتمل هذين المعنيين ، وأبوها أخوها ، وعمها خالها يريد بهذه العبارة أنها مداخلة النسب فى الكرم فلم يدخل فى نسبها أجنبى ، والهجنة ـ بضم فسكون ـ ههنا ـ غلظ الخلق كغلظ البراذين ، والناقة مهجنة : أى كريمة ، والهجين : الكريم من الابل ، وجمعه هجائن ، والقوداء : الطويلة الظهر والعنق ، والشمليل ـ بكسر فسكون ـ السريعة

(٤) هذا البيت فى معناه تأكيد لقوله فيما سبق « وجلدها من أطوم » واللبان ـ بفتح اللام ـ الصدر ، والأقراب : الخواصر ، واحدها قرب ـ بزنة

عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ
مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ (١)

كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا
مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ (٢)

تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ
فِي غَارِزٍ لَمْ تُخَوِّنْهُ الْأَحَالِيلُ (٣)

قفل وجمل ـ وزهاليل : صفة لأقراب ولبان معا ، وهو جمع زهلول ، وهو بزنة عصفور : الأملس الناعم

(١) عيرانة : يريد أنها تشبه العير فى شدته ونشاطه ، والعير : حمار الوحش ، والنحض ـ بفتح فسكون ـ اللحم ، وأراد من أنها قذفت به أنها ممتلئة الجسم منه ، ويقال : امرأة نحيضة ، إذا كانت عبلة ضخمة كثيرة اللحم ؛ والعرض ـ بضم العين المهملة والراء ـ الجانب والناحية ، والزور ـ بفتح فسكون ـ الصدر أو وسطه أو أعلاه ، وبنات الزور : ما حوله وما يتصل به من الأضلاع ، ومفتول : مدمج محكم

(٢) وقع هـذا البيت متأخرا فى بعض النسخ عن البيتين التاليين له ، وآثرنا ترتيب هذه النسخة لموافقتها لرواية ابن هشام الأنصارى فى شرحه لهذه اللامية ، وفات : تقدم ، ومذبحها : منحرها ، وهو مكان الذبح ، والخطم ـ بفتح فسكون ـ الأنف ، واللحيان ـ بفتح فسكون ـ مثنى لحى ، وهو الحنك ، والبرطيل ـ بكسر فسكون ـ معول من حديد ، وهو أيضاً حجر مستطيل ؛ يصفها بكبر الرأس

(٣) عسيب النخل : جريده الذى لم ينبت عليه الخوص ، فان نبت عليه سمى سعفا ، والخصل ـ بضم ففتح ـ جمع خصلة ـ بضم فسكون ـ وهى اللفافة من الشعر ، وأراد بمثل العسيب ذنبها ، والغارز : أراد به ضرعها ، وتخونه : تنتقصه ، والأحاليل : جمع إحليل ، وهو بزنة قنديل مخرج البول،

قَنْوَاءُ فِى حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا
عِتْقٌ مُبِينٌ وَفِى الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ (١)

تَخْدِى عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْىَ لاَحِقَةٌ
ذَوَابِلٍ مَسُّهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ (٢)

سُمْرِ الْعُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَا زِيَمًا
لَمْ يَقِهِنَّ رُؤُسَ الْأُكْمِ تَنْعِيلُ (٣)

ومخرج اللبن من الثدى ، يريد أنها حائل لا تحلب وذلك أقوى لها على السير وأنفى للضعف عنها

(١) القنواء : المحدودبة الأنف ، والحرتان : الأذنان ، ويروى بدل قنواء « وجناء » وهى صلبة الوجنة ، ومعنى « فى حرتيها للبصير بها عتق » أن من رأى أذنيها عرف عتقها وكرمها ، وقد وقع هذا البيت متقدما على البيتين قبله مع أن البيت الذى أوله « تمر » متأخر عن البيت الذى أوله « كأنما فات ـ الخ »

(٢) تخدى : تسرع ، وروى فى مكانه « تهوى » والمعنى واحد ، واليسرات : قوائمها ، يريد أنها تحسن السير بها كلها ، واللاحقة : الضامرة الخفيفة اللحم ، وذوابل : جمع ذابل ، وهو اليابس ، وإذا كانت القوائم قليلة اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية وذلك أنشط لها وأقوى لسيرها ، وقوله « مسهن الأرض تحليل » إشارة إلى سرعة رفعها قوائمها ، يعنى أنها إنما تمس بقوائمها الأرض قليلا كمن يتحلل من يمين

(٣) العجايات ـ بضم العين المهملة ـ ومثله العجاوات : جمع عجاية أوعجاوة ، وهى لحمة متصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن ، وزيم ـ بكسر الزاى وفتح الياء ـ هوالمتفرق ، يريدأنها لشدة وطئهاالأرض تفرق الحصى ، والأكم ـ بضم الهمزة وسكون الكاف ـ مخفف من الأكم ـ بضم الهمزة والكاف جميعا ـ والأكم : جمع إكام ـ بزنة كتاب وكتب ـ

كَانَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إذَا عَرِقَتْ   وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ [(١)]

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِداً   كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ [(٢)]

وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ

وُرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا :قِيلُوا [(٣)]

والاكام : جمع أكم ـ بزنة جبل وجبال ـ والأكم : جمع أكمة ، وهى ما ارتفع من الأرض

(١) وقع هذا البيت فى بعض النسخ متأخراً عن البيتين التاليين له ههنا ، وآثرنا ترتيب هذه النسخة لما ذكرنا قريباً ، والأوب : مصدر آب بمعنى رجع ، وتلفع : التحف ، والقور : جمع قارة ، وهى الجبل الصغير ، والعساقيل : السراب ، قال الجوهرى : لم أسمع بواحده ، يريد أن يشبه رجوع ذراعى ناقته فى وقت الهاجرة ، عند اشتداد الحر وانتشار السراب فوق صغار الجبال ، بذراعى عيطل ، وسيأتى بيان المشبه به فى بيت آخر ، وهو خبر كأن الواقع فى صدر هذا البيت

(٢) الحرباء ـ بكسر فسكون ـ ضرب من العظاء ، وهو حيوان برى له سنام كسنام الجمل يستقبل الشمس ويدور معها حيث دارت ويتلون ألوانا ويقال : هى أم حبيش، وقوله « مصطخدا » أى مصطليا بحر الشمس ، ويروى فى مكانه « مرتبئا » أى مرتفعا ، وضاحيه : ما برز منه للشمس وظهر ، ومملول : محروق ، وأصله من الخبز المليل أو المملول ، وهو المصنوع فى الملة، وهى بفتح الميم وتشديد اللام الرماد الحار

(٣) الحادى : الذى يسوق الابل ، والورق: جمع أورق ، وهو الأخضر إلى سواد ، ويروى فى مكانه « بقع » وهو جمع أبقع ، والأبقع : الذى فيه ألوان ، ومثله الأرقط ، والجنادب : جمع جندب ، وهو ذكر الجراد ، ويركضن الحصى : يدفعنه ، وقيلوا : فعل أمر من قال يقيل إذا استراح وقت القيلولة ، وهو مقول القول الذى فى أول البيت

شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ ‌ ‌ ‌ قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ (١)

نَوَّاحَةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا ‌ ‌ ‌ لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ (٢)

تَفْرِى اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِدْرَعُهَا ‌ ‌ ‌ مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ (٣)

تَسْعَى الْغُوَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمُ : ‌ ‌ ‌ إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِى سُلْمَى لَمَقْتُولُ (٤)

---

(١) شد النهار : ارتفاعه وهو منصوب على الظرفية ، كما تقول : وسط النهار ، وقوله «ذراعا عيطل » هو خبر كأن الواقع فى صدر بيت سابق ، والعيطل : الطويلة ، ومثله العيطلة ، والنصف ـ بفتح النون والصاد جميعا ـ التى بين الشابة والكهلة ، والنكد : جمع نكدى ، وهى الناقة التى لا يعيش لها ولد ، والمثاكيل : جمع مثكال ، وهى الكثيرة الثكل ، والثكل : فقد الأولاد

(٢) نواحة : مبالغة فى نائحة ، والنائحة : التى تبكى ولدها ، ورخوة : مسترخية ، والضبعين : مثنى ضبع ـ بفتح فسكون ـ وهو العضد ، والبكر ـ بكسر فسكون ـ أول أولادها ، والناعون : جمع ناع ، وهو الذى يخبر بالموت ، والمعقول : العقل

(٣) تفرى : تقطع ، واللبان ـ بفتح اللام ـ الصدر ، والمدرع ـ بكسر الميم وسكون الدال وفتح الراء ـ قميصها ، ويقال له درع أيضا ، ومشقق : أراد به شقوق كثيرة ، والتراقى : جمع ترقوة ـ بفتح فسكون وضم القاف ـ وهى عظام الصدر التى تقع عليها القلادة ، ورعابيل : قطع ، تقول : رعبلت اللحم ، إذا قطعته ، ويقال : ثوب رعابيل ، وتقول : جاء فلان فى رعابيل ، تريد أنه جاء فى ثياب أخلاق ، وقولهم « ثوب رعابيل » وصفوا فيه المفرد بالجمع ، كما وصفوه به فى قولهم : ثوب أخلاق ، ومنه قول الراجز : ـ

* جَاءَ الشِّتَاءُ وَقَمِيصِى أَخْلَاقْ *

(٤) تسعى الوشاة : هو من قولهم : سعى به عند السلطان ، إذا وشى به عنده ، والوشاة : جمع واش ، وهو الذى ينقل إليك الحديث على جهة الافساد ، وإنما سمى الواشى واشيا لأنه يشى الحديث : أى يزينه وينمقه ،

وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلُهُ لاأُلْهِيَنَّكَ إِنِّى عَنْكَ مَشْغُولُ (١)

فَقُلْتُ : خَلُّوا سَبِيلِى لاَ أَبَالَكُمُ فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمنُ مَفْعُولُ (٢)

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ

يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ (٣)

نُبِّئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِى وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ (٤)

وجنابيها : ناحيتها ، وهو بفتح الجيم ؛ ويقال : الجناب ـ بزنة سحاب كما قلنا ـ فناء الدار وما قرب من محلة القوم ، وانتصاب جنابيها على أنه ظرف مكان ؛ وابن أبى سلمى : أراد به نفسه ، ونسب نفسه إلى جده ؛ فهو كعب ابن زهير بن أبى سلمى ، وسلمى : بضم السين وسكون اللام ، وليس فى العرب بهذا الضبط سواه

(١) لما سمع مقالة الوشاة التى ذكرها فى البيت السابق التجأ إلى إخوانه الذين كانوا موضع آماله ومحط رجائه فتبرؤا منه يأسا من سلامته وخوفا من غضب النبى صلى الله عليه وسلم ، وقوله « آمله » إنما أراد آمل خيره أو آمل معونته أو نحو ذلك ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وقوله « لاألهينك » معناه لا أشغلك عما أنت فيه بأن أسهله عليك وأسليك عنه فاعمل لنفسك فانى لا أغنى عنك شيئا

(٢) لما يئس من نصرة خلانه أمرهم أن يخلوا طريقه ولا يحبسوه عن المثول بنفسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمضى فيه حكمه ؛ فان نفسه قد أيقنت أن كل شىء قدره الله تعالى واقع لامحالة ، وخلوا : اتركوا وصيروه خاليا ، والسبيل : الطريق ، ويروى « خلوا طريقى »

(٣) يقول : إذا كان كل إنسان ولدته أنثى وإن عاش زمانا طويلا سالما من النوائب فانه واقع بين مخالب الموت فليس هناك مايبيح الجزع ، وليس هناك مايفرح الشامتين ، والآلة الحدباء : قيل : هى النعش الذى يحمل عليه الموتى ، وقيل : المراد الداهية

(٤) بدأ ههنا يذكر مقصده الذى مهد له بما سبق من الغزل والوصف

مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِى أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ قُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ

لاَ تَأْخُذَنِّى بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِىَّ الأَقَاوِيلُ

لَقَدْ أَقُومُ مَقَاماً لَوْ يَقُومُ بِهِ
يَرَى وَيَسْمَعُ مَا قَدْ أَسْمَعُ الْفِيلُ (١)

لَظَلَّ يُرْعَدُ إلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ
مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ (٢)

مَازِلْتُ أَقْتَطِعُ الْبَيْدَاءَ مُدَّرِعًا
جُنْحَ الظَّلاَمِ وَثَوْبُ اللَّيْلِ مَسْدُولُ (٣)

وقد شرع من هذا البيت فى التنصل مما اتهم به ، والاستعطاف ، وأنبئت — بالبناء للمجهول — أخبرت ، والنبأ : الخبر ، مستويان فى الوزن والمعنى ، وبعض أهل اللغة يخص النبأ بالخبر العظيم ، ويبعده وصفه بالعظيم فى قوله تعالى : (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) ، وقوله «أو عدنى» معناه تهددنى وذكر أنه ينالى بشر ، يقول : إنه قد ثبت لى وتواتر عندى أن رسول الله يغفر الذنب ويعفو عن المسىء .

(١) وقع عجز هذا البيت فى شرح ابن هشام الأنصارى وفى بعض نسخ الأصل هكذا : —

* أَرَى وَأَسْمَعُ مَالَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ *

(٢) وقع فى بعض النسخ صدر هذا البيت هكذا : —

* لَظَلَّ تُرْعَدُ مِنْ وَجْدٍ بَوَادِرُهُ *

والبوادر : اللحم الذى بين العنق والكتف

(٣) سقط هذا البيت من بعض نسخ الأصل ، ويروى فى بعض النسخ عجزه « وثوب الليل مسبول »

حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أُنَازِعُهَا

فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قِيلُهُ الْقِيلُ (١)

فَلَهُوَ أَخْوَفُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْؤُلُ (٢)

مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مُخْدَرُهُ

فِي بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ (٣)

يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا

لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ (٤)

إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ

أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَغْلُولُ (٥)

---

(١) وقع فى بعض الأصول « حتى وضعت يمينى ما أنازعه » والضمير المنصوب عائد على ذى نقمات

(٢) وقع فى نسخة ابن هشام الأنصارى صدر هذا البيت هكذا : ـ

* لَذَاكَ أَهْيَبُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ *

(٣) الضيغم : الأسد ، ووقع فى نسخة ابن هشام الأنصارى « من خادر من ليوث الأسد مسكنه » وأراد به الأسد أيضا ، والخادر : الداخل فى الخدر ، والخدر : الأجمة وموطن الأسد ، وضراء الأرض : ماوارك من الشجر ، ومخدر الأسد : غابته وأجمته ، وعثر ـ بفتح العين وتشديد الثاء المثلثه ـ موضع تنسب إليه الأسود ، والغيل : الأجمة أيضا

(٤) يغدو : يذهب فى أول النهار ، ويلحم : يطعم اللحم ، وماضيه ثلاثى فياء المضارعة مفتوحة أو كأكرم فياء المضارعة مضمومة ، والضرغامين : أراد بهما أسدين من أشباله ، ومعفور : ممرغ فى العفر وهو بزنة جبل التراب ، والخراديل : القطع ، تقول : خردلت اللحم ، إذا قطعته قطعا صغارا

(٥) يساور : يواثب ، تقول : ساوره ، إذا واثبه ، والقرن ـ بكسر

مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوِّ نَافِرَةً وَلاَ تَمَشَّى بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ (١)
وَلاَ يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ مُضَرَّجُ الْبَزِّ وَالدِّرْسَانِ مَأْكُولُ (٢)
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ (٣)
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُولُوا (٤)
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ
عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ (٥)

فسكون ـ الذى يقاومك فى الشجاعة ـ ومغلول : أى قد أثر فيه ، ويروى فى مكانه « مجدول » وهو المطروح على الجدالة ، وهى الأرض

(١) الجو هنا : اسم موضع ، قاله أبو ذر ، وقال ابن هشام الأنصارى : هو البر الواسع ، وأخطأ من فسره بما بين السماء والأرض ، ونافرة : يروى فى مكانه « ضامزة » بالضاد والزاى المعجمتين ـ وتقول : ضمز الرجل يضمز ضمزا ـ من باب نصر ـ إذا سكت ، وكل ساكت فهو ضامز وضموز ، والأراجيل : الجماعات من الرجال

(٢) مضرج : مخضب بالدماء ، وفى رواية ابن هشام الأنصارى « مطرح » بالطاء والحاء المهملتين ـ والبز : السلاح ، والدرسان ـ بكسر الدال وسكون الراء ـ جمع درس ، وهو الثوب الخلق البالى ، ووزنه كصنو وصنوان وقنو وقنوان ، والدرسان : معطوف على البز ، ومأكول : صفة ثانية لقوله أخو ثقة

(٣) روى « إن الرسول لسيف يستضاء به » وسيوف الهند أفضل السيوف ، ويستضاء به : أى يهتدى به إلى الحق

(٤) « فى عصبة » يروى فى مكانه « فى فتية » ، وزولوا : انتقلوا من مكان إلى مكان ، ويقصد الهجرة

(٥) أنكاس : جمع نكس ـ بكسر فسكون ـ وهو الرجل الضعيف

شُمُّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ
مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ (١)

بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ
كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ (٢)

سمى بذلك تشبيها بالنكس من السهام وهو الذى انكسر فوقه ، والكشف ـ بضم الكاف والشين المعجمة ـ جمع أكشف ، وهوالذى لاترس معه فى الحرب ، والميل : جمع أميل ، وهو الذى لاسيف معه أوهوالذى لايحسن ركوب الخيل ولا يستقر على السرج ، وقال جرير :

لَمْ يَرْكَبُوا الْخَيْلَ إلاَّ بَعْدَ مَاهَرِمُوا
فَهُمْ ثِقَالٌ عَلَى أَكْفَالِهَا مِيلُ

والمعازيل : جمع معزال ، وهو الذى لا سلاح معه ، والمشهور فى هذا المعنى أن يقال : رجل أعزل

(١) الشم : جمع أشم ، وهو الذى فى قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه ، وذلك من علامات السيادة والكرم عندهم ، والعرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف ، والأبطال : جمع بطل ، وهو الرجل الشجاع ، وسمى بذلك لأنه تبطل عنده الدماء وتهدر ولا ينال منه ثأر ، و « لبوسهم من نسج داود » أراد لبوسهم الدروع ، والهيجا : الحرب ، وأصله ممدود فقصره للضرورة ، والسرابيل : جمع سربال ، وقوله « فى الهيجا » متعلق بمحذوف حال من سرابيل

(٢) بيض : جمع أبيض ، وسوابغ : جمع سابغ ، وهوالطويل التام ، وهذان وصفان للسرابيل فى البيت السابق ، وشكت : أراد نسجت ، وأصل الشك إدخال الشىء فى الشىء ، ويروى « سكت » بالسين المهملة ، ومعناه ضيقت ، ومنه قولهم : أذن سكاء ، إذا كانت ضيقة ، والحلق ـ بفتح الحاء واللام ـ جمع حلقة ـ بفتح فسكون ـ وحكى الأصمعى أن الجمع بكسر الحاء وفتح اللام

لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمُ
قَوْماً وَلَيْسُوا مَجَازِيعاً إِذَا نِيلُوا (١)

يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ
ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ (٢)

لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمُ
وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ (٣)

قال ابن هشام : قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وبيته « حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا » وبيته « يَمْشِي الْقُرَادُ » وبيته « عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ » وبيته « تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ » وبيته « تَفْرِي اللَّبَانَ » وبيته « إِذَا يُسَاوِرُ قِرْناً » وبيته « وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ » عن غير ابن إسحق

كبدرة وبدر وقصعة وقصع ، والقفعاء - بفتح القاف وسكون الفاء بعدها عين مهملة - شجر ينبسط على وجه الأرض يشبه حلق الدروع ، ومجدول : محكم الصنعة

(١) مفاريح : جمع مفراح ، ومجازيع : جمع مجزاع ، وكلاهما صيغة مبالغة : الأول من الفرح والثانى من الجزع ، يريد أنهم إذا تغلبوا على عدوهم لم يفرحوا لذلك لأن هذا شيء قد تعودوه ، وإذا غلبهم أحد لم يجزعوا لأنهم يعلمون أن الأمور بيد الله وأنهم منتصرون عليه فى المستقبل

(٢) الزهر : جمع أزهر ، وهو الأبيض ، وعرد - بفتح العين وتشديد الراء - نكب عن قرنه وهرب منه ، والتنابيل : جمع تنبال - بكسر فسكون - وهو القصير

(٣) وصفهم بأنهم لا ينهزمون فيقع الطعن فى ظهورهم ، بل من شأنهم الأقدام على أعدائهم فيقع الطعن فى نحورهم وصدورهم ، وتهليل : فرار ، تقول : هلل عن قرنه تهليلا ، إذا فر ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع هذا البيت التفت إلى من كان بحضرته من قريش ، كأنه يومىء إليهم أن اسمعوا

قال ابن إسحق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب « إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ » و إنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به ماصنع وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَدْحَتِهِ ، غَضِبَتْ عليه الأنصار ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بَلَاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعهم من اليمن : —

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلاَ يَزَلْ ... فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ (١)

وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ ... إِنَّ الْخِيَارَهُمُ بَنُو الْأَخْيَارِ

الْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرُعٍ ... كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ (٢)

وَالنَّاظِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْإِبْصَارِ

وَالْبَائِعِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ ... لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانُقٍ وَكِرَارِ

[وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ ... بِالْمَشْرَفِيِّ وَبِالْقَنَا الْخَطَّارِ] (٣)

يَتَطَهَّرُونَ يَرَوْنَهُ نُسُكاً لَهُمْ ... بِدِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ

---

(١) أصل المقنب ـ بزنة منبر ـ الجماعة من الخيل ، وجمعه المقانب

(٢) السمهرى : الرمح ، والأذرع : جمع ذراع ، وقوله « كسوالف الهندى » يريد به حواشى السيوف ، وقد يجوز أن يكون أراد الرماح ، لأن الرماح قد تنسب إلى الهند ، كما تنسب إلى الخط

(٣) سقط هذا البيت من بعض نسخ الأصل ، وهو ثابت فى شرح أبى ذر وفى غيره من الأصول ، والذائدين : المانعين والدافعين ، وقد وقع فى نسخة « والقائدين » والمشرفى : السيف ، والخطار : المهتز

دَرِبُوا كَمَا دَرِبَتْ بِبَطْنِ خَفِيَّةٍ
غُلْبُ الرِّقَابِ مِنَ الْأُسُودِ ضَوَارِى (١)

وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمُ أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَغْفَارِ (٢)

ضَرَبُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً دَانَتْ لِوَقْعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ (٣)

لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِى كُلَّهُ فِيهِمْ لَصَدَّقَنِى الَّذِينَ أُمَارِى (٤)

قَوْمٌ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِى (٥)

[فِى الْغُرِّ مِنْ غَسَّانَ مِنْ جُرْثُومَةٍ
أَعْيَتْ مَحَافِرُهَا عَلَى المنقار] (٦)

---

(١) دربوا : تعودوا ، وخفية : موضع تنسب إليه الأسود ، وغلب الرقاب : غلاظها ، وضوار : متعودة

(٢) معاقل : جمع معقل ، وهو الموضع الذى يمتنع فيه من احتله ، والأغفار : جمع غفر ، وهو ولد الوعل

(٣) عليا : أراد به على بن مسعود بن مازن الغسانى ، وإليه تنسب بنو كنانة ، لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة بن كنانة بعد وفاته فنسبوا إليه

(٤) أمارى : أجادل

(٥) خوت النجوم : غربت فلم يكن لها تأثير على زعمهم ، والطارقين : الذين يأتون ليلا ، والمقارى : جمع مقراة ، وهى الجفنة التى يصنع فيها الطعام للأضياف

(٦) سقط هذا البيت من بعض نسخ الأصل ، وقد وجد بهامش بعض النسخ قبل البيت الأخير

الْمُطْعِمِينَ الضَّيْفَ حِينَ يَنُوبُهُمْ مِنْ لَحْمِ كُومٍ كَالْهِضَابِ عِشَارِ
وَالْمُنْعِمُونَ الْمُفْضِلُونَ إِذَا شَتَوْا وَالضَّارِبُونَ عَلَاوَةَ الْجَبَّارِ

قال ابن هشام : ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده

* بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ *

« لَوْلَا ذَكَرْتَ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ » فقال كعب هذه الأبيات وهى فى قصيدة له

قال ابن هشام : وذُكر لى عن على بن زيد بن جُدْعان أنه قال : أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد

* بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ *

غَزْوة تَبُوك فى رجب سنة تسع

[قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد ابن عبد الله الْبَكَّائى ، عن محمد بن إسحق الْمُطَّلِبى] قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مابين ذى الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بِالتَّهَيُّؤ لغزو الروم ، وقد ذكر لنا الزُّهْرِىُّ ويزيد بن رُومَان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا ، كُلٌّ حَدَّث فى غزوة تَبُوكَ مابلغه عنها ، وبعض القوم يُحَدِّث مالا يحدث بعضٌ ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمن عُسْرَةٍ من الناس ، وَشِدَّةٍ من الحر ، وجَدْب من البلاء ، وحين طابت الثمار ، والناس يُحِبُّون الْمُقَام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون

بِالْمُرْهَفَاتِ كَأَنَّ لَمْعَ ظُبَاتِهَا   لَمْعُ الْبَوَارِقِ فى الصنبر النَّارِى
لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ نَزَلَتْ بِهِمْ   شَهْبَاءُ ذَاتُ مَعَاقِمٍ وَأُوَارِ

الشُّخُوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَلَّما يخرج فى غَزْوَة إلا كَنَى عنها ، وأخبر أنه يريد غَيْرَ الوجه الذى يَصْمُدُ له [١] ، إلا ما كان من غزوة تبوك ؛ فانه بَيَّنَهَا للناس لبعد الشقَّة [٢] وشدة الزمان وكثرة العدو الذى يَصْمُدُ له ؛ ليتأهَّبَ النَّاسُ لذلك أُهْبَتَهُ ، فأمر الناسَ بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجدِّ بن قَيْسٍ أحد بنى سَلَمة: « يا جَدُّ هَلْ لَكَ الْعَامَ فِى جِلَادِ بَنِى [٣] الْأَصْفَرِ » ؟ فقال : يارسول الله ، أو تأذن لى ولا تَفْتِنِّى فوالله لقد عرف قومى أنه مامن رجل بأشدَّ عُجْبًا بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال: «قدْ أَذِنْتُ لَكَ » ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية (٩ : ٤٩) : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلاَ تَفْتِنِّى ألاَ فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) أى : إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول : وَإِنَّ جَهَنَّمَ لمن ورائه ، وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لاتنفروا فى الحر ؛ زَهَادَةً فى الجهاد وَشَكًّا فى الحق وَإِرْجافًا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم (٩ : ٨١ — ٨٢) : (وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

---

(١) يصمد إليه : يقصده ، تقول : صمدت إليه ، إذا قصدته وكانت نيتك متوجهة إليه

(٢) الشقة : بعد المسير

(٣) بنى الأصفر : اهم لروم

رسول الله يأمر بتحريق بيت يجتمع فيه المنافقون

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة ، عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن ، عن إسحق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سُوَيْلم اليهودىّ ، وكان بيته عند جَاسُوم(١) ، يُثَبِّطُونَ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبُوك ، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم طَلْحَةَ بن عبيد الله فى نفر من أصحابه ، وأمره أن يُحَرِّقَ عليهم بيت سُوَيلم ، ففعل طلحة ، فاقتحم الضَّحَّاكُ بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا ، فقال الضحاك فى ذلك : —

كَادَتْ وَبَيْتِ اللهِ نَارُ مُحَمَّدٍ
يَشِيطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أُبَيْرِقِ (٢)
وَظَلْتُ وَقَدْ طَبَّقْتُ كَبْسَ سُوَيْلِمٍ
أَنُوءُ عَلَى رِجْلِي كَسِيراً وَمِرْفَقِى (٣)
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لاَ أَعُودُ لِمِثْلِهَا أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلْ بِهِ النَّارُ يُحْرَقِ

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ فى

---

(١) جاسوم : اسم موضع قاله أبو ذر ، ولم يذكره ياقوت فى معجم البلدان ، ولم يتفق لى العثور عليه فى كتب السير ، ولم يذكره المجد فيما يذكره من الأماكن والبقاع

(٢) يشيط : يحترق ، تقول : شاط يشيط ، إذا التهب واحترق

(٣) طبقت : علوت ، والكبس ـ بفتح فسكون ـ هو البيت الصغير ، ووقع فى بعض النسخ « كيس » بالياء المثناة ، ووقع فى بعضها « كبش » بباء موحدة وشين معجمة ـ والصواب هو ما قدمناه بالباء الموحدة والسين المهملة

سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضَّ أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى ، واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها

نفقة عثمان بن عفان

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به أن عثمان بن عَفَّان أنفق فى جيش العُسْرة فى غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَهُمَّ ارْضَ عَنْ عُثْمَان ، فَإنِّى عَنْهُ رَاضٍ »

شأن البكائين

قال ابن إسحق : ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهم البكاؤن ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم : من بنى عمرو بن عوف : سالم بْن عُمير ، وعُلْبة بن زيد أخو بنى حارثة ، وأبو لَيْلَى عبدُ الرحمن ابن كعب أخو بنى مازن بن النَّجَّار ، وعمرو بن حُمَام بن الجَمُوح أخو بنى سَلَمَةَ ، وعبد الله بن المُغَفَّل المُزْنى ، وبعض الناس يقول : بل هو عبدالله ابن عمرو المزنى ، وَهَرَمِىُّ بن عبد الله أخو بنى وَاقف ، وعِرْبَاض بن سَارِيَةَ الفزارى — فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : « لا أجد ما أحملكم عليه » ، فَتَوَلَّوا وأعْيُنُهُمْ تَفِيض من الدمع حَزَناً ألا يجدوا ما ينفقون

[قال ابن إسحق] : فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النَّضْرى لقى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل ، وهما يبكيان ، فقال : مايبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ، فأعطاهما نَاضِحًا له (١) ، فارتحلاه ، وَزَوَّدَهُما شيئا من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الناضح : الجمل الذى يستقى عليه الماء .

قال ابن إسحق : وجاءه الْمُعَذِّرونَ من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يَعْذِرهم الله تعالى ، وقد ذُكِرلى أنهم نفر من بنى غِفار

تخلف بعض المسلمين

ثم اسْتَتَبَّ(١) برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وَأَجْمَعَ السَّيْرَ ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النِّيَّةُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلَّفوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب ، منهم كَعْبُ بن مالك بن أبى كعب أخو بنى سلمة ، ومُرَارة بن ربيع أخو بنى عَمْرو بن عَوْف ، وهِلاَلُ بن أُمَيَّةَ أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف ، وكانوا نَفَرَ صِدْقٍ لايُتَّهمُونَ فى إسلامهم ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثَنِيَّةِ الْوَدَاع

عامل رسول الله

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمدَ بن مَسْلمة الأنصاريَّ ، وذكر عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِيُّ (٢) عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة مَخْرَجَهُ إلى تبوك سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ

تخلف المنافقين

قال ابن إسحق : وضرب عبدُ الله بن أُبَىّ معه على حِدَةٍ عَسْكَرَهُ أسفَلَ منه نحو ذُبَاب (٣) وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين ، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلَّفَ عنه عبدُ الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرَّيْب ، وَخَلَّفَ رسول الله صلى الله عليه وَسلم علىَّ بن

---

(١) استتب : تتابع واستمر

(٢) هذا هو الأصح فى نسبه ، وقد نسبه بعضهم كما وقع فى بعض نسخ الأصل « الأندراوردى »

(٣) ذباب : اسم موضع ، قال ياقوت : « ذكره الحازمى بكسر أوله وباءين ، وقال : جبل بالمدينة له ذكر فى المغازى والأخبار ، وعن العمرانى ذباب بوزن الذباب الطائر : جبل بالمدينة ، وروضات الذباب : موضع آخر » اه كلامه

شأن على ابن أبى طالب

أبى طالب رضوان الله عليه على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ماخلفه إلا استِثْقَالاً له وتخفُّفاً منه ، فلما قال ذلك المنافقون أخذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو نازل [١] بالجُرْف ، فقال: يانبىَّ الله ، زعم المنافقون أنك إنما خَلَّفْتَنِى أنك استَثْقَلْتَنِى وتَخَفَّفْتَ منى ، فقال : « كَذَبُوا ، ولَـكِنَّنِى خَلَّفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَائِي فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِى فِى أَهْلِي وَأَهلِكَ أَفَلاَ تَرْضَى يا عَلِيُّ أَنْ تَـكُونَ مِنِّى بِمَـنْزِلَةِ هَرُونَ مِنْ مُوسَى إلاَّ أَنَّه لاَ نَبِيَّ بَعْدِى » فرجع علىٌّ إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن طَلْحَةَ بن يزيد بن رُكانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبى وَقَّاص ، عن أبيه سعد ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى هذه المقالة

قال ابن إسحق : ثم رجع علىٌّ إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره

شأن أبى خيثمة

ثم إن أبا خَيْثَمَةَ رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهله فى يوم حَار، فوجد امرأتين له فى عَرِيشَيْن [٢] لهما فى حائطه ، قد رشَّتْ كلٌّ واحدة منهما عريشها ، وَبَرَّدَتْ له فيه ماء ، وهيَّأت له فيه

---

(١) الجرف ـ بضم فسكون ـ موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة ، وفيه بئر جشم ، قالوا : سمى الجرف لأن تبعا مر به فقال : هذا جرف الأرض ، وكان يسمى العرض . قاله ياقوت

(٢) العريش : شبيه بالخيمة ، يظلل فيكون أبرد الأخبية والبيوت

طعاما ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتاله فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الضِّحِّ (١) والريح وَالْحَرِّ ، وأبو خَيْثَمَةَ فى ظلٍّ بارد وطعام مُهيَّأٌ وَامرأة حسناء فى ماله مقيم ؟ ! ! ماهذا بالنصف ثم قال : والله لا أدخل عريشَ واحدةٍ منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَهيِّئا لى زادًا ، ففعلتا ، ثم قدَّم ناضحَه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيْرُ بن وَهْبٍ الجُمَحِيُّ فى الطريق يطلبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دَنَوَا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذَنْباً فلا عليك أن تَخَلَّفَ عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقْبِلٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ » فقالوا : يارسول الله ، هو والله أبو خيثمة ، فلما أناخ أقبل فَسَلَّمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَوْلَى لَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ (٢) » ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة فى ذلك شعراً ، واسمه مالك بن قَيْس : —

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِى الدِّينِ نَافَقُوا ... أَتَيْتُ الَّتِى كَانَتْ أَعفَّ وَأَكْرَمَا

وَبَايَعْتُ بِالْيُمْنَى يَدِى لِمُحَمَّدٍ ... فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْماً وَلَمْ أَغْشَ مَحْرَمَا

(١) الضح : الشمس

(٢) أولى لك : كلمة فيها معنى التهديد ، وهى اسم سمى به الفعل ، ومعناها فيما قال المفسرون دنوت من الهلكة

تَرَكْتُ خَضِيبًا فِى الْعَرِيشِ وَصِرْمَةً
صَفَايَا كِرَاماً بُسْرُهَا قَدْ تَحَمَّمَا (١)
وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمُنَافِقُ أَسْمَحْتْ
إِلَى الدِّينِ نَفْسِى شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

مرور النبى وأصحابه بالحجر وشأنهم فيه

قال ابن إسحق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مَرَّ بِالْحِجْرِ نزلها واستقى الناس من بئرها ؛ فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا وَلاَ تَتَوَضَّؤُا مِنْهُ لِلصَّلاَةِ وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الْإِبِلَ وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا وَلاَ يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ إِلاَّ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ » ففعل الناس ماأمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فانه خُنِقَ على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلَىْ طىء ، فَأُخْبِرَ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ وَمَعَهُ صَاحِبُهُ » ؟ ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر الذى وقع بجبلَىْ طيئ فان طيئاً أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة ، والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس ابن سَهْل بن سَعْدٍ السَّاعِدِى ، وقد حدثنى عبدُ الله بن أبى بكر أن قد

(١) الخضيب : المخضوبة ، أراد امرأة قد خضبت يديها بالحناء ، والصرمة : جماعة النخل ، وصفايا : كثيرة الحمل ، وأصله فى الابل ، يقال : ناقة صفى ، إذا كانت غزيرة اللبن ، والبسر : التمر قبل أن يطيب ، وتحمم : أخذ فى الأرطاب فاسود

سمى له العباس الرجلين ، ولـكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى

قال ابن هشام : بلغنى عن الزُّهْرِىّ أنه قال : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالْحِجْرِ سَجَّى ثَوْبَهُ (١) على وجهه ، وَاسْتَحَثَّ (٢) راحلته ، ثم قال: «لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلاَّ وَأَنْتُمْ بَاكُونَ خَوْفًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»

قال ابن إسحق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شَكَوْا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادَة ، عن محمود بن لَبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يَعْرِفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم ، والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ، ثم يَلْبَسُ بعضُهُمْ بعضاً على ذلك ، ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجال من قومى ، عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحِجْرِ ما كان ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا . أقْبَلْنا عليه نقول : وَيْحَكَ ! ! هل بعد هذا شىء ؟ قال : سحابةٌ مارة .

ناقة الذى تضل فيتقول المنافقون

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته ، فخرج أصحابه فى طلبها ، وعند رسول

(١) سجى ثوبه : غطاه على وجهه
(٢) استحث راحلته : استعجلها

الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه يقال له عُمَارة بن حَزْم ، وكان عَقَبِيًّا بَدْرِيًّا ، وهو عم بنى عَمْرو بن حزم ، وكان فى رَحْله زيدُ بن اللصَيْت القَيْنُقَاعِيُّ ، وكان منافقا

قال ابن هشام : ويقال ابن لصَيْب ، بالباء

[قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قالوا :] فقال زيد بن اللُّصَيْت وهو فى رَحْل عُمَارة ، وعُمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَلَيْسَ محمد يَزْعُمُ أنه نبى ويُخْبِرُكم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقتــه ؟!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : « إِنَّ رَجُلاً قَالَ هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لاَ يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَعْلَمُ إِلاَّ مَا عَلَّمَنِي اللهُ ، وَقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا ، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا » فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عُمَارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لَعَجَب من شىء حَدَّثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للذى قال زيد بن لُصَيْت ، فقال رجل ممن كان فى رحل عُمارة ولم يحضر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : زَيْدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى ، فأقبل عمارة على زيد يَجَأُ فى عُنُقه ويقول : إِلَيَّ عِبَادَ الله ، إن فى رَحْلى لداهيةً وما أشعر ، اخْرُجْ أىْ عَدُوَّ الله من رحلى فلا تَصْحَبْنِي

قال ابن إسحق : فزعم بعضُ الناس أن زيداً تاب بعد ذلك ، وقال بعض الناس : لم يزل مُتَّهَمًا بشر حتى هلك

شان أبى ذر

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل : يتخلَّفُ عنه الرجل ، فيقولون: يارسول الله، تخلَّف فلان ، فيقول : « دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ

فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقهُ الله تَعَالَى بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أرَاحَكُمُ اللهُ مِنْهُ » حتى قيل : يارسول الله ، قد تخلَّف أبو ذر ، وأبطأ به بعيره ، فقال : «دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فيه خير فسَيُلْحِقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أرَاحكُمُ الله منه » وتَلَوَّم أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً ، ونزل رسول الله فى بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يارسول الله ، إن هذا لرجل يمشى على الطريق وحده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُنْ أَبَاذَرٍّ » فلما تأمله القوم قالوا : يارسول الله ، هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِى وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ »

قال ابن إسحق : فحدثنى بُرَيْدَة بن سُفْيان الأسلمى ، عن محمد بن كَعْب القُرَظِي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمان أبا ذَرٍّ إلى الرَّبَذَة ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن اغسِلاَنِي وَكَفِّنَانى ، ثم ضعانى على قارعة الطريق ، فأوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بكم فقولوا : هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وَضَعَاه على قارعة الطريق ، وأقبل عبدالله بن مسعود فى رَهْط من أهل العراق عُمَّار ، فلم يَرُعْهُمْ إلا بالجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تَطَؤُها ، وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه ، قال : فاستَهَلَّ عبدُ الله بن مسعود يبكى ، ويقول : صَدَق رسول الله صلى الله عليه وسلم تَمْشِى وحدك ، وتموت وحدك ، وَتُبْعَثُ وحدك ، ثم نزل هو وأصحابه فوَارَوْه ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره إلى تبوك

رسول الله يخبر عن مقالة المنافقين

قال ابن إسحق : وقد كان رَهْطٌ من المنافقين منهم وَديعة بن ثابت أخو بنى عمْرو بن عوف ؛ ومنهم رجل من أَشْجَع حليف لبنى سلمة يقال له مُخَشِّن بن حُمَيِّر (قال ابن هشام : ويقال : مَخْشِيّ) يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منْطَلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أَتَحْسِبون جِلادَ بنى الأصفر كقتال العرب بَعْضهم بعضا ؟ والله لكأنّا بكم غداً مقرَّنين فى الحبال ؛ إرْجَافاً وتَرْهِيباً للمؤمنين ، فقال مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر : والله لوَدِدْتُ أنى أقاضى على أن يُضْرَبَ كل [رجل] منا مائة جلدة و أنا ننفلِت أن يَنْزل فينا قرآن لمقالتكم هذه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لعمار بن ياسر : « أَدْرِكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا » فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبِها[1] : يارسول الله ، إنما كان نَخُوضُ ونلعب ، فأنزل الله عز وجل (٩ : ٦٥) : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) وقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر : يارسول الله ، قعَدَ بى اسمى واسمُ أبى ، وكان الذى عُفِيَ عنه فى هذه الآية مُخَشِّن ابن حُمَيِّر ، فتسمَّى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر

رسول الله يكتب أمانا لاهل أيلة

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبُوك أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ صاحبُ أَيْلَةَ ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جَرْبَاء وأَذْرُحٍ فأعْطَوْه الجِزْية ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا ، فهو عندهم ، فكتب ليُحَنَّةَ بن رؤبة : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

---

(١) الحقب : حبل يشد على بطن البعير سوى الحزام الذى يشد فيه الرحل

هٰذِهِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ لِيُحَنَّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ سُفُنِهِمْ وَسَيَّارَتِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يَمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ »

بَعْثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بْنَ الوليد إلى أُكَيْدِرِ دُومَةَ

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أُكَيْدِرِ دُومَةَ ، وهو أُكَيْدِرُ بن عبد الملك ، رجل من كِنْدَةَ كان مَلِكاً عليها ، وكان عليها ، وكان نَصْرَانيًّا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : « إنَّك سَتجِدُهُ يَصيدُ الْبَقَرَ » فخرج خالد حتى إذا كان من حِصنِه بِمَنْظَرِ العين وفى ليلة مُقْمِرة صائفة ، وهو على سطح له ومعه امرأته ، فباتت البقر تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بابَ الْقَصْر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قطُّ ؟ قال : لا والله ، قالت : فمن يَتْرُك هذه ؟ قال : لا أحد ، فنزل فأمر بفرسه فَأُسْرِجَ له ، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حَسَّان ، فركب وخرجوا معه بِمَطَارِدِهم ، فلما خرجوا تَلَقَّتْهُمْ خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ، وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قَبَاءٌ من دِيبَاج مُخَوَّصٌ بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قَبَاءَ أُكَيْدِرِ حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسلمون يَلْمَسُونه بأيديهم وَيَتَعَجَّبُونَ منه ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَا فَوَ الَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِى الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هٰـذَا »

قال ابن إسحق : ثم إن خالدا قدم بأ كَيْدِر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَحَقَنَ له دمه وصالحه على الجزية ، ثم خَلّى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجل من طيء يقال له بُجَير بن بَجْرة يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد « إنك ستجده يصيد البقر » : وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ؟ لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّى رَأَيْتُ اللهَ يَهْدِى كُلَّ هَادِ
فَمَنْ يَكُ حَائِدًا عَنْ ذِى تَبُوكٍ فَإِنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالْجِهَادِ

انبثاق الماء فى الوادى لرسول الله

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بِضْعَ عَشْرَةَ ليلةً لم يُجَاوِزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة ، وكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَلٍ [1] مَا يُرْوِى الراكب والراكبين والثلاثة ، بوادٍ يقال له وَادِى الْمُشَقَّق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الْوَادِى فَلَا يَسْتَقِيَنَّ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيه » قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاسْتَقَوْا مافيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وَقَفَ عليه ، فلم ير فيه شيئاً ، فقال : « مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هٰذَا الْمَاء » ؟ فقيل له : يارسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : « أَوَلَمْ أَنْهَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى آتيه » ؟ ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحت الْوَشَل ، فجعل يَصُبُّ فى يده ماشاء الله أن يصب ، ثم نَضَحَه به ، ومسح

---

(١) الوشل : بفتح الواو والشين ـ حجر أو جبل يقطر منه قليلا قليلا ، والوشل أيضا : القليل من الماء .

بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء كما يقول من سمعه ما إنَّ لَهُ حِسًّا كحسِّ الصَّوَاعق ، فشرب الناس ، وَاسْتَقَوْا حاجتهم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَئِنْ بَقِيتُمْ أَوْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ لَتَسْمَعُنَّ بِهَذَا الْوَادِي وَهُوَ أَخْصَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ »

قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمى ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قمتُ من جَوْف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعْلَةً من نار فى ناحية العسكر ، قال : فأتبعتها أنظر إليها ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، و إذا عبد الله ذو الْبِجَادَيْنِ المزنى قد مات ، و إذا هم قد حَفَرُوا له ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيَانه إليه ، وهو يقول : « أَدْنِيَا إِلَيَّ أَخَاكُمَا » فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقه قال : « اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَمْسَيْتُ رَاضِيًا عَنْهُ فَارْضَ عَنْهُ » قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة

وفاة عبد الله المزنى ذى البجادين

قال ابن هشام : و إنما سُمِّى ذا الْبِجَادين لأنه كان يُنازع إلى الإسلام فيمنَعه قومُه من ذلك ويُضَيِّقُون عليه ، حتى تركوه فى بِجادٍ ليس عليه غيره ، والْبِجَاد : الكساء الغليظ الجافى ، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريبا منه شَقَّ بِجَادَهُ باثنين ، فاتَّزَرَ بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له: ذو البجادين، لذلك ، والبجاد أيضا : الْمِسْحُ

قال ابن هشام : قال امرؤ القيس : —

كَأَنَّ أَبَانًا فِي عَرَانِينِ وَدْقِهِ ... كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ

شأن أبى رهم

قال ابن إسحق : وذكر ابن شهاب الزُّهْرِىُّ ، عن ابن أُكَيْمَةَ الليثى ، عن ابن أخى أبى رُهْم الغِفَارِى ، أنه سمع أَبَارُهْم كُلْثُومَ بن الْحُصَيْن ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غَزَوْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غَزْوَةَ تبُوكَ ، فسِرْتُ ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألقى الله علينا النُّعَاسَ ، فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُفْزِعنى دُنُوُّهَا منه مخافةَ أن أصيب رجله فى الْغَرْز [1] فطفقت أَحُوزُ راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ونحن فى بعض الليل ، فزاحَمَتْ راحلتى راحلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورِجْلُهُ فى الغَرْز ، فما استيقظتُ إلا بقوله «حَسِّ» ، فقلت: يارسول الله ، استغفر لى [2] فقال « سِرْ » فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تَخَلَّف من بنى غفار فأخبره به ، فقال وهو يسألنى : « مَا فَعَلَ النَّفَرُ الْحُمْرُ الطِّوَالُ الثِّطَاطُ [3] » فحدثته بتخلفهم ، قال : « فَمَا فَعَلَ النَّفَرُ السُّودُ الْجِعَادُ الْقِصَارُ » قال : قلت: والله ما أعرف هؤلاء منا ، قال: « بَلَى الَّذِينَ لَهُمْ نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدْخٍ » فتذكرتهم فى بنى غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رَهْطٌ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يارسول الله ، أولئك رَهْطٌ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَامَنَعَ أَحَد

---

(١) الغرز للرحل بمنزلة الركاب للسرج

(٢) حس : كلمة معناها أتألم ، يقولها الانسان إذا أصيب بشىء ، وهى بمعنى أوه عند الأصمعى

(٣) الثطاط ـ بالثاء المثلثة مكسورة ـ جمع ثط ، وهو القليل شعر اللحية والحاجبين ، ووقع فى أكثر الأصول « الشطاط » بالشين المعجمة ، وهو تحريف

أُولٰئِكَ حِينَ تَخَلَّفَ أَنْ يَحْمِلَ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِهِ امْرَأً نَشِيطًا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ إِنَّ أَعَزَّ أَهْلِى عَلَىَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِّى الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارُ وَغِفَارٍ وَأَسْلَمُ » .

أمر مسجد الضِّرار عند القُفُولِ من غَزْوَة تَبُوك

قال ابن إسحق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أَوَان [١] بلد بينه و بين المدينة ساعةٌ من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضِّرَار قد كانوا أَتَوْهُ وهو يَتَجَهَّزُ إلى تبوك ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد بَنَيْنَا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة الْمَطِيرَةِ والليلة الشاتية ، و إنَّا نُحِبُّ أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فقال : « إِنِّى عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ شُغْلٍ » أو كما قال صلى الله عليه وسلم « وَلَوْ قَدْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللّٰهُ لَأَتَيْنَاكُمْ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ » فلما نزل بذى أَوَانٍ [١] أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخْشُمِ أخا بنى سالم بن عوف وَمَعْنَ ابن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، أخا بنى العجلان ، فقال: «انْطَلِقَا إِلَى هٰذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ» فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخْشُمِ ، فقال مالك لمعن : أَنْظِرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى ، فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعَفًا من النخل فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يَشْتَدَّانِ حتى دخلاه وفيه أهله ، فَحَرَّقَاهُ وَهَدَمَاه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل (٩:١٠٧) : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) إلى آخر القصة

---

(١) قال أبو ذر : « وقع فى الأصل بفتح الهمزة ، والخشنى يرويه بضم الهمزة حيث وقع » اه

الذين بنوا مسجد الضرار

وكان الذين بنوه اثناعشر رجلا ، خِذَامُ بن خالد من بنى عبيد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أُخْرِجَ مَسْجِدُ الشقاق ، وثَعْلَبَةُ ابن حاطب من بنى أمية بن زيد ، ومُعَتِّبُ بن قُشَيْر من بنى ضُبَيْعَة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الْأزعر من بنى ضُبَيْعَة بن زيد ، وعَبَّادُ بن حُنَيْف أخو سَهْل بن حُنَيْف من بنى عمرو بن عوف ، وجارِيَةُ بن عامر ، وابناه : مُجَمِّعُ ابن جارِيَةَ ، وزَيْد بن جارية ، ونَبْتَلُ بن الحرث من بنى ضبيعة ، وبَحْزَجُ من بنى ضبيعة وبِجَادُ [1] بن عثمان من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت ، وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبى لبابة بن عبد المنذر

مساجد رسول الله

وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومةً مُسَمَّاةً : مسجد بتبوك ، ومسجد بِثَنِيَّة مِدْرَان ، ومسجد بذات الزِّرَاب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخِطْمِيِّ ، ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف الْبَتْرَاء من ذَنَب كواكب ، ومسجد بِالشِّقِّ شق تَارَا ، ومسجد بذى الجِيفَةِ ، ومسجد بصَدْر حَوْضَى ، ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بالوادى ، اليوم وادى القرى ، ومسجد بالرُّقْعَة من الشُّقَّةِ شُقَّة بنى عُذْرة ، ومسجد بذى الْمَرْوَة ، ومسجد بالْفَيْفَاء ، ومسجد بذى خُشُب

أمر الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وأمر المعذّرين فى غزوة تَبُوك

النبى يأمر باعتزال النفر الثلاثة

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد كان تَخَلَّفَ عنه رهط من المنافقين ، وتَخَلَّفَ أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق: كَعْبُ بن مالك ، ومُرَارة بن الربيع ، وهِلاَلُ بن أمية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لاَ تُكَلِّمُنَّ أحَدًا مِنْ هٰؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ »

---

(١) قال أبو ذر : « بجاد بن عثمان ، روى هنا بالباء والنون ، وبجاد بالباء قيده الدار قطنى »

وأتاه من تخلَّف عنه من المنافقين فجعلوا يَحْلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله ، واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة

شأن كعب بن مالك أحد الثلاثة

قال ابن إسحق : فذكر الزُّهْرِيُّ محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره ، قال: سمعت أبي كَعْبَ بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ماتَخَلَّفْتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَزْوَةً غزاها قَطُّ ، غير أنى كنْتُ قد تخلَّفْتُ عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوةً لم يعاتب الله ولا رسوله أحدا تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد عِيرَ قُرَيْشٍ حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة حين تَوَاثَقْنَا على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مَشْهَدَ بدر ، وإن كانت غزوة بدر هى أذْكَرَ فى الناس منها

قال : كان من خبرى — حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك — أنى لم أكن قَطُّ أقوى ولا أيْسَرَ منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجْتَمَعَتَا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَلَّما يريد غزوة يغزوها إلا وَرَّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد ، واستقبل سَفَراً بعيداً ، واستقبل غَزْوَ عدو كثير ، فَجَلَّى للناس أمرهم لِيَتَأَهَّبُوا لذلك أُهْبَتَه ، وأخبرهم خبره بوَجْهه الذى يريد ، والمسلمون مَنْ تَبِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لا يجمعهم ديوان مكتوب

قال كعب : فَقَلَّ رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيَخْفَى له ذلك ، مالم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة — حين طابت الثمار ، وَأُحِبَّت الظِّلال — فالناس إليها صُعْر [١] فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه ، وجعلتُ أَغْدُو لأتجهز معهم فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى : أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شَمَّرَ بالناس الجِدُّ فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فَصَلُوا لأتَجَهَّزَ ، فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا وَتَفَرَّطَ [٢] الْغَزْوُ ، فهممت أن أرتحل فأدركهم وليتنى فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطُفْتُ فيهم يُحْزننى أنى لا أرى إلا رجلاً مَغْمُوصاً عليه [٣] فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : « مَا فَعَلَ كَعْبُ ابْنُ مَالِكٍ » فقال رجل من بنى سلمة : يارسول الله ، حبسه بُرْدَاه وَالنَّظَرُ فى عِطْفَيْهِ ، فقال له معاذ بن جبل : بئس ماقلت ، والله يارسول الله ماعلمنا منه

---

(١) صعر — بضم فسكون — جمع أصعر ، وهو المائل ، ومنه قوله تعالى : (ولا تصعر خدك للناس) أى : لاتعرض عنهم ولا تمل وجهك إلى جهة أخرى .

(٢) تفرط الغزو : فات وسبقنى ، والفارط والفرط — كبطل — السابق المتقدم ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « أنا فرطكم على الحوض »

(٣) مغموصا عليه : مطعونا عليه ، تقول : غمصت الرجل ، إذا طعنت عليه

إلا خيرا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجّه قافلا من تبوك حضرنى بَثِّى [(١)] فجعلت أتذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سَخْطَة رسول الله صلى الله عليه وسلم غَدًا ؟ وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى ؛ فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَظَلَّ [(٢)] قادما زاح عنى الباطل [(٣)] وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصْدُقَه ، وَصَبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلّفون فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وأيمانهم ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فَسَلَّمْتُ عليه ، فتبسَّم تبسُّمَ الْمُغْضَبِ ، ثم قال لى : « تَعَالَهْ » فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : « مَاخَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ » ؟ قال : قلت : إنى يارسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سَخَطه بعُذْر ، لقد أُعْطِيتُ جَدَلاً ، ولكن والله لقد علمت لئن حَدَّثْتُكَ اليوم حديثا كَذِبًا لَيُرْضِيَنَّ عنى ولَيُوشِكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديثا صدقا تَجِدُ على فيه إنى لأرجو عُقْبَايَ من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قَط أقوى ولا أيْسَرَ منى حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا هٰذَا فَقَدْ صَدَقْتَ فِيهِ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ الله فِيكَ » فقمت وثار معى رجال من

---

(١) البث : الحزن ، ووقع فى بعض الأصول « بنى » بالنون — وهو تصحيف

(٢) أظل : أشرف وقرب

(٣) زاح عنى الباطل : ذهب وزال

بنى سَلَمَة ، فاتبعونى ، فقالوا لى : واللهِ ماعلمناك كُنْتَ أذْنَبْتَ ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت أن لاتكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلَّفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، فوالله مازالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك وقيل لهما مثل ماقيل لك ، قال : قلت : مَنْ هُما ؟ قالوا : مُرَارة ابن الربيع الْعَمْرِى من بنى عمرو بن عوف ، وهِلاَلُ بن أمية الواقفى ، فذكروا لى رجلين صالحين فيهما أسوة ، فَصَمَتُّ حين ذكروهما لى ، ونَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناسُ وتَغَيَّرُوا لنا ، حتى تَنَكَّرَتْ لى نفسى والأرضُ فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاسْتَكَانَا وقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجْلَدَهُم ، فكنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولايكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى : هل حَرَّكَ شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه ، فأسارقه النظر ، فاذا أقْبَلْتُ على صلاتى نظر إلىَّ ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك علىَّ من جَفْوَة المسلمين مَشَيْتُ حتى تَسَوَّرْتُ [1] جدار حائط أبى قتادة ، وهو ابن عمى وأحب الناسِ إلى فسلَّمْتُ عليه ، فوالله ماردَّ علىَّ السلام ، فقلت : ياأبا قتادة ، أنشدك الله هل تعلم أنى أحِبُّ الله ورسوله ؟ فسكت ، فَعُدْتُ فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووَثَبْتُ فَتَسَوَّرْتُ الحائط ، ثم غدوت إلى

(١) تسورت : علوت ، وفى كتاب الله تعالى : (إذ تسوروا المحراب)

السوق ، فبينا أنا أمشي بالسوق و إذا نَبَطِيٌّ[١] يسأل عني من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل على كَعْب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يشيرون له إلى ، حتى جاءنى فدفع إلى كتابا من ملك غَسَّان وكتب كتابا فى سَرَقَةٍ[٢] من حرير ، فاذا فيه : أما بعـد ، فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفَاكَ ولم يجعلك اللّهُ بدار هَوَان ولا مَضْيَعَة ، فالْحَقْ بنا نُوَاسِك ، قال : قلت — حين قرأتها — : وهذا من البلاء أيضا، قد بلغ بى ماوقعت فيه أن طمع فىَّ رجلٌ من أهل الشرك ، قال : فعمدت بها إلى تَنُّور فَسَجَرْتُه[٣] بها

فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله يأتينى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال : قلت: أطلقها أم ماذا؟ قال : لا، بل اعتزلها ولا تقرَبْها، وأرسل إلى صاحبىَّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الْحَقِى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ماهو قاض

قال : وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له : يارسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لاخادم له ، أفتكره أن أخدمه ؟ قال : « لاَ وَلٰـكِنْ لاَ يَقْرَبَنَّكِ » قالت : والله يارسول الله مابه من حركة إلىَّ ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تَخَوَّفْتُ على بصره ، قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، قال : قلت :

---

(١) النبطى : واحد النبط ، وهم قوم من الأعاجم
(٢) السرقة : شقة من الحرير ، ويقال : السرق : أحسن الحرير وأجوده
(٣) سجرته بها : أى أحرقتها وألهبت بها التنور

والله لا أستأذنه فيها ، ما أدرى مايقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب

قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح صُبْحَ خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا على الحال التى ذكر الله منا : قد ضاقت علينا الأرض بما رَحُبَتْ وضاقت عَلَيَّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خَيْمَةً فى ظهر سَلْعٍ فكنت أكون فيها ، إذ سمعت صوت صارخ أَوْفَى على ظهر سَلْع ، يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أَبْشِرْ ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفرج ، قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يُبَشِّرُونَنَا ، وذهب نحو صاحبيَّ مبشرون وركض رجل إلىَّ فرساً ، وسعى ساع من أَسْلَمَ حتى أَوْفَى على الجبل ، فكان الصوت أَسْرَعَ من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبَيَّ فكسوتهما إياه ببشارة ، و والله ماأملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أَتَيَمَّمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَتلقَّانى النَّاسُ يُبَشِّرُونى بالتوبة ، ويقولون : لِتَهْنِكَ توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلىَّ طلحةُ بن عبيد الله يُحَيِّانى وَهَنَّأنى ، ووالله ماقام إلى رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب ابن مالك لاينساها لطلحة ، قال كعب : فلما سَلَّمْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى وجهه يَبْرُق من السرور : « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ » قال : قلت : أَمِنْ عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال : « بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ » قال : وكان رسول الله

الله عليه وسلم إذا استبشر كأنَّ وجهه قِطعةُ قمر ، قال: وكنا نعرف ذلك منه ، قال : فلما جلست بين يديه قلت : يارسول الله ، إن من توبتى إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالى صدقةً إلى الله وإلى رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قال : قلت : إنى ممسك سهمى الذى بخيبر ، وقلت : يارسول الله ، إن الله قد نجانى بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن لا أُحَدِّثَ إلا صِدْقاً ما حَيِيت ، والله ماأعلم أحداً من الناس أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلانى ، والله ماتعمدت من كَذْبَةٍ منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى ، وأنزل الله تعالى (٩:١١٧ـ١١٩) : (لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) إلى قوله (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط — بعد أن هدانى للاسلام — كانت أعظم فى نفسى من صدقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه ؛ فان الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شرما قال لأحد ، قال(٩:٩٥ـ٩٦) : (سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) قال : وكنا خُلِّفْنَا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فعذرهم واستغفر لهم ، وأرجأ

رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ما قضى ؛ فبذلك قال الله تعالى(٩:١١٨) : (وعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلّفنا عن الغزوة ، ولكن لتخليفه إيانا و إرجائه أمرنا عمّن حَلَفَ له واعتذر إليه فقبل منه

أمر وَفْدِ ثقيف و إسلامها ، فى شهر رمضان سنة تسع

أمر عروة ابن مسعود الثقفى

قال ابن إسحق : وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من تَبُوكَ فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وَفْدُ ثَقِيف ، وكان من حديثهم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتَّبَعَ أثَرَهُ عُرْوَةُ بن مَسْعُود [الثَّقَفِيُّ] حتى أدركه قبل أن يصلَ إلى المدينة ، فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتحدث قومه : « إنَّهُمْ قَاتِلُوكَ » وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نَخْوَةَ الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يارسول الله ، أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم

قال ابن هشام : و يقال : من أبْصَارِهِمْ

قال ابن إسحق : وكان فيهم كذلك مُحَبَّبًا مطاعا ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ؛ رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على عِلِّيَّةٍ له ، وقد دعاهم إلى الاسلام ، وأظهر لهم دينه ؛ رَمَوْهُ بالنَّبْل من كل وجه ، فأصابه سَهْمٌ فقتله ، فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له : أوْسُ بن عَوْف أخو بنى سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بنى عَتَّاب بن مالك يقال له : وهب بن جابر ، فقيل لعروة : ماترى فى دمك ؟ قال : كَرَامَةٌ أكرمنى الله بها وشهادةٌ ساقها الله إلى ؛ فليس فىَّ إلاَّ مافى الشُّهَدَاء الذين قُتِلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن

يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : « إِنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ لَكَمَثَلِ صَاحِبِ يٰسۤ فِي قَوْمِهِ » .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عُرْوَةَ أشهرا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحَرْب مَنْ حَوْلَهُمْ من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا

اتفاق ثقيف على الدخول فى الاسلام

حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأَخْنَس ، أن عَمْرَو بن أُمَيَّةَ أخا بنى عِلَاج كان مهاجراً العَبْدِ يَالِيل بن عمرو، الذى بينهما سَيِّءٌ[1] وكان عمرو بن أمية من أدْهَى العرب ، فمشى إلى عَبْدِ يَالِيل بن عمرو حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه إن عمرو بن أمية يقول لك : اخرج إلى ، قال : فقال عبد ياليل للرسول : ويلك !! أَعَمْرٌو أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وها هو ذا واقفا فى دارك ، فقال : إن هذا لَشَيْءٌ ما كنت أظنه [بعمرو] ، لَعَمْرٌو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رَحَّبَ به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجْرَة ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسْلَمَت العرب كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة فانظروا فى أمركم ، فعند ذلك ائْتَمَرَتْ ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْبٌ[2] ولا يخرج منكم أحد إلا اقْتُطِع ، فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ، كما أرسلوا عُرْوَةَ ، فكلموا عَبْدَ ياليل بن عمرو بن عمير ، وكان سِنَّ عُرْوَةَ بن مسعود ، وعرضوا ذلك [عليه] فأبى أن يفعل ، وَخَشِيَ أن يُصْنَعَ به — إذا رجع — كما صُنِعَ

---

(١) « الذى بينهما سىء » هذا تفسير لقوله « كان مهاجرا لعبد ياليل » وفى بعض النسخ « لشىء كان بينهما »

(٢) السرب : المال الراعى ، وهو أيضا الطريق

ثقيف ترسل عبد ياليل بن عمير على رأس وفد

بعروة ، فقال : لست فاعلا حتى تُرْسِلوا معي رجالا ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك ؛ فيكونوا ستة ؛ فبعثوا مع عبد ياليل الحَكَمَ بن عمرو بن وهب بن مُعَتِّب، وَشُرَحْبِيلَ بن غيلان ابن سلمة بن معتِّب ، ومن بني مالك : عثمانَ بن أبي العاص بن بِشْر بن عبد دُهْمَان أخا بني يَسَار ، وَأَوْسَ بن عَوْف أخا بني سالم ، وَنُمَيْرَ ابن خَرَشَةَ بن ربيعة أخا بني الحرث ، فخرج بهم عبدياليل ، وهو نَابُ القوم (١) وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خَشْيَةً من مثل مَاصُنِع بعروة ابن مسعود ، لكي يَشْغَلَ كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطَهُ

فلما دنوا من المدينة ونزلوا قَنَاةَ أَلْفَوْا بها المغيرة بن شُعْبَةَ يَرْعَى في نوبته رِكابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رِعْيَتها نُوَبًا على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلمارآهم ترك الركاب عند الثقفيين وَضَبَرَ يشتد (٢) ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن رَكْب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والاسلام بأن يَشْرِطَ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شُرُوطًا ويكتتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِتَابًا في قومهم و بلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تَسْبِقـنِي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فَرَوَّحَ الظَّهْرَ معهم ، وعلمهم كيف يُحَيُّونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا

---

(١) ناب القوم : أى سيدهم والمدافع عنهم

(٢) ضبر يشتد : أى وثب ، يقال : ضبر الفرس ، إذا جمع قوائمه ووثب

بتحية الجاهلية ، ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يَطْعَمُونَ طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهى اللَّاتُ لا يهدمها ثلاث سنين . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوا شهراً واحداً بعد مَقْدَمِهِمْ ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مُسَمًّى ، وإنما يريدون بذلك ، فيما يُظْهِرُونَ ، أن يَتَسَلَّمُوا بتركها من سُفَهَائِهم ونسائهم وَذَرَارِيهم ، ويكرهون أن يُرَوِّعوا قومهم بهَدْمِهَا حتى يدخلهم الاسلام ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم إلا أن يَبْعَثَ أبا سُفْيان بن حرب والْمُغيرة بن شُعْبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه — مع تَرْكِ الطاغية — أن يُعْفِيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِى دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ » فقالوا : يا محمد ، فَسَنُؤْتيكَهَا وَإِن كانت دَنَاءَةً

رسول الله يؤمر عليهم عثمان بن أبى العاص

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم أَمَّرَ عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سِنًّا ، وذلك أنه كان أحْرَصَهُم على التَّفَقُّهِ فى الاسلام وتَعلُّمِ القرآن ، فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إنى قد رأيت هذا الغلام منهم مِنْ أحْرَصِهِمْ على التفقُّه فى الاسلام وتعلُّم القرآن

فطر رسول الله وسحوره

قال ابن إسحق : وحدثنى عيسى بن عبد الله ، عن عطية بن سفيان ابن ربيعة الثَّقَفِي ، عن بعض وَفْدهم ، قال : كان بِلَالٌ يأتينا — حين أسلمنا وَصُمْنَا مع رسول الله صلى الله عايه وسلم ما بقى من رمضان — بفِطْرِنَا وسَحُورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالسَّحُور وإنا لنقول : إنا لَنرَى الفجر قدطلع ، فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَسَحَّر ، لتأخير السَّحُور ، ويأتينا بفِطْرِنا وإنا لنقول : مَانُرَى الشمس ذَهَبَتْ كُلُّها بعدُ ، فيقول : ما جئتكم حتي أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يَضَعُ يده فى الْجَفْنَة فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بفطورنا وسحورنا

قال ابن إسحق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ما عَهِدَ إلىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين بعثنى على ثقيف — أن قال : « يَا عُثْمَانُ تَجَاوَزْ فِى الصَّلَاةِ وَاُقْدُرِ النَّاسَ بِأَضْعَفِهِمْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَالضَّعِيفَ وذَا الْحَاجَةِ »

هدم الطاغية اللات

قال ابن إسحق : فلما فرغوا من أمرهم وتوجَّهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سُفْيَان بن حرب والمغيرة بن شُعْبَة فى هَدْم الطاغية ، فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة [بن شعبة] أن يُقَدِّمَ أبا سفيان ، فأبى ذلك أبوسفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ، وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم ، فلما دخل المغيرة بن شعبة عَلاَهَا يضربها بالمِعْوَلِ ، وقام قومه دونه بنو مُعَتِّبٍ خَشْيَةَ أن

يُرْمَي أو يصاب كما أصيب عُرْوَةُ ، وخرج نساء ثقيف حُسَّراً [(١)] يَبْـكِينَ عليها ، وَيَقُلْنَ : —

لَتُبْـكَيَنَّ دَفَّاعْ [(٢)] أَسْلَمَهَا الرُّضَّاعْ [(٣)]

* لَمْ يُحْسِنُوا الْمِصَاعْ [(٤)] *

قال ابن هشام : « لَتُبْـكَيَنَّ » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفاس : واهًا لَكِ [(٥)] آهًا لَكِ ، فلما هدمها المغيرةُ وأخذ مالها وَحُلِيَّهَا أرسل إلى أبى سفيان وحُلِيُّهَا مجموعٌ وَمَا لُهَا من الذهب والجَزْع ، وقد كان أبو مليح ابن عروة وقاربُ بن الأسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف — حين قتل عروة — يريدان فراقَ ثقيفٍ ، وأن لا يُجَامِعَاهم على شيء أبدا ، فأسلما ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تَوَلَّيَا مَنْ شِئْـتُمَا » فقالا : نتولى الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَخَالَـكُمَا أبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ » فقالا : وَخَالَنَا أبا سفيان ، فلما أسلم أهل الطائف ووَجَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أبُو مُلَيْح بْنُ عروة أن يَقْضِيَ عن أبيه عُرْوَةَ دَيْناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له

---

(١) حسرا ـ بضم الحاء وتشديد السين مفتوحة ـ جمع حاسرة ، وهى المكشوفة الوجه

(٢) دفاع : هو صيغة مبالغة من الدفع ، وإنما سموا طاغيتهم دفاعا لأنهم كانوا يعتقدون أن الأصنام تدافع عنهم أعداءهم وتدفع عنهم البلاء

(٣) الرضاع : جمع راضع ، وأردن بهم اللئام ، من قولهم : لئيم راضع ، يردن لم يدافعوا عن طاغيتهم وتركوها للمغيرة يهدمها

(٤) المصاع ـ بكسر الميم ـ المجالدة والمضاربة بالسيوف

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ » فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يارسول الله فاقضه ، وَعُرْوَةُ والأسود أخوان لأب وأم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الْأَسْوَدَ مَاتَ مُشْرِكاً » فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، لكن تَصِلُ مسلما ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدَّيْنُ عَلَيَّ ، وإنما أنا الذى أُطْلَبُ به ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضىَ دَيْنَ عروة والأسود من مال الطاغية

فلما جمع المغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَمَرَكَ أن تقضىَ عن عروة والأسود دَيْنَهُمَا ، فقضى عنهما

كتاب رسول الله

وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم « بسم الله الرحمن الرحيم ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ إلَى الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عِضَاهَ[1] وَجٍّ وَصَيْدَهُ لَا يُعْضَدُ[2] مَنْ وُجِدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنْزَعُ ثِيَابُهُ فَإِنْ تَعَدَّى ذٰلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبْلَغُ بِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا وَإِنَّ هٰذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فَلَا يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ فَيَظْلِمَ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَه بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم »

حَجُّ أبى بكر رضى الله عنه بالناس ، سنة تسع

واختصاص النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه ، وذكر براءة ، وَالْقَصَص فى تفسيرها

---

(١) العضاه : شجر له شوك ، واحدته عضاهة ، وهو أنواع ، ووج : اسم موضع بالطائف ، وهو بفتح الواو وتشديد الجيم

(٢) يعضد : يقطع ، تقول : عضدت الشجرة ، إذا قطعتها

قال ابن إسحق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان، وشوالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع ؛ ليقيم للمسلمين حَجَّهم ، والناسُ مِنْ أهل الشرك على منازلهم من حَجِّهم ؛ فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين ، ونزلت براءة فى نَقْضِ ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يُصَدَّ عن البيت أحَدٌ جاءه ، ولا يُخَافَ أحَدٌ فى الشهر الحرام ، وكان ذلك عهدا عامًّا بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص إلى آجال مُسَمَّاة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه فى تَبُوكَ ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يَسْتَخْفُون بغير مَا يُظْهِرُون : منهم من سُمِّي لنا ، ومنهم مَنْ لَمْ يُسَمَّ لنا فقال عز وجل (٩ : ١ . . . .) (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أى : لأهل العهد العام من أهل الشرك (فَسِيحُوا فِى الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِى الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) أى : بعد هذه الحجة (فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أى : العهد الخاص إلى الأجل المسمى (ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) يعنى : الأربعة التى ضرب لهم أجلا (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ

وَاحصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أى : من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم (اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ) ثم قال : (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ) الَّذِينَ كانواهم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا تخيفوهم فى الحرمة ولا فى الشهر الحرام (عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش و بنو الديل من بنى بكر بن وائل الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم فأمر باتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) ثم قال تعالى : (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) أى : المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام (لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً)

قال ابن هشام : الإلُّ : الحِلْفُ ، قال أَوْسُ بن حَجَرٍ أحد بنى أسيد ابن عمرو بن تميم : —

لَوْلاَ بَنُو مَالِكٍ وَالْإِلُّ مَرْقَبَةٌ
وَمَالِكٌ فِيهِمُ الْآلاَءُ وَالشَّرَفُ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له، وجمعة آلالٌ ، قال الشاعر : —

فَلاَ إِلٌّ مِنَ الْآلاَلِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمُ فَلاَ تَأْلُنَّ جَهْدَا

---

(١) الال : الحلف ، ومرقبة : اسم مكان من رقبه يرقبه ، والآلاء : النعم

والذمة : العهد ، قال الأجدع بن مالك الهمدانى ، وهو أبو مسروق ابن الأجدع الفقيه : —

وَكَانَ عَلَيْنَا ذِمَّةٌ أَنْ تُجَاوِزُوا
مِنَ الْأَرْضِ مَعْرُوفًا إِلَيْنَا وَمُنْكَرًا

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له ، وجمعها ذِمَم

(يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لاَ يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) أى : قداعْتَدَوْا عليكم (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)

قال ابن إسحق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عَبَّاد بن حُنَيْف ، عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم للناس الحج ، قيل له : يارسول الله ، لو بعثت بها إلى أبى بكر ، فقال : « لا يُؤَدِّى عَنِّى إلا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى » ثم دعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : « اخْرُجْ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةَ وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ وَلاَ يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ » فخرج على بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العَضْبَاء حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أمير أو مأمور؟ فقال: بل مأمور ، ثم مضيا ، فأقام أبو بكر للناس الحجّ والعربُ إذ ذاك فى تلك

السنة على منازلهم من الحج التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فأذَّنَ فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لايدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُرْيَان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عَهْدٌ فهو له إلى مُدَّته ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذَّنَ فيهم ليرجع كلُّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ، ثم لا عَهْدَ لمشرك ولا ذمة ، إلا أحَدًا كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فهو له إلى مدته ، فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان ، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى

قال ابن إسحق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد الخاص ومن كان من أهل العهد العام بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يَعْدُوَ فيها عادٍ منهم فيقتل بعدائه ، فقال : (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللهُ) أى : من بعد ذلك (عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)

قال ابن هشام : وليجة دخيل ، وجمعها ولائج ، وهو من وَلَجَ يلج : أى دخل يدخل ، وفى كتاب الله عز وجل (٧ : ٤٠) (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) أى : يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يُسِرُّون إليه غير مايظهرون ، نحو مايصنع المنافقون : يظهرون الايمان للذين آمنوا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ، قال الشاعر : ـ

وَاعْـلَمْ بِأَنَّكَ قَدْ جُعِلْتَ وَلِيجَةً
سَاقُوا إِلَيْكَ الْحَتْفَ غَيْرَ مَشُوبِ (١)

قال ابن إسحق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم وسقاة الحاج ، وعُمَّار هـذا البيت ، فلا أحد أفضـل منا فقال : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) أى : إن عِمَارتكم ليست على ذلك ، وإنما يعمر مساجد الله : أى من عمرها بحقها ، من آمن بالله واليوم الآخر (وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ) أى : فأولئك عُمَّارها (فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) و « عسى » من الله حق ، ثم قال تعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ) ثم القصة حتى انتهى إلى ذكر حنين وما كان فيه وتولِّيهم عن عدوهم وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعن عنا الأسواق فتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ

(١) الحتف : الهلاك والموت ، وغير مشوب : أى غير مخلوط بشىء ، تقول : شبت الشىء أشوبه ـ مثل قلت أقول ـ إذا خلطته ، فهو مشوب : أى مخلوط

مِنْ فَضْلِهِ) أى : من وجه غير ذلك (إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون) أى : فى هذا عِوَضٌ مما تخوفتم من قطع الأسواق ؛ فعوّضهم الله مما قطع عنهم بأمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية ، ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : (إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ثم ذكر النسىء وما كانت العرب أحدثت فيه ، والنسىء : ما كان يُحَلُّ مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويُحَرَّمُ مما أحل الله منها ، فقال : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) أى : لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما ، أى : كما فعل أهل الشرك (إِنَّمَا النَّسِىءُ) الذى كانوا يصنعون (زِيَادَةٌ فِى الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)

ثم ذكر تَبُوكَ وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاق من نافق من المنافقين حين دعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نَعَي[1]

---

(١) نعى عليهم : عابهم وعتب عليهم فيه

عليهم من إحد انهم فى الاسلام ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِى سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ) ثم القصة إلى قوله تعالى : (يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) إلى قوله تعالى : (إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ) ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر أهل النفاق : (لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِدًا لاَ تَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) أى : إنهم يستطيعون (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) إلى قوله : (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)

قال ابن هشام : أوضعوا خلالكم : ساروا بين أضعافكم ، الإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى ، قال الأجدع بن مالك الهمدانى : —

يَصْطَادُكَ الْوَحَدُ الْمُدِلُّ بِشَأْوِهِ

بِشَرِيجِ بَيْنَ الشَّدِّ وَالإِيضَاعِ [1]

---

(١) الوحد ـ بفتح الواو والحاء المهملة ، أو بفتح الواو وكسر الحاء ـ المنفرد ، ويعنى به فرسا ، المدل ـ بضم الميم وكسر الدال وتشديد اللام ـ اسم فاعل من أدل إذا تاه وتكبر ، والشأو : السبق ، والشريج : النوع ، والشد : الجرى ، والايضاع : فسره ابن هشام ، وقوله « بين الشد والايضاع » صفة لشريج ، وكان من حقه أن ينون شريجا ، لكنه حذف منه التنوين حين اضطر إلى إقامة الوزن ، يخاطب صيداً بأن فرسه التياه سيصطاده بنوع من السير بين الشد والايضاع

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم عبدُ الله بن أبيٍّ ابنُ سلولَ ، وَالجَدُّ بن قَيْس ، وكانوا أشرافا فى قومهم فَثَبَّطَهُمْ الله لعلمه أنهم إن يخرجوا معه يُفْسِدوا عليه جُنْدَه ، وكان فى جنده قومٌ أهل محبةٍ لهم ، وطاعةٍ فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم ، فقال تعالى : (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بالظَّالِمِينَ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) أى : من قبل أن يستأذنوك (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) أى : ليُخَذِّلوا عنك أصحابك ، ويَرُدُّوا عليك أمرك (حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) وكان الذى قال ذلك ، فيما سُمِّيَ لنا ، الجَدُّ بن قيس أخو بنى سَلِمَةَ حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي جهاد الروم ثم كانت القصة إلى قوله تعالى: (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

ثم بين الصدقات لمن هى وسمى أهلها فقال : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نَبْتَلُ

ابن الحرث أخو بنى عمرو بن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه كان يقول: إنما محمد أُذُنٌ مَنْ حَدَّثه شيئًا صَدَّقَهُ، يقول الله تعالى: (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ) أى: يسمع الخير ويصدّق به

ثم قال تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) ثم قال: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) إلى قوله تعالى: (إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً) وكان الذى قال هذه المقاله وَدِيعة بن ثابت أخو بنى أُمَيَّة بن زيد من بنى عمرو ابن عوف، وكان الذى عُفِيَ عنه، فيما بلغنى، مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر الأشجعى حليف بنى سلمة، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع منهم، ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ] إلى قوله: (مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) وكان الذى قال تلك المقالة الجُلَاسُ بن سُوَيْد بن صامت، فرفعها عليه رجل كان فى حِجْره يقال له: عمير بن سعد، فأنكرها وحلف بالله ماقالها، فلما نزل فيهم القرآن تاب وَنَزَعَ وَحَسُنَتْ حاله وتوبته، فيما بلغنى، ثم قال تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) وكان الذى عاهد الله منهم ثَعْلَبة بن حاطب وَمُعَتِّب بن قُشَيْر، وهما من بنى عمرو بن عوف، ثم قال: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وكان

المطوعون[من المؤمنين] فى الصدقات عَبْدَ الرحمن بن عَوْف ، وعاصم بن عدى أخا بنى العَجْلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَغَّب فى الصدقة وَحَضَّ عليها ، فقام عبدالرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى فتصدق بمائة وَسْقٍ من تمر ، فلمزوهما وقالوا : ماهذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بجُهْدِه أبو عَقيل أخو بنى أُنيفٍ : أتى بصاع من تمر فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لَغَنِيٌّ عن صاع أبى عقيل ، ثم ذكر قول بعضهم لبعض حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر بالسير إلى تبوك على شدة الحر وجدب البلاد، فقال تعالى : (وَقَالُوا لاَ تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً) إلى قوله : ([وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ] وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ)

صلاة رسول الله على عبد الله بن أبى وكراهية عمر لذلك

قال ابن إسحق : حدثنى الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد الله بن أبيٍّ دُعِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة تَحَوَّلْتُ حتى قمت فى صدره ، فقلت : يارسول الله ، أتصلى على عدو الله عبد الله بن أبى ابن سلول القائل كذا يوم كذا والقائل كذا يوم كذا ؟ أُعَدِّدُ أيامه [له] ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَبَسَّم ، حتى إذا أكثرت قال : « يَا عُمَرُ أَخِّرْ عَنِّى إِنِّى قَدْ خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ ، قَدْ قِيلَ لِى اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْلاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ فَلَوْ أَعْلَمُ أَنِّى إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ » قال : ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معهُ حتى قام على قبره حتى فُرِغَ منه ، قال : فعجبتُ لى ولجراءتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ماكان إلا يسيرًا حتى نزلت هاتان الآيتان : (وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ

أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله

قال ابن إسحق : ثم قال تعالى : (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) وكان ابن أبى من أولئك ؛ فنعى الله ذلك عليه وذكره منه ، ثم قال تعالى: (لٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ)إلى آخر القصة ، وكان المعذرون ، فيما بلغنى ، نفرًا من بنى غفار : منهم خُفَاف بن أَيْمَاء بن رَحَضَةَ ، ثم كانت القصة لأهل العذر حتى انتهى إلى قوله : (وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) وهم الْبَكَّاؤُن ، ثم قال تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) والخوالف : النساء ، ثم ذكر حَلِفَهُمْ للمسلمين واعتذارهم ، فقال : (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ) إلى قوله تعالى : (فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتَرَبُّصَهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال : (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ) أى : من صدقة أو نفقة فى سبيل الله (مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ

وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ) ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم باحسان ، فقال : (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) ثم قال تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) أى : لجّوا فيه وأبوا غيره (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) والعذاب الذى أوعدهم الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى ، غَمُّهُمْ بما هم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يُرَدُّون إليه عذابُ النار والخلد فيه ، ثم قال تعالى : (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ثم قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) إلى آخر القصة ، ثم قال تعالى : (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم ، ثم قال تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) إلى آخر القصة ، ثم قال تعالى : (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) ثم كان قصة الخبر عن تبوك وما كان فيها إلى آخر السورة

وكانت براءة تسمى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعدها الْمُبَعْثِرَةَ لما كشفت من سرائر الناس

وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال حسان بن ثابت : يعدّد أيام الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه

قصيدة لحسان بن ثابت أو لابنه عبد الرحمن يعدد فيها المغازى

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّهَا نَفَرًا
وَمَعْشَرًا إِنْ هُمُ عُمُّوا وَإِنْ حُصِلُوا (١)

قَوْمٌ هُمُ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ
مَعَ الرَّسُولِ فَمَا أَلْوَوْا وَمَا خَذَلُوا (٢)

وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ
مِنْهُمْ وَلَمْ يَكُ فِي إِيمَانِهِمْ دَخَلُ (٣)

وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ
ضَرْبٌ رَصِينٌ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلُ (٤)

وَيَوْمَ ذِي قَرَدٍ يَوْمَ اسْتَثَارَ بِهِمْ
عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا نَكَلُوا (٥)

---

(١) حصلوا ـ بالبناء للمجهول ـ أى جمعوا كلهم ، وأراد حصلوا بتشديد الصاد ، فلما لم يستقم له الوزن على التشديد خففه ضرورة ، ومن الناس من يرويه بالبناء للمعلوم ، أى إن جمعوا أنفسهم وحصلوها

(٢) ألوا بفتح اللام أو بتشديدها ، وبهما يروى ـ أى قصروا ، تقول : ماألوت فى كذا ، إذا لم تقصر فيه ، ويروى « آلوا » بمد الهمزة ، ومعناه ماأبطئوا ، قال ابن الأعرابى : يقال : آلى الرجل ، إذا أبطأ وتوانى ، وخذلوا : تركوا

(٣) دخل ـ بفتح الدال والخاء ـ أى فساد

(٤) ضرب رصين : محكم ثابت

(٥) خاموا : رجعوا ، ونكلوا : رجعوا رجوع هيبة وفزع

وَذَا الْعُشَيْرَةِ جَاسُوهَا بِخَيْلِهِمْ
مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبِيضُ وَالْأَسَلُ (١)

وَيَوْمَ وَدَّانَ أَجْلَوْا أَهْلَهُ رَقَصًا
بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنُ وَالْجَبَلُ (٢)

وَلَيْلَةَ طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمُ لِلّهِ وَاللّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا

وَغَزْوَةَ يَوْمَ نَجْدٍ ثُمَّ كَانَ لَهُمْ
مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنَّفَلُ

وَلَيْلَةَ بِحُنَيْنٍ جَالَدُوا مَعَهُ
فِيهَا يَعُلُّهُمُ بِالْحَرْبِ إِذْ نَهِلُوا (٣)

وَغَزْوَةَ الْقَاعِ فَرَّقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ
كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرَبِ الرَّسَلُ (٤)

وَيَوْمَ بُويِعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ عَلَى الْجِلَادِ فَآسَوْهُ وَمَا عَدَلُوا

وَغَزْوَةَ الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيَّتِهِ
مُرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجِلُوا

---

(١) جاسوها : مروا خلالها . ويروى « داسوها » أى وطئوها ، والأسل : الرماح

(٢) الرقص ـ بفتح الراء والصاد ـ ضرب من المشى ، والحزن : ما ارتفع وغلظ من الأرض

(٣) يعلهم : أراد يكرر عليهم ؛ وأصل العل السقى الثانى ، ونهلوا : شربوا أولا

(٤) الرسل ـ بفتح الراء والسين ـ الإبل المرسلة

وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ
يَمْشُونَ كُلُّهُمُ مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ (١)

بِالْبِيضِ تُرْعَشُ فِي الْأَيْمَانِ عَارِيَةً
تَعْوَجُّ فِي الضَّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ

وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللهِ مُحْتَسِبًا إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتُهُ الْأُوَلُ

وَسَاسَةُ الْحَرْبِ إِنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمُ
حَتَّى بَدَا لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَفَلُ (٢)

أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ
قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ أَتَّصِلُ (٣)

مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عُهُودُهُمُ
وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ إِذْ قُتِلُوا

قال ابن هشام : عجز آخرها بيتا عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضاً : —

قصيدة اخرى لحسان بن ثابت

كُنَّا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ
فَلَمَّا أَتَى الْإِسْلَامُ كَانَ لَنَا الْفَضْلُ

---

(١) المستبسل : الذى وطن نفسه على الموت

(٢) القفل : الرجوع والأوبة

(٣) حين أتصل : أى حين انتسب ، تقول : فلان يتصل بقبيلة كذا ، إذا كان ينتسب إليها ، قال شاعر الحماسة : —

أَلَا أَبْلِغَا خُلَّتِي رَاشِداً وَصِنْوِي قَدِيماً إِذَا مَا اتَّصَلْ

وأَكْرَمَنَا اللهُ الَّذِى لَيْسَ غَيْرَهُ
إِلٰهٌ بِأَيَّامٍ مَضَتْ مَا لَهَا شَكْلُ [(١)]

بِنَصْرِ الْإِلٰهِ وَالرَّسُولِ وَدِينِهِ
وأَلْبَسَنَاهُ اسْماً مَضَى مَا لَهُ مِثْلُ [(٢)]

أُولٰئِكَ قَوْمِى خَيْرُ قَوْمٍ بِأَسْرِهِمْ
فَمَا عُدَّ مِنْ خَيْرٍ فَقَوْمِى لَهُ أَهْلُ [(٣)]

يَرُبُّونَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفَ مَنْ مَضَى
وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَعْرُوفِهِمْ قُفْلُ [(٤)]

إِذَا اخْتُبِطُوا لَمْ يُفْحِشُوا فِى نَدِيِّهِمْ
وَلَيْسَ عَلَى سُؤَّالِهِمْ عِنْدَهُمْ بُخْلُ [(٥)]

وَإِنْ حَارَبُوا أَوْسَالَمُوا لَمْ يُشَبَّهُوا
فَحَرْبُهُمُ حَتْفٌ وَسَلْمُهُمُ سَهْلُ

---

(١) شكل الشيء : مثله ، والمشاكلة والمماثلة والمشابهة والمشاكهة والمحاكاة ، كل ذلك بمعنى واحد ، يريد مالأيامنا التى أكرمنا الله فيها باكرامنا رسوله مثل بين أيام الناس التى يفاخرون بها

(٢) يريد بالاسم الذى ألبسهم الله إياه « الأنصار » فان هذا اسم ينطوى تحته من دلائل الفخار مالا يحصيه محص ولا يأتى على تعداده حاسب

(٣) أسرهم : كلهم

(٤) يربون : يصلحون

(٥) اختبطوا : قصدهم قاصد طلباً لنائلهم ، والمختبط : الذى يقصدك طالباً لمعروفك ، قال الشاعر : —

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

وَجَارُهُمُ مُوفٍ بِعَلْيَاءَ بَيْتُهُ
لَهُ مَا ثَوَى فِينَا الْكَرَامَةُ وَالْبَذْلُ (١)

وَحَامِلُهُمْ مُوفٍ بِكُلِّ حَمَالَةٍ
تَحَمَّلَ لَا غُرْمٌ عَلَيْهِ وَلَا خَذْلُ (٢)

وَقَائِلُهُمْ بِالْحَقِّ إِنْ قَالَ قَائِلٌ
وَحِلْمُهُمُ عَوْدٌ وَحُكْمُهُمُ عَدْلُ (٣)

وَمِنَّا أَمِينُ الْمُسْلِمِينَ حَيَاتَهُ
وَمَنْ غَسَلَتْهُ مِنْ جَنَابَتِهِ الرُّسْلُ (٤)

قال ابن هشام : وقوله « وَأَلْبَسنَاهُ اسْماً » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضاً : —

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت

قَوْمِي أُولَئِكَ إِنْ تَسْأَلِي كِرَامٌ إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمّْ (٥)

وقد روى بعض الناس هذه الكلمة « اختطبوا » بتقديم الطاء على الباء — وهو من الخطبة ، ونديهم : مجلسهم

(١) العلياء : المكان المرتفع ، وثوى : أقام ، والبذل : الاعطاء

(٢) الحمالة : ما يحمله الانسان من غرم فى دية ، والخذل : الخذلان ، وهو ضد المناصرة

(٣) عود : قديم ، والعود أيضاً : الذى يتكرر ، وكلاهما يصلح هنا ، ويصلح إرادة المعنيين جميعا

(٤) أمين المسلمين : يريد به سعد بن معاذ رضى الله عنه ، ومن غسلته الرسل : يريد به حنظلة الذى استشهد يوم أحد فغسلته الملائكة

(٥) ألم : نزل

عِظَامُ الْقُدُورِ لِأَيْسَارِهِمْ يَكُبُّونَ فِيهَا الْمُسِنَّ السَّنِمْ (١)

يُوَاسُونَ جَارَهُمُ فِي الْغِنَى وَيَحْمُونَ مَوْلَاهُمُ إِنْ ظُلِمْ

فَكَانُوا مُلُوكاً بِأَرْضِيهِمُ يُنَادُونَ غُضْباً بِأَمْرٍ غَشَمْ (٢)

مُلُوكاً عَلَى النَّاسِ لَمْ يُمْلَكُوا مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا كَحِلِّ الْقَسَمْ

فَأَنْبُوا بِعَادٍ وَأَشْيَاعِهَا ثَمُودَ وَبَعْضِ بَقَايَا إِرَمْ (٣)

بِيَثْرِبَ قَدْ شَيَّدُوا فِي النَّخِيلِ حُصُونًا وَدُجَّنَ فِيهَا النَّعَمْ (٤)

نَوَاضِحَ قَدْ عَلَّمَتْهَا الْيَهُو دُ « عَلّ » « إِلَيْكَ » وَقَوْلاً « هَلُمّْ » (٥)

وَفِيمَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقِطَا فِ وَالْعَيْشِ رِخْوًا عَلَى غَيْرِ هَمّْ (٦)

---

(١) الأيسار : جمع يسر - بفتح الياء والسين جميعا - وهو الذى يدخل فى الميسر ، والمسن : الكبير ، والسنم : العظيم السنام وهو أعلى الظهر

(٢) أمر غشم : هو ما كان فيه أسوأ الظلم

(٣) أنبوا : أراد أنبئوا نخفف الهمزة بقلبها ياء ثم حذفها ، وإرم : عاد الأولى

(٤) دجن : أسكن واتخذ فى البيوت ، تقول : دجن بالمكان دجونا - مثل قعد قعودا - إذا أقام ، والداجن : كل ما ألف الناس كالحمام والدجاج ونحو ذلك ، والنعم : الابل

(٥) النواضح : جمع ناضح ، وهوالبعير الذى يستقى عليه ، وعل : كلمة تزجر بها الابل ، وهلم : أى أقبل

(٦) القطاف - بكسر القاف - ما يقطف من العنب وغيره

فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ بِأَثْقَالِنَـــا
عَلَى كُلِّ فَحْلٍ هِجَانٍ قَطِمْ (١)
جَنَبْنَا بِهِنَّ جِيَادَ الْخُيُو لِ قَدْ جَلَّلُوهَا جِلاَلَ الْأَدَمْ (٢)
فَلَمَّا أَنَاخُوا بِجَنْبَىْ صِرَارٍ وَشَدُّوا السُّرُوجَ بِلَىِّ الْحُزُمْ
فَمَا رَاعَهُمْ غَيْرُ مَعْجِ الْخُيُو
لِ وَالزَّحْفُ مِنْ خَلْفِهِمْ قَدْ دَهِمْ (٣)
فطَارُوا سِرَاعًا وَقَدْ أُفْزِعُوا وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ كَأُسْدِ الْأَجَمْ
عَلَى كُلِّ سَلْهَبَةٍ فِي الصِّيَا نِ لاَ يَشْتَكِينَ نُحُولَ السَّأَمْ (٤)
وَكُلِّ كُمَيْتٍ مُطَارِ الفُؤَادِ أَمِينِ الْفُصُوصِ كَمِثْلِ الزُّلَمْ (٥)
عَلَيْهَا فَوَارِسُ قَـدْ عُوِّدُوا قِرَاعَ الْكُمَاةِ وَضَرْبَ الْبُهَمْ (٦)
مُلُوكٌ إِذَا غَشَمُوا فِى الْبِلاَ دِ لاَ يَنْـكُلُونَ وَلٰـكِنْ قُدُمْ (٧)

---

(١) الهجان : الأبيض ، وهى من أكرم الأبل عليهم ، والقطم : الشهوان الهائج للضراب

(٢) جنبنا : أراد قدنا ، وجللوها : غطوها ، والجلال : جمع جل ، والأدم ـ بفتحتين ـ الجـلد

(٣) معج الخيول : سرعتها ، ودهم : جاء على غفلة

(٤) السلهبة : الفرس الطويلة ، والصيان ككتاب : أصله ما يصان فيه الحلى ، ومثله الصوان كغراب ، والسأم ـ بفتحتين ـ الملل

(٥) مطار الفؤاد : أراد ذكى الفؤاد ، والفصوص : مفاصل العظام ، والزلم : القدح

(٦) الكماة : الشجعان ، واحـدهم كمى ، والبهم : الشجعان أيضا ، واحـدهم بهمة

(٧) غشموا : جاروا واشتد ظلمهم ، ولا ينكلون : أى لا يرجعون من هيبة أو فزع

فَأُبْنَا بِسَادَاتِهِمْ وَالنِّسَاءِ وَأَوْلَادُهُمْ فِيهِمُ تُقْتَسَمْ (١)
وَرِثْنَا مَسَاكِنَهُمْ بَعْدَهُمْ وَكُنَّا مُلُوكاً بِهَا لَمْ نَرِمْ (٢)
فَلَمَّا أَتَانَا الرَّسُولُ الرَّشِيدُ بِالْحَقِّ وَالنُّورِ بَعْدَ الظُّلَمْ
فَقُلْنَا صَدَقْتَ رَسُولَ الْمَلِيكِ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَفِينَا أَقِمْ
فَنَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ الْإِلٰهِ أُرْسِلْتَ نُوراً بِدِينٍ قِيَمْ (٣)
فَإِنَّا وَأَوْلَادَنَا جُنَّةٌ نَقِيكَ وَفِي مَالِنَا فَاحْتَكِمْ
فَنَحْنُ أُولَئِكَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَنَادِ نِدَاءً وَلَا تَحْتَشِمْ (٤)
وَنَادِ بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ نِدَاءً جِهَاراً وَلَا تَكْتَتِمْ
فَسَارَ الْغُوَاةُ بِأَسْيَافِهِمْ إِلَيْهِ يَظُنُّونَ أَنْ يُخْتَرَمْ (٥)
فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا نُجَالِدُ عَنْهُ بُغَاةَ الْأُمَمْ (٦)
بِكُلِّ صَقِيلٍ لَهُ مَيْعَةٌ رَقِيقِ الذُّبَابِ عَضُوضٍ خَذِمْ (٧)

---

(١) أبنا : رجعنا

(٢) لم نرم : لم نبرح ولم نفارق مكاننا ولم نزايله

(٣) بدين قيم : لااعوجاج فيه ، ومنه قوله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) وقال تعالى : (دينا قيما ملة إبراهيم)

(٤) لاتحتشم : لا تنقبض ، تقول : احتشمت من فلان ، إذا انقبضت منه

(٥) يخترم ـ بالبناء للمجهول ـ يقتل

(٦) البغاة : جمع باغ

(٧) له ميعة : يريد أنه مصقول تمام الصقل فهو يشبه الماء فى صفائه ، والذباب : حد أطراف السيف ، والخذم ـ بالذال المعجمة ـ القاطع

إِذَا مَا يُصَادِفُ صُمَّ الْعِظَا مِ لَمْ يَنْبُ عَنْهَا وَلَمْ يَنْثَلِمْ (١)
فَذَلِكَ مَاوَرَّثَتْنَا الْقُرُو مُ مَجْدًا تَلِيدًا وَعِزًّا أَشَمْ (٢)
إِذَا مَرَّ نَسْلٌ كَفَى نَسْلَهُ وَغَادَرَ نَسْلاً إِذَا مَا انْفَصَمْ (٣)
فَمَا إِنْ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ لَنَا عَلَيْهِ وَإِنْ خَاسَ فَضْلُ النِّعَمْ (٤)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته : ـ

فَكَانُوا مُلُوكاً بِأَرْضِيهِمُ يُنَادُونَ غُضْبًا بِأَمْرٍ غَشَمْ

وأنشدنى :

بِيَثْرِبَ قَدْ شَيَّدُوا فِى النَّخِيلِ حُصُونًا وَدُجِّنَ فِيهَا النَّعَمْ

وبيته « وَكُلٌّ كُمَيْتٍ مُطَارِ الْفُؤَادِ » عنه

ذكر سنة تسع ، وتسميتها سنة الوفود ، ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف ، وبايعت ؛ ضَرَبَتْ إليه وفود العرب من كل وَجْه

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود

---

(١) لم ينب : لم يرتفع عنها ولم يرجع

(٢) القروم : السادة ، واحدهم قرم ، والمجد التليد : الشرف القديم ، وأشم : أى مرتفع

(٣) انفصم : انقطع وانقرض

(٤) خاس : غدر ، تقول : خاس فلان بعهده ، إذا غدر ولم يف لك

قال ابن إسحق : وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بالاسلام أمر هذا الحى من قريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت والحرم ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام ، وقَادَةَ العرب ، لا يُنْكِرُونَ ذلك ، وكانت قريش هى التى نَصَبَتْ لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افْتُتِحَتْ مكة ودانت له قريش وَدَوَّخَهَا [(١)] الاسلام عَرَفَت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال الله عز وجل أَفْوَاجًا يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (١١٠ : ١ — ٣) : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أفواجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) أى : فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره إنه كان توابا .

قدوم وفد بنى تميم ، ونزول سورة الْحُجُرَات

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدم عليه عُطَارِد بن حاجب بن زُرَارة بن عُدُس التميمى فى أشراف بنى تميم : منهم الأَقْرَعُ بن حابس [التميمى] ، والزِّبْرِقَانُ بن بدر التميمى أحد بنى سعد ، وَعَمْرُو بن الأَهْتَم ، والحبحاب بن يزيد [(٢)] (قال ابن هشام : الْحُتَات ، وهو الذى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبى

---

(١) دوخها الاسلام : ذللها وأخضعها

(٢) وقع فى نسخه أوربة « وعمرو بن الأهتم الحبحاب » فجعلهما واحدا ووقع فى سائر النسخ « والحبحاب بن زيد » وفى الاصابة للحافظ بن حجر أن الحبحاب بن يزيد ، وهو كذلك فيما يأتى من الكلام فى أصول الكتاب كلها ، وقد وقع فيما يأتى أيضا ذكرهما اثنين ، فتأمل

سفيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين : بين أبى بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف ، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وَبين أبى ذر الغفارى وَالمقداد بن عمرو البهرانى ، وبين معاوية بن أبى سفيان وَالحتات بن يزيد المجاشعى ، فمات الحتات عند معاوية فى خلافته ، فأخذ معاوية ماترك وراثة بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية :ـ

أَبُوكَ وَعَمِّى يَامُعَاوِىَ أورثَا تُرَاثًا فَيَحْتَازُ التُّراثَ أَقَارِبُهْ
فَمَا بَالُ مِيرَاثِ الُحتَاتِ أَكَلتَهُ وَمِيرَاث حَربٍ جَامِدٌ لَكَ ذَائِبُه

وهذان البيتان فى أبيات له)

قال ابن إسحق : وفى وفد بنى تميم : نُعَيْم بن يزيد ، وقيس بن الحرث وقيس بن عاصم أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم

قال ابن هشام : وعُطَارِد بن حاجب أحَدُ بنى دارم بن مالك بن حَنْظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، والأقرع بن حابس أحد بنى مالك بن دارم ابن مالك ، والُحتات بن يزيد أحد بنى دارم بن مالك ، والزبرقان بن بدر أحد بنى بَهْدَلَةَ بن عَوْف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو ابن الأهتم أحد بنى مِنقَر بن عبيد بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيس بن عاصم أحد بنى مِنْقَر بن عبيد [بن الحرث]

قال ابن إسحق : ومعهم عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بَدْر الفَزَارى وقد كان الأقرع بن حابس وعُيَينة بن حصن شهِدَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنَيْناً والطائف ، فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نَادَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجُراته : أنِ أُخْرج إلينا يامحمد ، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه

وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يامحمد ، جئناك نفاخرك فأْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا ، قال : « قَدْ أَذِنْتُ لِخَطِيبِكُمْ فَلْيَقُلْ » فقام عُطارد بن حاجب ، فقال :

خطبة تميم

الحمدلله الذى له علينا الفضلُ [والمَنّ] ، وهوأهله ، الذى جعلنا مُلوكا ، ووهب لنا أموالا عِظَاماً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق ، وأكثره عَدَداً ، وأيْسَرَهُ عُدَّةً ، فمن مثلنا فى الناس ؟ ألسنا برؤس الناس وأُولى فضلهم ؟ فمن فَاخَرَنَا فَلْيَعْدُدْ مثلَ ماعددنا ، وإنا لونشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنَّا نحيا من الاكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعْرف بذلك ، أقول هذه لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمْرٍ أفْضَلَ من أمرنا ، ثم جلس

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس أخى بنى الحرث بن الخزرج : « قُمْ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فى خُطْبَتِهِ » فقام ثابت ، فقال :

خطبة ثابت بن قيس

الحمد لله الذى السموات والأرض خَلْقه ، قَضَى فيهن أَمْرَهُ ، ووَسِعَ كرسيَّهُ علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصْطَفَى من خير خلقه رَسُولاً أكرمه نسباً ، وأصْدَقَهُ حديثا ، وأفضله حسبا . فأنزل عليه كتابه ، وائتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناسَ إلى الإيمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرمُ الناس حَسَباً ، وأحسن الناس وجوها ، وخيرُ الناس فَعَالاً ، ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله نحن ، فنحن أنصار الله ، ووزراء رسوله ؛ نقاتل الناس حتى يؤمنوا

بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع [منا] ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً ، أقول [قولي] هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم

فقام الزبرقان بن بدر ، فقال : —

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حَيٌّ يُعَادِلُنَا
مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبِيَعُ (١)

وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمُ عِنْدَ النِّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ

وَنَحْنُ نُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعَمَنَا
مِنَ الشِّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَزَعُ (٢)

بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَاتُهُمُ
مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوِيًّا ثُمَّ نَصْطَنِعُ (٣)

فَنَنْحَرُ الْكُومَ عُبْطاً فِي أَرُومَتِنَا
لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبِعُوا (٤)

---

(١) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحدتها بيعة ، ومنه قوله تعالى : (لهدمت صوامع وبيع)

(٢) القزع : سحاب رقيق يكون في الخريف ، واحدته قزعة ، بفتح القاف والزاي فيهما .

(٣) هويا : سراعا

(٤) الكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام ، وعبطا : أي من غير علة ، تقول : مات فلان عبطة ، واعتبط فلان - بالبناء للمجهول - إذا مات شاباً أو من غير علة ، والأرومة : الأصل

فلا تَرانَا إِلَى حَيٍّ نُفَاخِرُهُمْ
إِلاَّ اسْتَقَادُوا فَكَانُوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ
فَمَنْ يفَاخِرُنَا فِي ذَاكَ نَعْرِفُهُ
فَيَرْجِعُ القَوْمُ والْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
إِنَّا أَبَيْنَا وَلَا يأْبَى لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ

قال ابن هشام : يروى «منا الملوك وفينا تقسم الرِّبَعُ»(١) ويروى «مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوَانَا ثَمَّ مُتَّبَعُ» رواه لى بعض بنى تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان

قال ابن إسحق : وكان حسان غائبا ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حسان : جاءنى رسوله فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :—(٢)

مَنَعْنَا رَسُولَ اللهِ إِذْ حَلَّ وَسْطَنَا عَلَى أَنْفِ راضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
مَنَعْنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
بِبَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَثَرَاؤُهُ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسْطَ الأَعَاجِمِ
هَلِ الْمَجْدُ إِلاَّ السُّؤْدَدُ الْعَوْدُ والنَّدَى
وجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعَظَائِمِ ؟

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم فقال ماقال عرضت فى قوله ، وقلت على نحو ماقال ، فلما فرغ الزبرقان قال

---

(١) كان من عادتهم فى الجاهلية إذا غنموا أن يعطوا الرئيس ربع الغنيمة ويسمى المرباع ، والربع أيضا ، وهذا كناية عن أنهم الرؤساء والسادة

(٢) سنشرح هذه الأبيات حين تجىء فى الرواية الثانية مع أخواتها .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : «قُمْ يَاحَسَّانُ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِيمَا قَالَ» قال : فقام حسان ، فقال : —

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ (١)

يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ

تَقْوَى الْإِلٰهِ وَكُلَّ الْخَيْرَ يَصْطَنِعُ

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدَعُ (٢)

إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمُ

فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ

لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ

عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا (٣)

إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمُ

أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَعُوا (٤)

أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ

لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمُ طَمَعُ (٥)

---

(١) الذوائب : الأعالى ، واحدتها ذؤابة ، وأراد هنا السادة

(٢) السجية : الطبيعة والخليقة

(٣) أوهت : أضعفت وهدمت

(٤) متعوا : زادوا وظهروا عليهم ، تقول : متع النهار ، إذا ارتفع

(٥) لا يطبعون : أى لا يتدنسون

لاَ يَبْخَلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمُ
وَلاَ يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ (١)

إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ نَدِبَّ لَهُمْ
كَمَا يَدِبُّ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرَعُ (٢)

نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنَا مَخَالِبُهَا
إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا (٣)

لاَ يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمُ
وَإِنْ أُصِيبُوا فَلاَ خُورٌ وَلاَ هُلُعُ (٤)

كَأَنَّهُمْ فِي الْوَغَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ
أُسْدٌ بِحَلْيَةَ فِي أَرْسَاغِهَا فَدَعُ (٥)

---

(١) الطبع ـ بفتح الطاء المهملة والباء جميعا ـ الدنس

(٢) نصبنا : أظهرنا لهم العداوة ولم نسرها فى أنفسنا ، والذرع ـ بفتحتين ـ ولد البقرة الوحشية .

(٣) الزعانف : أطراف الناس وأتباعهم ، وخشعوا : خضعوا وتذللوا

(٤) الخور : جمع : أخور ، وهو الضعيف ، والهلع : جمع هلوع ، وهو الجبان الخائف .

(٥) الموت مكتنع : دان قريب ، تقول : اكتنع منه ، إذا دنا ، وحلية : اسم موضع تنسب إليه الأسود ، قال أبو ذر : « يروى بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل ، ويروى بالياء المنقوطة باثنتين من أسفل وهو الصواب » اه وقال ياقوت : «حلية ـ بالفتح ثم السكون وياء خفيفة وهاء : مأسدة بناحية اليمن ، قال بعضهم :ـ

كَأَنَّهُمُ يَخْشَوْنَ مِنْكَ مُدَرَّبًا بِحَلْيَةَ مَشْبُوحَ الذِّرَاعَيْنِ مِهْزَعَا

خُــذْ مِنْهُمُ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا
وَلاَ يَــكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِى مَنَعُوا (١)

فَانَّ فِي حَرْبِهِمْ فَاتْرُكْ عَدَاوَتَهُمْ
شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السُّمُّ وَالسَّلَعُ (٢)

أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللهِ شِيعَتُهُمْ
إِذَا تَفَاوَتَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشِّيَعُ

أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُوَازِرُهُ
فِيمَا أُحِبُّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ (٣)

فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمُ
إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا (٤)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد : —

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
تَقْوَى الْإِلٰهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِى شَرَعُوا

وقيل : حلية : واد بين أعيار وعليب ... وقيل : هو من أرض اليمن ، وقيل : موضع بنواحى الطائف »اه ، والأرساغ : جمع رسغ ، وهو موضع مربط القيد ، وفدع : اعوجاج إلى ناحية

(١) عفوا : أى من غير طلب ولا مشقة

(٢) السلع : نبات مسموم

(٣) صنع ـ بفتح الصاد والنون جميعا ـ صانع ماهر يتقن ما يصنعه ويحسن عمله

(٤) شمعوا : هزلوا ، وأصل الشمع الطرب واللهو ، ومنه قولهم : جارية شموع ، إذا كانت كثيرة الطرب

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم بالشعر من بنى تميم أن الزبرقان ابن بدر لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال : —

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا
إِذَا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ (١)

بِأَنَّا فُرُوعُ النَّاسِ فِى كُلِّ مَوْطِنٍ
وَأَنْ لَيْسَ فِى أَرْضِ الْحِجَازِ كَدَارِمِ (٢)

وَأَنَّا نَذُودُ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَخَوْا
وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَصْيَدِ الْمُتَفَاقِمِ (٣)

وَأَنَّ لَنَا الْمِرْبَاعَ فِى كُلِّ غَارَةٍ
نُغِيرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ (٤)

فقام حسان بن ثابت فأجابه فقال : —

---

(١) المواسم : جمع موسم ، وهو المكان الذى يجتمع فيه الناس مرة كل سنة ، مثل موسم الحج ، ومثل اجتماعهم فى أسواق الجاهليه كعكاظ وذى المجاز ونحو ذلك

(٢) دارم : من بنى تميم

(٣) المعلمين : الذين يعلمون أنفسهم بعلامة يعرفون بها ليطلع الناس على بلائهم فى الحرب ، ويروى فى مكانه « العالمين » ، وانتخوا : تكبروا وأعجبوا بأنفسهم ، والأصيد : المتكبر الذى يلوى عنقه يمينا وشمالا ، والمتفاقم : المتعاظم ، وقد قالوا : تفاقم الخطب ، إذا اشتد وعظم وصعب الخلاص منه

(٤) المرباع : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس على ما قدمنا (انظر ﻫ ١ ص ٢٢٦) ويكنى بذلك عن أنهم رؤساء ، ونجد : أراد به ما ارتفع وعلا من الأرض

هَلِ الْمَجْدُ إلاَّ السُّؤْدَدُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى
وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعَظَائِمِ (١)
نَصَرْنَا وَآوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
بِحَيٍّ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَثَرَاؤُهُ
بِجَابِيَةِ الْجَوْلاَنِ وَسْطَ الْأَعَاجِمِ (٢)
نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسْطَ دِيَارِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
جَعَلْنَا بَنِينَا دُونَهُ وَبنَاتِنَا وَطِبْنَا لَهُ نَفْساً بِفَيْءِ الْمَغَانِمِ
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا
عَلَى دِينِهِ بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ (٣)
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَهَا
وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ (٤)
بَنِي دَارِمٍ لاَ تَفْخَرُوا إِنَّ فَخْرَكُمْ
يَعُودُ وَبَالاً عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ (٥)

---

(١) العود : القديم ، والذى يتكرر على الزمان ، والندى : الكرم والعطاء ، والعظائم : جمع عظيمة

(٢) حى حريد ـ بالحاء المهملة ـ منفرد لا يختلط بغيره لعزته ، وجابية الجولان : موضع بالشأم ، وأصل الجابية الحوض الكبير وهو الذى يسميه الناس الصهريج

(٣) المرهفات الصوارم : أراد السيوف المحددة القاطعة

(٤) ولدنا نبى الخير ، ذلك لأن أم عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم كانت من بنى النجار

(٥) الوبال : الهلاك

هَبِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمُ لَنَا خَوَلٌ مَا بَيْنَ ظِئْرٍ وَخَادِمِ [١]

فَإِنْ كُنْتُمُ جِئْتُمْ لِحَقْنِ دِمَائِكُمْ
وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي الْمَقَاسِمِ

فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدًّا وَأَسْلِمُوا
وَلَا تَلْبَسُوا زِيًّا كَزِيِّ الْأَعَاجِمِ [٢]

قال ابن إسحق: فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس: وأبى إن هذا الرجل لمؤَتًّى له [٣] لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا

فلما فرغ القوم أسلموا، وَجَوَّزَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم [٤]

وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم فى ظَهْرِهم [٥]، وكان أصغرهم سنًّا فقال قيس بن عاصم، وكان يبغض عمرو بن الأهتم: يارسول الله، إنه قد كان رجل منَّا فى رحالنا، وهو غلام حَدَثٌ، وَأَزْرَى به، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ماأعطى القوم، فقال عمرو بن الأهتم — حين بلغه أن قيسا قال ذلك — يهجوه: —

---

(١) هبلتم: فقدتم، وتقول: هبلته أمه، تريد الدعاء عليه بالفقدان، والظئر ـ بكسر فسكون ـ التى ترضع ولد غيرها وهى تأخذ على ذلك أجرا، وأصله الناقة التى تعطف على ولد غيرها، والخادم: يقال للذكر والأنثى

(٢) الند ـ ومثله النديد ـ هو المثل والشبيه

(٣) لمؤتى له ـ بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد التاء ـ أى: أنه موفق، وتقول أيضا: آتاه الشيء، إذا وافقه

(٤) الجوائز: العطايا، واحدتها جائزة

(٥) ظهرهم: إبلهم

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتِمُنِى
عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ (١)

سُدْنَا كُمُ سُؤْدَدًا رَهْوًا وَسُؤْدَدُ كُمْ
بَادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٍ عَلَى الذَّنَبِ (٢)

قال ابن هشام : بقى بيت واحد تركناه لأنه أقذع فيه

قال ابن إسحق : وفيهم نزل من القرآن (٤٩ : ٤) : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس فى الوفادة عن بنى عامر

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر ، فيهم عامر بن الطُّفَيْل ، وأربد بن قَيْس بن جَزْء[٣] بن خالد بن جَعْفر ، وجَبَّار بن سَلْمى[٤] ابن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم ، وشياطينهم ، فقدم عامرُ ابن الطفيل عَدُوُّ الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يريد الْغَدْرَ به ، وقد قال له قومه : ياعامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تَتْبَعَ العربُ عَقِبِى أَفَأَنا أتبع عَقِبَ هذا الفتى من

---

(١) الهلب والهلباء : شعر الذنب ، وقد استعاره ههنا للانسان

(٢) رهوا ـ بالراء المهملة ـ متسعا ، والنواجذ : الأسنان ، واحدها ناجذ ، قال الحماسى :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

ومقع على الذنب : هو من قولهم : أقعى الكلب ، إذا جلس على أليتيه وضم ساقيه وأمر ذنبه خلفه

(٣) يروى ههنا فى بعض النسخ « بن جزى » والصواب ما ذكرناه

(٤) من الناس من يرويه بفتح السين ، ومنهم من يرويه بضمها ، والصواب الفتح

قريش ؟ ثم قال : لأرْبَدَ : إذا قدمنا على الرجل فإنى سأشغل عَنْكَ وجهه ، فاذا فعلتُ ذلك فَاعْلُه بالسيف [(١)] ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يا محمد ، خَالِّنى [(٢)] ، قال : « لاَ وَاللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللهِ وَحْدَه » قال : يا محمد ، خَالِّنِي [(٢)] ، وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أَمره به ، فجعل أَرْبَدُ لا يُحِيرُ شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خَالِّنِي [(٢)] ، قال : « لاَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه » فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأَمْلأَنَّهَا عليك خَيْلاً ورجالا ، فلما وَلَّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ » فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! ! أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أَخْوَفُ عندى على نفسى منك ، وَايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا ، قال : لا أبالك ، لاَ تَعْجَلْ علىَّ ، والله ما هَمَمْتُ بالذى أمرتنى به من أمره إلاَّ دَخَلْتَ بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضرب بك بالسيف ؟ وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بَعَثَ الله على عامر بن الطفيل الطاعُونَ فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل يقول : يابَنى عامر ، أَغُدَّةً كَغُدَّةِ [(٣)] الْبَكْرِ فى بيت امرأة من بنى سَلول .

---

(١) فاعله بالسيف : يريد اقتله ، ويروى « فاغله بالسيف » بالغين المعجمة ، وهو من الغيلة ، وهى القتل خديعة وخفية

(٢) خالنى : يروى بكسر اللام مخففة وبتشديدها مكسورة ، فالأول معناه تفرد لى خاليا حتى أحدثك على انفراد ، والثانى معناه اتخذنى خليلا ، من المخالة ، وهى الصداقة

(٣) الغدة : داء يصيب البعير فى حلقه فيموت منه ، وهو شبيه بالذبحة

قال ابن هشام : ويقال : أَغُدَّةً كَغُدَّةِ الإبل وَمَوْتاً فى بيت سَلُولية

قال ابن إسحق : ثم خرج أصحابه حين وَارَوْهُ حتى قدموا أرض بنى عامر شَاتِّينَ ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : مَاوَرَاءكَ يا أربد ؟ قال : لاشىء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شىء لَوَدِدْتُ أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقةً فأحرقتهما ، وكان أرْبَدُ بن قيس أخالَبيدِ ابن ربيعة لأمه

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسْلَمَ ، عن عطاء بن يَسَار ، عن ابن عباس قال : وأنزل الله عز وجل فى عامر وأربد (١٣ : ٨ — ١٣) : (اللهُ يَعْلَمُ مَاتَحْمِلُ كلُّ أنْثَى) إلى قوله (وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) قال : والمُعَقِّبَات هى من أمر الله يحفظون محمداً ، ثم ذكر أربد وماقتله الله به فقال : (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) إلى قوله (شَدِيدُ المِحَالِ)

قال ابن إسحق : فقال لبيد يبكى أرْبَدَ : —

مَا إنْ تُعَدِّى المَنُونُ مِنْ أَحَدٍ ... لاَ وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلاَ وَلَدِ (١)

أخْشَى عَلَى أرْبَدَ الْحُتُوفَ وَلاَ ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالْأَسَدِ

فَعَيْنِ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إذْ ... قُمْنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فِى كَبَدِ (٢)

التى تصيب الانسان ، والبكر : الفتى من الابل ، وسلول ـ بفتح السين المهملة ـ قوم يصفهم العرب باللؤم والدناءة ، قال السموءل : ـ

وَإنَّا أُنَاسٌ لاَ نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً ... إذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

(١) تعدى : أراد به تترك وتتجاوز

(٢) الكبد ـ بفتح الكاف والباء ـ الجهد والمشقة ، قال الله تعالى : (لقد خلقنا الانسان فى كبد)

إنْ يَشْغَبُوا لاَ يُبَالِ شَغْبَهُمُ ... أوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدِ

حُلْوٌ أَرِيبٌ وَفِي حَلاَوَتِهِ ... مُرٌّ لَطِيفُ الْأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ [1]

وَعَيْنِ هَلاَّ بَكَيْتِ أرْبَدَ إذْ ... أَلْوَتْ رِيَاحُ الشِّتَاءِ بِالْعَضُدِ

وَأصْبَحَتْ لاَ قِحًا مُصَرَّمَةً ... حِينَ تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمُدَدِ [2]

أَشْجَعُ مِنْ لَيْثِ غَابَةٍ لَحِمٍ ... ذُو نَهْمَةٍ فِي الْعُلاَ وَمُنْتَقَدِ [3]

لاَ تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا ... لَيْلَةَ تُمْسِي الْجِيَادُ كَالْقِدَدِ [4]

الْبَاعِثُ النَّوْحَ فِي مَآتِمِهِ ... مِثْلَ الظِّبَاءِ الْأَبْكَارِ بِالْجُرُدِ [5]

فَجَّعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْـ ... ـفَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ النَّجُدِ [6]

والْحَارِبِ الْجَابِرِ الْحَرِيبَ إذَا ... جَاءَ نَكِيبًا وَإنْ يَعُدْ يَعُدِ [7]

---

(١) الأريب : العاقل

(٢) المصرمة : التى لا لبن لها ، والغوابر : البقايا ، واحدتها غابرة

(٣) لحم - بفتح فكسر - كثير الأكل للحم ، وذونهمة : أى له ولوع وحب فى بلوغ غاية الشىء ، ويروى « ذونهية » بالياء المثناة ، وهى العقل وجمعها نهى ، ومنه قوله تعالى : (إن فى ذلك لآيات لأولى النهى)

(٤) القدد - بكسر ففتح - جمع قدة ، وهى الشراك الذى يقطع من الجلد

(٥) المآتم : جمع مأتم ، وهو جماعه النساء يجتمعن فى خير أو شر ، والجرد : الأرض التى لا نبات فيها

(٦) النجد - بفتح فضم - الشجاع

(٧) الحارب : السالب ، والحريب : المسلوب ، فعيل بمعنى مفعول ، والنكيب : المنكوب الذى أصابته نكبة

يَعْفُو عَلَى الجُهْدِ وَالسُّؤَالِ كَمَا
يَنْبُتُ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرَّصَدِ (١)

كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمُ
قُلٌّ، وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنَ الْعَدَدِ (٢)

إنْ يُغْبَطُوا يَهْبِطُوا وَإِنْ أَمِرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلْهَلَاكِ وَالنَّفَدِ (٣)

قال ابن هشام بيته « وَالْحَارِبُ الْجَابِرُ الْحَرِيبَ » عن أبي عبيدة ، وبيته « يَعْفُو عَلَى الْجُهْد » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال لبيد أيضا يبكي أَرْبَدَ : —

أَلَا ذَهَبَ الْمُحَافِظُ وَالْمُحَامِي وَمَانِعُ ضَيْمِهَا يَوْمَ الْخِصَامِ (٤)

وَأَيْقَنْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قَالُوا تُقُسِّمَ مَالُ أَرْبَدَ بِالسِّهَامِ

تَطِيرُ عَدَائِدُ الْإِشْرَاكِ شَفْعًا وَوَتْرًا وَالزَّعَامَةُ لِلْغُلَامِ (٥)

فَوَدِّعْ بِالسَّلَامِ أَبَا حَرِيزٍ وَقَلَّ وَدَاعُ أَرْبَدَ بِالسَّلَامِ

---

(١) الجهد : المشقة ، يريد أنه يعطي ويكثر عطاؤه مع المشقة ، والرصد: الكلأ القليل

(٢) قل – بضم القاف – أي قليل

(٣) يغبطوا : هو من الغبطة ، وهو كناية عن حسن حالهم حتى يغبطهم الناس ، يهبطوا : تغير أحوالهم ، من قولهم : هبط المرض ، إذا تغيرت حاله ، وأمروا – بكسر الميم – كثروا ، تقول : أمر الناس ، وأمر الزرع ، إذا كثر ، والنفد : انقطاع الشيء وزواله ، قال الله تعالى : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)

(٤) الضيم : الذل

(٥) الزعامة : أفضل المال الموروث

وَكُنْتَ إِمَامَنَا وَلَنَا نِظَامًا ... وَكَانَ الْجَزْعُ يُحْفَظُ بِالنِّظَامِ [١]

وَأَرْبَدُ فَارِسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا ... تَقَعَّرَتِ الْمَشَاجِرُ بِالْفِئَامِ [٢]

إِذَا بَكَرَ النِّسَاءُ مُرَدَّفَاتٍ ... حَوَاسِرَ لَا يُجِئْنَ عَلَى الْخِدَامِ [٣]

فَوَاءَلَ يَوْمَ ذَلِكَ مَنْ أَتَاهُ ... كَمَا وَأَلَ الْمُحِلُّ إِلَى الْحَرَامِ

وَيَحْمَدُ قِدْرَ أَرْبَدَ مَنْ عَرَاهَا ... إِذَا مَا ذُمَّ أَرْبَابُ اللِّحَامِ [٤]

وَجَارَتُهُ إِذَا حَلَّتْ لَدَيْهِ ... لَهَا نَفَلٌ وَحَظٌّ مِنْ سَنَامِ [٥]

فَإِنْ تَقْعُدْ فَمُكْرَمَةٌ حَصَانٌ ... وَإِنْ تَظْعَنْ فَمُحْسِنَةُ الْكَلَامِ [٦]

وَهَلْ حُدِّثْتَ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا ... عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا ابْنَيْ شَمَامِ [٧]

وَإِلَّا الْفَرْقَدَيْنِ وَآلَ نَعْشٍ ... خَوَالِدَ مَا تُحَدَّثُ بِانْهِدَامِ [٨]

---

(١) الجزع : الخرز اليمانى

(٢) الهيجا : من أسماء الحرب ، أصله المد وقد يقصر كما هنا ، وتقعرت سقطت من أصلها كما تتقعر النخلة ، والمشاجر : ضرب من الهوادج

(٣) حواسر : كاشفات عن وجوههن ، الواحدة حاسرة ، ويروى فى مكانه « جوائر » وقوله « لايجئن » هو من قولهم : أجأت على ثوبى ؛ إذا غطيته ، ويروى فى مكانه « لا يجبن » ومعنى هاتين الروايتين كمعنى السابقة ،

(٤) اللحام : جمع لحم

(٥) النفل : العطية ، والسنام : أعلى ظهر البعير

(٦) الحصان ـ بفتح الحاء المهملة ـ العفيفة التى لا يتعرض لها ، وتظعن : ترحل

(٧) ابنا شمام : جبلان

(٨) الفرقدان وآل نعش : من النجوم

قال ابن هشام وهى فى قصيدة له

قال ابن إسحق : وقال لبيد أيضا يبكى أَرْبَدَ : —

انْعَ الْكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ أَرْبَدَا   انْعَ الرَّئِيسَ وَاللَّطِيفَ كَبِدَا (١)

يُحْذِى وَيُعْطِى مَالَهُ لِيُحْمَدَا   أُدْمًا يُشَبَّهْنَ صُوَارًا أُبَّدَا (٢)

السَّائِلُ الْفَضْلِ إِذَا مَا عُدِّدَا   وَيَمْلأُ الْجَفْنَةَ مِلْئًا مَدَدَا

رِفْهًا إِذَا يَأْتِى ضَرِيكٌ وَرَدَا   مِثْلُ الَّذِى فِى الْغِيلِ يَقْرُو جُمُدَا (٣)

يَزْدَادُ قُرْبًا مِنْهُمُ أَنْ يُوعَدَا   أَوْرَثْتَنَا تُرَاثَ غَيْرِ أَنْكَدَا (٤)

غِبًّا وَمَالاً طَارِفًا وَوَلَدَا   شَرْخًا صُقُورًا يَافِعًا وَأَمْرَدَا (٥)

وقال لبيد أيضا : —

لَنْ تُفْنِيَا خَيْرَاتِ أَرْ   بَدَ فَابْكِيَا حَتَّى يَعُودَا

قُولَا هُوَ الْبَطَلُ الْمُحَا   مِى حِينَ يُكْسَوْنَ الْحَدِيدَا

---

(١) النعى ـ بفتح فسكون ـ الاخبار بالموت ، والنعى ـ بفتح فكسر والياء مشددة ـ الذى يخبر به ، فعيل بمعنى فاعل

(٢) يحذى : يعطى ، ويروى « يجدى » بالجيم والدال المهملة ، وهو بمعناه ، والأدم : الابل البيض ، والصوار ـ كغراب ـ جماعة بقر الوحش ، والأبد : المستوحشة ، واحدها آبد

(٣) رفها : أى يفعل ذلك دائما كل يوم ، والضريك : الفقير ، والذى فى الغيل : هو الأسد ، ويقرو : يتتبع ، وجمدا : اسم جبل ، ويروى فى مكانه « جهدا » والجهد : الطاقة والمشقة

(٤) يوعد : يهدد ، والتراث : الميراث

(٥) الطارف : المال المحدث ، والشرخ : الشباب ، واليافع : الذى قارب الحلم

وَيَصُدُّ عَنَّا الظَّالِمِينَ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ صِيدَا[1]

فَاعْتَاقَهُ رَبُّ الْبَرِيَّةِ إِذْ رَأَى أَنْ لَا خُلُودَا[2]

فَثَوَى وَلَمْ يُوجَعْ وَلَمْ يُوصَبْ وَكَانَ هُوَ الْفَقِيدَا[3]

وقال لبيد أيضا : —

يُذَكِّرُنِي بِأَرْبَدَ كُلُّ خَصْمٍ أَلَدَّ تَخَالُ خُطَّتَهُ ضِرَارَا[4]

إِذَا اقْتَصَدُوا فَمُقْتَصِدٌ كَرِيمٌ وَإِنْ جَارُوا سَوَاءَ الْحَقِّ جَارَا

وَيَهْدِي الْقَوْمَ مُطَّلِعًا إِذَا مَا دَلِيلُ الْقَوْمِ بِالْمَوْمَاةِ حَارَا[5]

قال ابن هشام : وآخرها بيتا عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال لبيد أيضاً : —

أَصْبَحْتُ أَمْشِي بَعْدَ سَلْمَى بْنِ مَالِكٍ

وَبَعْدَ أَبِي قَيْسٍ وَعُرْوَةَ كَالْأَجَبْ[6]

إِذَا مَا رَأَى ظِلَّ الْغُرَابِ أَضَجَّهُ

حِذَاراً عَلَى بَاقِي السَّنَاسِنِ وَالْعَصَبْ[7]

---

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو المتكبر

(٢) اعتاقه ـ بالقاف ـ منعه من بلوغ أمله ، ويروى « فاعتافه » ومعناه قصده

(٣) لم يوصب : أى لم يصبه وصب ، وهو بفتح الواو والصاد الألم

(٤) الضرار ـ مثل قتال ـ هو الضر

(٥) الموماة ـ بفتح الميم وسكون الواو ـ القفر

(٦) الأجب ـ بالجيم وتشديد الباء ـ البعير المقطوع السنام

(٧) أضجه : جعله يضج ، والضجيج : الصياح ، والسناسن : عظام الظهر وهى فقاره

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى أبيات له

قدوم ضِمَامِ بن ثعلبة ، وافدا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحق : و بعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم يقال له ضِمَامِ بن ثعلبة

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نُوَيْفِـع ، عن كُرَيْب مولى عبد الله بن عباس، عن ابن عباس ، قال : بَعَثَتْ بنو سعد بن بكر ضِمَامَ ابن ثعلبة وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، و أناخ بعيره على باب المسجد ، ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ، وكان ضِمَامٌ رجلا جَلْداً أشْعَرَ ذا غديرتين، (١) فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِب » قال : أمحمد ؟ قال : « نعم » قال : ياابن عبد المطلب ، إنى سائلك وَمُغْلِظٌ عليك فى المسألة فلا تجِدَنَّ [بها علىَّ] فى نفسك ، قال : «لاَ أَجِدُ فِي نَفْسِي فَسَلْ عَمَّا بَدَالَكَ» قال : أنشدك الله إلٰهَكَ و إلٰهَ من كان قبلك و إلٰهَ من هو كائن بعدك ، آللّه بعثك إلينا رسولا ؟ قال : « اللَّهُمَّ نعم » قال: فأنشدك الله إلٰهَكَ وإلٰهَ من كان قبلك وإلٰهَ من هو كائن بعدك ، آللّه أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هـذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : « اللَّهُمَّ نَعَمْ »قال: فأنشدك الله إلٰهَكَ وإلٰهَ من كان قبلك و إلٰه من هو كائن بعدك ، آللّه أمرك أن نُصَلِّيَ هـذه الصلاة

(١) الغديرتان : الذؤابتان من شعر ، والعقيصتان : المضفورتان من الشعر أيضا ، وقد سماه النبى صلى الله عليه وسلم « ذا العقيصتين » كما سيأتى فى آخر القصة

الخمس ؟ قال : « [اللهم] نعم » قال : ثم جعل يذكر فرائض الاسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الاسلام كلها ، يَنْشُدُه عند كل فريضة [منها] كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فانى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدى هـذه الفرائض ، وأجتنب مانهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص ، ثم انصرف إلى بعيره راجعا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنْ صَدَقَ ذُو العَقِيصَتَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » قال : فأتى بعيره فأطلق عِقَالَهُ ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ماتكلم به أن قال : بِاسْتِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى ، قالوا : مَهْ ياضِمام ، اتَّقِ الْبَرَصَ ، اتَّقِ الْجُذَامَ ، اتق الجنون ، قال : ويلكم إنهما والله لا يضرّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استَنْقَذَكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ومانهاكم عنه ، قال : فوالله ماأمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما ، قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفْضَلَ من ضِمَام بن ثعلبة

قُدُوم الْجَارُودِ فى وَفدِ عبد القيس

قال ابن إسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الْجَارُودُ ابن عمرو بن حَنَش أخو عبد القيس

قال ابن هشام : الجارود : ابن بشر بن المعلى فى وفد عبد القيس ، وكان نصرانيا

قال ابن إسحق : حدثنى من لا أتّهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كَلَّمه ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغّبه فيه ، فقال : يامحمد ، إنى قد كنت

على دين ، وإنى تارك دينى لدينك ، أفتضمن لى دينى ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ أنا ضَامِنٌ [لَكَ] أَنْ قَدْ هَدَاكَ الله إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ » قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الُحمْلاَن، فقال : « وَاللهِ مَا عِنْدِى مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ » قال : يارسول الله ، فان بيننا و بين بلادنا ضَوَالَّ من ضوالّ الناس أفنتبلغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : « لا ، إِيَّاكَ وَإِيَّاهَا فَإِنَّمَا تِلْكَ حَرَقُ النَّارِ » فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الاسلام صُلْبًا على دينه حتى هلك ، وقد أدرك الردة

فلما رجع من قَوْمِهِ مَنْ كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الْغَرُور ابن المنذر بن النعمان بن المنذر قام الجارود [فتكلم] فتشهدَ شهادة الحق ، ودعا إلى الاسلام ، فقال : أيها الناس ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأُكَفِّر من لم يشهد

قال ابن هشام : و يروى وأكفى من لم يشهد

قال ابن إسحق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء ابن الحضرمى قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوَى الْعَبْدِى ، فأسلم فحسن إسلامه ، ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل رِدَّة أهل البحرين والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين

قدوم بنى حنيفة ، ومعهم مُسَيْلِمَةُ الكذَّاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَفْدُ بنى حنيفة ، فيهم مُسَيْلِمَةُ بْن حبيب [الحنفى] الكذاب

قال ابن هشام : مسيلمة ابن ثمامة ، و يكنى أبا ثمامة

قال ابن إسحق : فـكان منزلهم فى دار بنت الحرث [1] امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار ؛ فحدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تَسْتُرُهُ بالثياب ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه معه عَسِيبٌ [2] من سَعَف النخل فى رأسه خُوصَات ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كَلَّمه وسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَوْ سَأَلْتَنِي هٰذَا الْعَسِيبَ مَا أَعْطَيْتُكَهُ »

قال ابن إسحق : و[قد] حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، زعم أن وفد بنى حنيفة أَتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَخَلَّفُوا مُسَيْلِمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد خَلَّفْنَا صاحبا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ماأمر به للقوم ، وقال : « أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُم مَكَانًا » أى : لحفظه ضيعة أصحابه ، ذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاؤا بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارْتَدَّ عَدُوُّ الله ، وتنبأَ ، وتكذب لهم ، وقال : إنى قَدْ أُشْرِكْتُ فى الأمر معه ، وقال لوفده الذى كان معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : «أما إنه ليس بشركم مكانا» ماذاك إلا لما كان يعلم أنه قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معه ، ثم جعل يَسْجَعُ لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : لَقَدْ أنعم الله على

---

(١) قال أبو ذر : « يقال : إن هذه المرأة اسمها كبشة بنت الحرث »

(٢) العسيب : جريد النخل ، والسعف ـ بفتحتين ـ أغصان النخلة ، والخوصات : جمع خوصة ، وهى ورق النخل والدوم

الْحُبْلَى ، أَخْرَجَ منها نَسَمَةً تَسْعَى ، من بين صِفَاقٍ وَحَشَا . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي ، فأصفقت معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أي ذلك كان

قدوم زيد الخيل في وفد طيء

قال ابن إسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَفْدُ طَيِّءٍ ، فيهم زَيْدُ الْخَيْلِ ، وهو سيدهم ، فلما انْتَهَوْا إليه كَلَّمهم وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثني من لا أتهم من رجال طيء — : « مَاذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِفَضْلٍ ثُمَّ جَاءَنِي إِلاَّ رَأَيْتُهُ دُونَ مَا يُقَالُ فِيهِ إِلاَّ زَيْدَ الْخَيْلِ فَإِنَّهُ لَمْ يُبْلَغْ كُلُّ مَا فِيهِ » ، ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْدَ الخير ، وقطع له فَيْدًا [1] وَأَرَضِينَ معه وكتب له بذلك ؛ فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى قومه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ حُمَّى الْمَدِينَةِ فَإِنَّهُ » قال : قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أُمِّ مَلْدَمٍ [2] فلم يُثْبِتْهُ ، فلما انتهى من بلد نجدٍ إلى ماء من مياهه يقال له فَرْدَة أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموت قال : —

أَمُرْتَحِلٌ قَوْمِي الْمَشَارِقَ غُدْوَةً ... وأُتْرَكُ فِي بَيْتٍ بِفَرْدَةَ مُنْجِدِ [3]

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَوْمَرِضْتُ لَعَادَنِي ... عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يَبْرَ مِنْهُنَّ يَجْهَدِ

---

(١) فيد — بفتح فسكون — اسم أرض

(٢) أم ملدم : اسم من أسماء الحمى

(٣) منجد بيت : أي في أرض نجد ، ونجد : أعلى الحجاز

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه التى قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرقتها بالنار

أمر عدىّ بن حاتم

وأما عدىّ بن حاتم فكان يقول — فيما بلغنى — : مامن رجل من العرب كان أشدّ كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى، أما أنا فكنت امرأ شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت أسير فى قومى بالمرباع ، فكنت فى نفسى على دين ، وكنتُ ملكاً فى قومى لما كان يصنع بى ، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهتهُ ، فقلت لغلام كان لى عربى وكان راعيا لإبلى : لاأبالك ، أعدد لى من إبلى أجمالا ذُلُلاً [1] سِماناً فاحتبسها قريبامنى ، فاذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنِّى، ففعل، ثم [انه] أتانى ذات غداةٍ فقال : ياعدى ، ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيلُ محمد فاصنعه الآن ، فانى قد رأيت راياتٍ ، فسألتُ عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد ، قال : فقلت : فقرِّبْ إلىّ أجمالى ، فقرَّبها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام ، فسلكت الجُوشيّة [2] (ويقال : الحُوشية ، فيما قال ابن هشام) وخلّفْتُ بنتاً لحاتم

---

(١) ذللا : جمع ذلول ، وهو الجمل السهل الذى قد ارتاض

(٢) وقع فى بعض نسخ الأصل « حوشية » بالحاء المهملة والشين المعجمة ، ووقع فى بعضها « جوشية » بالجيم والشين المعجمة ، وقال ياقوت : « بالضم ثم السكون وكسر السين المهملة وياء خفيفة : قريه من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير ، وقال الحازمى : جوشية بعد الجيم المضمومة واو ساكنة ثم شين معجمة مكسورة بعدها ياء تحتها نقطتان مشددة مفتوحة ، موضع بين نجد والشام سلك عليها

فى الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها ، وتُخَالِفنى خيلٌ لرسول الله صلى الله عليه وَسلم فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيىء ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال : فُجُعِلَتْ بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا تُحْبَسُ فيها ، فمرَّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلَةً ، فقالت : يارسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علىَّ مَنَّ الله عليك ، قال : « ومَنْ وَافِدُكِ » ؟ قالت : عَدِىُّ بن حاتم ، قال : « الْفَارُّ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ » ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مَرَّ بى ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ماقال بالأمس ، قالت : حتى إذا كان بعد الغد مَرَّ بى ، وقد يئست منه ، فأشار إلىَّ رَجُلٌ من خلفه : أنْ قُومِى فكلميه ، قالت : فقمت إليه ، فقلت : يارسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُنْ علىَّ مَنَّ الله عليك ، فقال صلى الله عليه وسلم : « قَدْ فَعَلْتُ فَلا تَعْجَلِى بِخُرُوجٍ حَتَّي تَجِدِى مِنْ قَوْمِكِ مَنْ يَكُونُ لَكِ ثِقَةً حَتَّى يُبلِّغَكِ إِلَى بلادِكِ ثُمَّ آذِنِينِى » فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه ، فقيل : على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بَلِىٍّ أو قُضَاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشام ، قالت : فجئت رَسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله ، قد قدم رَهْطٌ من قومى لى فيهم ثقة وبَلَاغ ، قالت : فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام ، قال عدى : فوالله إنّى لَقَاعِدٌ فى

عدى بن حاتم حين قصد الشام هاربا من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وطئت بلاد طيىء ، قاله ابن إسحاق ، ووجدته مقيدا مضبوطا كذلك بخط أبى الحسن بن الفرات »

أهلى إذ نظرت إلى ظَعينةٍ[1] تَصُوبُ إلىَّ تؤمُّنا ، قال : فقلت : ابنة حاتم ؟ قال : فاذاهى هى ، فلما وقفتْ علىَّ انْسحَلَتْ[2] تقول : القاطع ، الظالم ، احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عَوْرَتكَ ، قال : قلت : أىْ أُخَيَّةُ لاتقولى إلا خيرا ، فوالله مالى من عُذْرٍ ، لقد صنعتُ ماذكرتِ ، قال : ثم نزلت ، فأقامت عندى ، فقلت لها وكانت امرأة حازمة : ماذا تَرَيْنَ فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تَلْحَقَ به سريعا ، فان يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكا فلن تَذِلَّ فى عزِّ الْيَمَنِ وَأنت أنت ، قال : قلت : والله إن هذا للرَّأى ، قال : فخرجت حتى أقدَمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه وهو فى مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : « مَنِ الرَّجُلُ » ؟ فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بى إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، ووقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها ، قال : قلت فى نفسى : والله ماهذا بملك ، قال : ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى [إذا] دخل بى بيته تناول وِسَادَةً من أَدَمٍ مَحْشُوَّةً ليفا ، فقذفها إلى ، فقال : « اجْلِسْ عَلَى هٰذِهِ » قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : « بَلْ أَنْتَ » فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ، قال : قلت فى نفسى : والله ماهذا بأمر ملك ، ثم قال : « إيهٍ ياعَدِىَّ بْنَ حَاتِمٍ أَلَمْ تَكُ

---

(١) الظعينة : المرأة فى هودجها ، وقد يقال لها : ظعينة وإن لم تكن فى الهودج ، وتصوب إلى : تقبل نحوى ، وتؤمنا : تقصدنا

(٢) انسحلت : لامت وسخطت ، تقول : سحلته بلسانى ، إذا لمته وأظهرت سخطتك عليه

رَكُوسِيًّا » ؟ قال : [1] قلت : بلى ، قال : « أَوَ لَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ [2] بِالْمِرْبَاعِ » قال : قلت : بلى ، قال : « فإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ » قال : قلت : أجل [3] والله ، وعرفت أنه نبى مرسل يعلم مايُجْهل ، ثم قال : « لَعَلَّكَ يَاعَدِيُّ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فى هذا الدين ماترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لايوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها [حتى] تَزُور هذا البيت لاتخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم » قال : فأسلمت ، وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، ووالله لتكونن : قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لاتخاف حتى تحج هذا البيت ، وايم الله لتكونَنَّ الثالثة: لَيَفِيضَنَّ المال حتى لايوجد من يأخذه

قدوم فَرْوَة بن مُسَيْك الْمُرَادِىّ

قال ابن إسحق : وقدم فَرْوَةُ بن مُسَيْكٍ الْمُرَادِىُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : مُفَارِقاً لملوك كِنْدَة ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان قبيل الإسلام بين مُرَاد وَهَمْدَان وَقْعَةٌ أصابت

---

(١) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين
(٢) المرباع : ربع الغنيمة ، وتقدم ذكره
(٣) أجل : حرف جواب بمعنى نعم

فيها همدان من مرادٍ ماأرادوا ، حتى أثْخَنُوهم [1] فى يوم كان يقال له يوم الرَّدْم ، فكان الذى قاد هَمْدَان إلى مراد الأجدع بن مالك فى ذلك اليوم

قال ابن هشام : الذى قاد همدان فى ذلك اليوم مالك بن حَرِيم [2] الهمدانى

قال ابن إسحق : وفى ذلك اليوم يقول فَرْوَةُ بن مُسَيْك : —

مَرَرْنَ عَلَى لِفَاتَ وَهُنَّ خُوصٌ ... يُنَازِعْنَ الأَعِنَّةَ يَنْتَحِينَا [3]
فَإِنْ نَغْلِبْ فَغَلَّابُونَ قِدْمًا ... وَإِنْ نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينَا
وَمَا إِنْ طِبُّنَا جُبْنٌ وَلٰكِنْ ... مَنَايَانَا وَطُعْمَةُ آخَرِينَا [4]
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ ... تَكُرُّ صُرُوفُهُ حِينًا فَحِينَا [5]
فَبَيْنَا مَا نُسَرُّ بِهِ وَنَرْضَى ... وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارَتُهُ سِنِينَا [6]
إِذِ انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَّاتُ دَهْرٍ ... فَأَلْفَيْتَ الأُلَى غُبِطُوا طَحِينَا [7]
فَمَنْ يُغْبَطْ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنْهُمْ ... يَجِدْ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خَئُونَا

---

(١) أثخنوهم : أكثروا فيهم القتل

(٢) قال أبو ذر : « يروى بفتح الحاء المهملة ، ويروى أيضا خريم بضم الخاء المعجمة ، وحريم بفتح المهملة هو الصواب »

(٣) لفات ـ بزنة كتاب وسحاب ـ اسم موضع ، وخوص جمع خوصاء وهى الغائرة العين ، وينتحين : يعترض

(٤) الطب ههنا : العادة ، يقول : ليست عادتنا الجبن والفزع ، ويروى عجز البيت « منايانا ودولة آخرينا »

(٥) دولته سجال : أى تكون تارة للانسان وتارة عليه ، وأصله من المساجلة ، وهى أن يفعل مثل مايفعل صاحبه

(٦) غضارة الشىء : طراوته ونعمته

(٧) الألى : أى الذين ، وغبطوا : استحسنت حالهم

فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَنْ خَلَدْنَا وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذًا بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكُمْ سَرَوَاتِ قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونَ الأَوَّلِينَا (١)

قال ابن هشام : أول بيت منها ، وقوله « فان نُغْلَبْ » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : ولما توجه فَرْوَةُ بن مُسَيْك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة قال : —

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضَتْ
كَالرِّجْلِ خَانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نِسَائِهَا (٢)
قَرَّبْتُ رَاحِلَتِي أَؤُمُّ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا (٣)

قال ابن هشام : أنشدنى أبوعبيدة « أرجو فواضله وحسن ثنائها »

قال ابن إسحق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى « يافَرْوَةُ ، هَلْ سَاءَكَ مَاأَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرَّدْمِ » ؟ قال : يارسول الله ، من ذا يصيب قَوْمَه مثلُ ما أصاب قومي يوم الرَّدْم لا يسوءه ذلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : « أما إنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَومَكَ فِي الإِسْلَامِ إِلاَّ خَيْراً » واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مُراد وزُبَيْد ومَذْحِج كلها ، و بعث معه خالد ابن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سروات القوم : أشرافهم

(٢) النسا : عرق مستبطن فى الفخذ ، وهو مقصور غير ممدود ، فان مد فى شعر فلضرورة ، وقد روى فى هذا البيت ممدودا

(٣) أؤم : أقصد ، و « ثنائها » هو الذى يتحدث به الرجل من خير أوشر ، ويروى فى مكانه « ثرائها » ويعنى به على هذه الرواية الجود والعطية

قدوم عَمْرو بن مَعْدِيكَرِب فى أناس من بنى زُبَيْد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرُو بن مَعْدِ يكرب فى أناس من بنى زُبَيْد، فأسلم ، وكان عَمْرٌو قدقال لقيس بن مَكْشُوح الْمُرَادىّ — حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم — : يا قَيْسُ ، إنك سيد قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قدخرج بالحجاز يقول : إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فان كان نبياً كما يقول فانه لن يَخْفَى عليك ، إذا لقيناه اتبعناه ، و إن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قَيْسٌ ذلك ، وسَفَّه رأيه ، فركب عمرو بن معديكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصَدَّقه ، وآمن به ، فلما بلغ ذلك قَيْس بن مَكْشُوح أوعد عَمْراً وتَحَطَّمَ عليه ، وقال : خالفنى وترك رأيى ، فقال عمرو بن معد يكرب فى ذلك : —

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِى صَنْعَا ءَأمرًا بَادِيًا رَشَدُهُ (١)
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللّهِ وَالْمَعْرُوفِ تَتَّعِدُهْ
خَرَجْتَ مِنَ الْمُنَى مِثْلَ الْحُمَيِّرِ غَرَّهُ وَتَدُهْ
تَمَنَّانِى عَلَى فَرَسٍ عَلَيْهِ جَالِسًا أَسَدُهْ
عَلَىَّ مُفَاضَةٌ كَالنَّهْى أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدَدُهْ (٢)
تَرُدُّ الرُّمْحَ مُنْثَنِيَ السِّنَانِ عَوَائِرًا قِصَدُهْ (٣)

---

(١) ذوصعناء : اسم موضع

(٢) المفاضة : الدرع الواسعة ، والنهى : الغدير ، والجدد : الأرض الصلبة .

(٣) عوائر : أى متطايرة ، والقصد — بكسر القاف وفتح الصاد — جمع قصدة ، وهو ما تكسر من الرمح .

فَلَوْ لاقيتَنِي لَلَقِيـ ـتَ لَيْثًا فَوْقَهُ لِبَدُهْ (١)
تُلَاقِي شَنْبَثًا شَثْنَ الْـ ـبَرَاثِنِ نَاشِزًا كَتَدُهْ (٢)
يُسَامِي الْقِرْنَ إنْ قِرْنٌ تَيَمَّمَهُ فَيَعْتَضِدُهْ (٣)
فَيَأْخُـــذُهُ فَيَرْفَعُهُ فَيَخْفِضُهُ فيقتَصِدُهْ (٤)
فَيَدْمَغُـهُ فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمُهُ فَيَزْدَرِدُهْ (٥)
ظَلومُ الشِّرْكِ فِيمَا أَحْـ ـرَزَتْ أَنْيَابُهُ وَيَدُهْ

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة :ــ

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِى صَنْعَا ءَ أمْرًا بَيِّنًا رَشَـــدُهْ
أَمَرْتُكَ باتِّقَاءِ اللـ ـهِ تَأْتِيـــهِ وَتَتَّعِدُهْ
فَـكُنْتَ كَذِى الْحُمِيرِ غَـ ـرَّهُ مِمَّا بِهِ وَتِدُهْ

ولم يعرف سائرها

قال ابن إسحق : فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زُبَيْد ، وعليهم فَرْوَة بن مُسَيْك ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتَدَّ عَمْرو بن معد يكرب ، وقال حين ارتد : —

---

(١) اللبد ـ بكسر ففتح ـ جمع لبدة ؛ وهى ماعلى كتفى الأسد من الشعر

(٢) الشنبث ـ بزنة جعفر ـ الذى يتعلق بقرنه ولا يزايله ، وشثن : أى غليظ الأصابع ، والبراثن : جمع برثن ، وهو للسبع بمنزلة الأصبع للانسان ، وناشزا : مرتفعا ، والكتد : مابين الكتفين .

(٣) يسامى القرن : يعلوه ويرتفع عليه ، والقرن ـ بكسر فسكون ـ الذى ينازلك فى الشجاعة ، وتيممه : قصده ، ويعتضده : يجعله تحت عضده ، أى يفوقه ويتغلب عليه .

(٤) يقتصده : يقتله .

(٥) يدمغه : يخرج دماغه ، ويحطمه : يكسره ، ويخضمه : يا كله ، ويزدرده : يبتلعه

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرْوَةَ شَرَّ مُلْكٍ حِمَارًا سَافَ مَنْخِرُهُ بِثَفْرِ (١)

وَكُنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ

تَرَى الْحُوَلَاءَ مِنْ خُبْثٍ وَغَدْرِ (٢)

قال ابن هشام : قوله « بثفر » عن أبي عبيدة

قدوم الأَشْعَثِ بن قَيْس فى وفد كِنْدَة

قال ابن إسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعثُ ابن قيس فى وفد كِنْدَةَ

فحدثنى الزُّهْرِيُّ ابن شهاب أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمانين راكبا من كِنْدَة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده وقد رَجَّلُوا جُمَمَهُمْ (٣) ، وتكَحَّلوا ، عليهم جُبَبُ (٤) الْحِبَرَة ، وقد كَفَّفُوها بالحرير (٥) ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَمْ تُسْلِمُوا » قالوا : بلى ، قال : « فَمَا [بَالُ] هٰذَا الْحَرِيرِ فِى أَعْنَاقِكُمْ » قال : فشقوه منها ، فألقوه ، ثم قال له الأشعث بن قيس : يارسول الله ، نحن بنو آكل الْمُرَار ، وأنت ابن آكل الْمُرار ، قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « نَاسِبُوا بِهٰذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسَ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَبِيعَةَ بْنَ الْحَرِثِ » وكان العباس وربيعة رجلين

---

(١) ساف : شم ، والثفر فى البهائم بمنزلة الرحم فى الأنسان .

(٢) الحولاء : الجلدة التى يخرج فيها ولد الناقه .

(٣) رجلوا جممهم : يريد مشطوا شعورهم وسرحوها ، تقول : رجل الرجل شعره ، إذا مشطه وسرحه ، والجمم - بضم الجيم - جمع جمة

(٤) الجبب : جمع جبة ، وهى ضرب من الثياب ، والحبرة : ضرب من برود اليمن ذو خطوط .

(٥) كففوها : أى جعلوا لها طرازا .

تاجرين ، وكانا إذا شاعا[1] فى بعض العرب فسئلا مِمَّنْ هُمَا قالا : نحن بنو آكل المرار ، يَتَعَزَّزان بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكا ، ثم قال لهم : « لا ، بَلْ نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ لاَ نَقْفُو[2] أُمَّنَا وَلاَ نَنْتَفِى مِنْ أَبِينَا » فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يامعشر كندة ، والله لاأسمع رَجُلاً يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث [بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء ، وآكل المرار : الْحرثُ بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحرث بن معاوية بن ثور بن مُرَتِّع بن معاوية بن كِنْدِىّ ، ويقال : كندة ، وإنما سمى آكل المرار لأن عمرو بن الْهَبُولَة الْغَسَّانى أغار عليهم ، وكان الحرث غائبا ، فغنم وسبى ، وكان فيمن سبى أم أناس بنت عَوْف بن مُحَلِّم الشَّيْبَانى امرأة الحرث بن عمرو ، فقالت لعمرو فى مسيره : لَكَأَنِّى برجل أَدْلَمَ[3] أسود كأَنَّ مَشافِره مَشَافِرُ بعير آكلِ مُرَارٍ[4] قدْأخذ برقبتك ، تعنى الحرث ، فسمى آكل الْمُرَار ، والْمُرَار : شجر ، ثم تَبِعه الحرثُ فى بنى بكر بن وائل فلحقه فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب ، فقال الحرث بن حِلِّزَةَ الْيَشْكُرِىُّ لعمرو بن المنذر — وهو عمرو ابن هند اللَّخْمِىُّ — :

وَأَقَدْنَاكَ رَبَّ غَسَّانَ بِالْمُنْـ ذِرِ كَرْهًا إذْ لاَ تُكَالُ الدِّمَاء

---

(١) إذا شاعا : بعدا ، ومنه الأخبار الشائعة ، وهى التى انتشرت وبعدت عن مصدرها .

(٢) لا نقفو أمنا : لا نتبعها فى نسبها لأن نسب الرجل إلى أبيه لا إلى أمه

(٣) الأدلم : المسترخى الشفتين

(٤) المشافر : جمع مشفر ، وهو للبعير كالشفة للانسان ، والمراد ـ بزنة غراب ـ نبات إذا أكلته الابل ارتفعت مشافرها وتقبضت لمرارة هذا النبات

لأن الحرث الأعرج الْغَسَّانى قَتَلَ المنذر أباه ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وهذا الحديث أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه ماذكرت من الْقَطْع ، ويقال : بل آكل الْمُرَار حُجْرُ بن عَمْرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ، وإنما سمى آكل المرار لأنه أَكَلَ هو وأصحابه فى تلك الْغَزْوَة شَجَرًا يقال له الْمُرَار .

قدوم صُرَد بن عبد الله الأزْدِىّ

قال ابن إسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرَدُ بن عبد الله الأزدى ، فأسلم وحسن إسلامه ، فى وَفْدٍ من الأزد ، فأمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم مَنْ كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن . فخرج صُرَد ابن عبد الله يسيرُ بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بِجُرَش ، وهى يومئذ مدينة مُغْلَقَةٌ وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضَوَتْ إليهم (١) خَثْعَمُ ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَكَر ظن أهل جُرَش أنه إنما وَلّى عنهم مُنْهَزِما ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عَطَفَ عليهم فقتلهم قتلا شديدا ، وقد كان أهل جُرَشَ بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يَرْتَادَان وينظران ، فبيناهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيةً بعد صلاة العصر إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بِأَىِّ بِلَادِ اللهِ شَكَرُ » فقام الْجُرَشِيَان فقالا : يارسول الله ببلادنا جَبَلٌ يقال له كَشَر ، وكذلك يسميه أهل جُرَش

---

(١) ضوت : انضمت ولجأت واتصلت بهم .

فقال : «إِنَّهُ لَيْسَ بِكَشَر وَلَـكِنَّهُ شَـكَر » قال : فما شأنه يارسول الله ؟ قال : « إِنَّ بُدْنَ اللهِ لَتُنْحَرُ عِنْدَهُ الآن » قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر ، أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لَيَنْعَى لـكما قومكما ، فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : « اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنْهُمْ » فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما [قد] أصيبوا يوم أصابهم صُرَد بن عبد الله فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ماذكر ، وخرج وَفْدُ جُرَش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلموا ، وَحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم على أعـلام معلومة لِلْفرَس والراحلة ولِلْمُثِيرة [1] بَقَرة الْحَرْث فمن رعاه من الناس فَمَالُهُ [2] سُحْتٌ، فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد — وكانت خَثْعَمُ تصيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يَعْدُونَ فى الشهر الحرام — :

رسول الله يخبر بالمدينة عن وقعة صرد عند جبل شكر

يَا غَزْوَةً ، مَاغَزَوْنَا ، غَيْرَ خَائِبَةٍ فِيهَا الْبِغَالُ ، وَفِيهَا الْخَيْلُ وَالْحُمُرُ
حَتَّى أَتَيْنَا حُمَيْرًا فِى مَصَانِعِهَا
وَجَمْعَ خَثْعَمَ قَدْ شَاعَتْ لَهَا النُّذُرُ [3]

---

(١) المثيرة : اسم فاعل من أثار الأرض ، إذا قلبها ، وتسمى البقرة بذلك لأنها تقلب الأرض ، قال الله تعالى : (تثير الأرض ولا تسقى الحرث) وذلك فى وصف بقرة بنى إسرائيل

(٢) ماله سحت : حرام لا يحل له أن يأكله

(٣) حميرا : هو بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء ، وأراد تصغير حمير ، وكان حقه أن يشدد الياء ، ولـكنه خففها حين اضطر لاقامة الوزن ، ويروى «خميرا» بالخاء المعجمة ، ولامعنى له ، بل هو تصحيف ، والمصانع :

إِذَا وَضَعْتُ غَلِيلاً كُنْتُ أَحْمِلُهُ ... فَمَا أُبَالِى أَدَانُوا بَعْدُ أَمْ كَفَرُوا [1]

قدوم رسول [2] ملوك حمير بكتابهم

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوكِ حِمْيَر، مَقْدَمَه من تَبُوك، وَرَسُولُهُم [2] إليه باسلامهم: الحٰرثُ بن عبد كُلَال، وَنُعَيم بن عبد كَلاَل، وَالنُّعْمَان قَيْلُ ذُورُعَيْن [3] وَمَعَافِر وَهَمْدان، وَبعث إليه زُرْعَةُ ذُويَزَن مالك بن مُرَّةَ الرَّهَاوِى باسلامهم، ومفارقتهم الشركَ وأهله، فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله النبي، إلى الحٰارثِ بْنِ عَبْدِ كلَاَل، وإلى نُعَيْم بن عبد كُلاَل، وإلى النُّعْمَان قَيْل ذِى رُعَيْن وَمَعَافِر وهَمْدان، أما بَعْدَ ذلكم؛ فانى أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللهَ الَّذى لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولُكُمْ مُنْقَلَبَنَا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، فَلَقِينَا بِالْمَدِينَة، فَبَلَّغَ مَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ، وَخَبَّرَ مَا قِبَلَكُمْ وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلاَمِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ وَأَنَّ اللهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهُدَاهُ

رسل ملوك حمير

كتاب رسول الله الى ملوك حمير

مواضع تصنع بالحجارة لحبس الماء، وشاعت: انتشرت، ويروى فى مكانه « ساغت » بالسين المهملة والغين المعجمة ـ ومعناه سهلت، حكى ذلك أبوذر. والنذر: جمع نذير.

(١) الغليل: حرارة الجوف، وأصله حرارة العطش، ويستعمل فى الحرقة الناشئة عن الثأر.

(٢) فى بعض النسخ « رسل ملوك » بصيغة الجمع، و « رسلهم إليه » كذلك.

(٣) القيل ـ بفتح فسكون ـ مخفف قيل ـ بفتح القاف وتشديد الياء ـ مثل سيد وميت وهين ولين، وأصله فيعل من القول، فأصله قيول، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء. ثم خفف بحذف إحدى الياءين، والقيل: يقال: هو الملك، ويقال: بل هو الذى دون الملك الأعلى، وهذا هو الأكثر وسمى بذلك لأنه ذو القول، أى: الذى إذا قال لم يرد أحد قوله.

إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَعْطَيْتُمْ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمُسَ اللهِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفِيَّهُ [١] وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ [٢] عُشْرَ مَا سَقَتِ الْعَيْنُ وَسَقَتِ السَّمَاءُ، وَعَلَى مَا سَقَى الْغَرْبُ [٣] نِصْفَ الْعُشْرِ، إِنَّ فِي الْإِبِلِ الْأَرْبَعِينَ ابْنَةَ لَبُونٍ، وَفِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ وَفِي كُلِّ خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ، وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ من البقر بَقَرَةٌ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيعٌ جَذَعٌ أوجذعة، وفى كل أربعين مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٍ وَحْدَهَا شَاةٌ، وإنها فَرِيضَةُ الله التى فَرَضَ على المؤمنين فى الصَّدَقة، فمن زادَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ له، وَمَنْ أَدَّى ذٰلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إسلامه وَظَاهَرَ المؤمنين [٤] عَلَى الْمُشْرِكِين فَإِنَّه من المؤمنين: له ما لهم، وعليه ماعليهم، وله ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّة رسوله، وإنه من أَسْلَمَ من يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِى فانه من المؤمنين: له ما لهم، وعليه ما عليهم، وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ فإنه لا يُرَدُّ عَنْهَا، وعليه الْجِزْيَة على كل حالم ذكرٍ أو أنثى حُرٍّ أو عبد دينارٌ وافٍ من قيمة الْمَعَافِر [٥] أو عِوَضُه ثيابا، فَمَنْ أَدَّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان له ذِمَّةَ الله وذمة رسوله، ومن منعه فانه عدُو لله ولرسوله؛

---

(١) الصفى: مايصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل أن تقسم الغنائم، وهو فعيل بمعنى مفعول.

(٢) العقار ـ بزنة سحاب ـ هو ههنا الأرض.

(٣) الغرب ـ بفتح فسكون ـ هى الدلو العظيمة.

(٤) ظاهر المؤمنين: عاونهم وقواهم وكان معهم على من سواهم

(٥) المعافر: ثياب من ثياب اليمن

أما بعد ؛فان رسول اللهِ مُحَمَّدًا النبيَّ أرسل إلى زُرْعَةَ ذِي يزن أَنْ إذا أَتَاكُمْ رُسُلِي فأوصيكُمْ بِهِمْ خَيْرًا : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَعَبْدُ الله بن زَيْد ، وَمَالِكُ بن عُبَادة ، وَعقبةُ بن نَمِرٍ ، ومالكُ بن مُرَّة ، وأصحابهم وَأَنِ اجْمَعُوا مَا عِنْدَكُمْ من الصَّدَقة وَالجِزْيَةِ من مَخَاليفكم ، وَأَبْلِغُوها رسلى ، و إن أميرهم مُعَاذُ بن جبل ، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلا راضيا

أما بعد ؛ فان محمدا يَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إلا الله ، وأنه عبده ورسوله

ثم إنَّ مالك بن مُرَّةَ الرَّهاوى قَدْ حَدَّثَنى أَنَّكَ أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين ، فَأَبْشِرْ بخير ، وَآمُرُكَ بحمير خَيْرًا ، ولا تَخُونُوا ، وَلاَ تَخَاذَلُوا ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مَوْلَى غَنِيِّكم وَفَقِيركم ، وإِن الصَّدَقَةَ لاتحل لمحمد ، ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكا [قد] بَلَّغ الخبر وَحَفِظَ الْغَيْبَ وَآمُرُكُمْ به خيرا ، وإنى قد أرسلت إليكم من صَالِحِي أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآمركم بهم خيرا ؛ فانهم مَنْظُورٌ إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

وصية النبى لمعاذ ابن جبل حين بعثه الى اليمن

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حُدِّث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين بعث معاذا — أوصاه ؛ وعهد إليه ، ثم قال له : « يَسِّرْ وَلاَ تُعَسِّرْ وَبَشِّرْ ، وَلاَ تُنَفِّرْ وَإِنَّكَ سَتَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْئَلُونَكَ : مَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ ؟ فَقُلْ : شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ »

قال : فخرج معاذ حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : ياصاحب رسول الله ، ما حَقُّ زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك !! إن المرأة لاتقدر على أن تُؤَدِّىَ

فتوى معاذ فى حق الرجل على المرأة

حَقَّ زوجها ؛ فأجْهِدِى نَفْسَكِ فى أداء حقه مااستطعت ، قالت : والله لئن كنتَ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّكَ لتعلم ماحَقُّ الزوج [على المرأة] ، قال : ويحك ! لو رَجَعْتِ إليه فَوَجَدْتِهِ تَنْثَعِبُ مَنْخِرَاه(١) قَيْحًا ودما فَمَصِصْتِ ذلك حتى تُذْهِبيه مَا أَدَّيْت حقه

إسلام فَرْوَةَ بن عَمْرو الْجُذَامِىّ

قال ابن إسحق : وبعث فَرْوَةُ بن عمرو بن النافرة الجذامى ، ثم النُّفاثى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً باسلامه ، وأهدى له بَغْلةً بيضاء ، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله مُعَان وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه طلَبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال فى مَحْبِسه ذلك : —

الروم يصلبون فروة و يقتلونه

طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِى ... وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقِرْوَانِ(٢)

صَدَّ الْخَيَالُ وَسَاءَهُ مَا قَدْ رَأَى ... وَهَمَمْتُ أنْ أُغْفِى وَقَدْ أَبْكَانِى(٣)

لاَ تَكْحُلِنَّ الْعَيْنَ بَعْدِىَ إِثْمِدًا ... سَلْمَى ، وَلاَ تَدْنِنَّ لِلإِتْيَانِ(٤)

وَلَقَدْ عَلِمْتَ ، أَبَا كُبَيْشَة ، أَنَّنِى ... وَسْطَ الأَعِزَّةِ لاَيُحَصُّ لِسَانِى(٥)

---

(١) تنثعب منخراه : تسيل ؛ يقال: انثعب الوادى ، اذا تفجر وسال ، ويروى « تنبعث » وهو ظاهر ، والمعنى قريب

(٢) الموهن — بفتح فسكون فكسر الهاء — ما بعد الساعة من الليل ، والقروان — بكسر فسكون — الجماعة وهى كلمة فارسية فى الأصل فعربت

(٣) أغفى : نام نوما خفيفا .

(٤) الاثمد — بكسرتين بينهما سكون — ضرب من الكحل .

(٥) لايحص : أى لايقطع ، يريد أنه لايمنعه أحد الكلام ، ويروى « لايحس » وهو بمعناه .

فَلَئِنْ هَلَكْتُ لَتَفْقِدُنَّ أَخَاكُمُ   وَلَئِنْ بَقِيتُ لَتَعْرِفُنَّ مَكَانِي
وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَّ مَا جَمَعَ الْفَتَى   مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عفرى بفلسطين قال :—

أَلاَ هَلْ أَتَى سَلْمَى بِأَنَّ حَلِيلَهَا
عَلَى مَاءِ عَفْرَى فَوْقَ إِحْدَى الرَّوَاحِلِ[1]
عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَحْلُ أُمَّهَا   مُشَذَّبَةٍ أَطْرَافُهَا بِالْمَنَاجِلِ[2]

فزعم الزهرى ابن شهاب أنهم لما قدموه ليقتلوه قال :—

بَلِّغْ سَرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّنِي   سِلْمٌ لِرَبِّي أَعْظُمِي وَمَقَامِي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء [يرحمه الله تعالى]

إسلام بنى الحرث بن كعب

على يدىْ خالد بن الوليد لما سار إليهم

بعث خالد وأمر النبي له

قال ابن إسحق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر ، أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحرث ابن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الاسلام قبل أن يقاتلهم ، ثلاثا ، فان استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم

فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الرُّكبان يَضْرِبون فى كل وجه ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون: أيها الناس ، أسْلِمُوا تَسْلَموا ، فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام [فيهم] خالد يُعَلِّمهم الاسلام وكتابَ الله وسنةَ نبيه

---

(١) الحليل ـ بالحاء المهملة ـ الزوج ، وإحدى الرواحل : أراد بها الخشبة التى صلب عليها

(٢) مشذبة : قد أزيلت أغصانها

صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ، ولم يقاتلوا

كتاب خالد الى رسول الله

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد ، السلامُ عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد يارسول الله صلى الله عليك ، فانك بعثتنى إلى بنى الحرث بن كَعْب ، وأمرتنى إذا أَتَيْتُهُم أن لا أقاتلهم ثلاثَةَ أيام ، وأن أدْعُوَهُم إلى الإسلام، فإن أسلموا [أقمتُ فيهم و] قبلت منهم وعلَّمتهم معالم الاسلام وكتاب الله وسُنَّةَ نبيه ، وإن لم يُسْلموا قَاتَلْتُهُمْ ، وإنى قدمتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعثتُ فيهم رُكبانا [قالوا] : يابنى الحرث ، أسْلِمُوا تَسْلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيمٌ بين أظْهُرِهم آمُرُهم بما أمرهم الله به ، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأُعَلِّمهم معالم الإسلام وسنةَ النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته

جواب رسول الله على كتاب خالد

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى رسول الله ، إلى خالد بن الوليد ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فان كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحرث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى مَا دَعَوْتَهُمْ إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأَنْ قَدْ هَدَاهم الله بهُدَاه ، فَبَشِّرْهُمْ وأنذرهم ، وأَقبِلْ وَلْيُقْبِل معك وَفْدُهُمْ ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »

قدوم خالد بوفد بنى الحرث الى رسول الله

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وَفْدُ بنى الحرث بن كعب : منهم قَيْسُ بن الْحُصَيْن ذى الغصة [1] ، ويزيد بن عَبْد الْمَدَانِ ، ويزيد بن الْمُحَجَّل ، وعبد الله بن قُرَاد الزِّيَادِى [2] ، وشَدَّاد بن عبد الله الْقَنَانِى ، وعَمْرو بن عبد الله الضِّبابى ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم قال : « مَنْ هٰؤلاء القوم الذين كأَنهم رجالُ الهند »؟قيل : يارسول الله ، هؤلاء [رجال] بنى الحرث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَّموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم الذين اذا زُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا » فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد الْمَدَان : نَعَمْ يارَسُولَ الله نَحْنُ الذين اذا زُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا ، قالها أربع مرار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن خالدا لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤسكم تحت أقدامكم » فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا ، قال : « فَمَنْ حَمِدْتُمْ » ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يارسول الله . قال : « صدقتم » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بِمَ كُنْتُمْ

(١) قال ابن سراج : « سمى ذا الغصة لأنه كان إذا تكلم أصابه كالغصص » قال الشيخ أبو ذر : « والغصص : الاختناق » قال : « ووقع فى الرواية ههنا ذو الغصة وذى الغصة بالرفع وبالخفض ، والصواب ذى الغصة بالخفض ، لأنه نعت للحصين لا لقيس » اه

(٢) قال أبو ذر : « وقع هنا بالزاى المفتوحة والباء المنقوطة بواحدة من أسفل، ويروى أيضا الزيادى بالزاى المكسورة والياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، وهو الصواب » اه

تَغْلِبُون مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّة » ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا ، قال : « بلى ، قَدْ كنتم تغلبون من قاتلكم » قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يارسول الله أنا كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحدا بظلم ، قال : « صدقتم » وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحرث بن كعب قَيْسَ بن الْحُصَيْن.

فرجع وفد بنى الحرث إلى قومهم فى بقية من شوال ، أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحم وبارك ورضى وأنعم

عهد رسول الله الى عمرو بن حزم حين وجهه الى اليمن

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم بعد أن وَلّى وفدهم عَمْرَو بن حَزْم لِيُفَقِّهَهُم فى الدين ويعلمهم السنة ومعالم الاسلام ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا عهد إليه فيه عهده وأمره فيه بأمره « بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا بيَانٌ من الله ورسوله ، ياأيها الذين آمنوا أَوْفُوا بِالْعُقُود ، عَهْدٌ من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى أمره كله ؛ فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس فلا يَمَسّ القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم ، وَيَلين للناس فى الحق ، ويشتدُّ عليهم فى الظلم ، فان الله كَرِهَ الظلم ونهى عنه ، فقال: أَلاَ لَعْنَةُ الله على الظالمين ، ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويَسْتَأْلِفُ الناس حتى يفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس مَعَالِمَ الْحَجِّ وسنته وفريضته وما أمر الله به ، والحجُّ الأكبر الحجُّ الأكبر ، والحجُّ الأصغر هو العمرة ، وَيَنْهَى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير إلا أن يكون ثوباً يَثْنِي طرفيه على عاتقيه ، وَيَنْهَى الناس أن يَحْتَبِيَ أحد

فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ، وَيَنْهَى أن يَعْقِصَ أحد شعر رأسه فى قفاه ، وَيَنْهَى — إذا كان بين الناس هَيْجٌ — عَن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وَلْيَكُن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لاشريك له ، فمن لم يَدْعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لاشريك له ، ويأمر الناس باسباغ الوضوء وُجُوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويَمْسَحُون برؤسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع [والسجود] والخشوع ، ويُغَلِّس بالصبح ، ويُهَجِّر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصَلاَةُ العصر والشمسُ فى الأرض مُدْبِرة ، والمغرب حين يُقْبل الليل ، لايُؤَخَّر حتى تبدو النجوم فى السماء ، والعشاء أَوَّلَ الليل ، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرَّوَاح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خُمُسَ الله وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من الْعَقَار عُشُرَ ماسقت العين وسقت السماء ، وعلى ماسقى الْغَرْبُ نصف العشر ، وفى كل عَشْرٍ من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أَرْبَعُ شِياه ، وفى كل أربعين من البقر بقَرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيع جَذَع أو جَذَعة، وفى كل أربعين من الغنم سائمةوحدها شاةٌ ، فانها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، وإنه من أَسْلَمَ من يَهُودِىٍّ أو نَصْرَانى إسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الإسلام فانه من المؤمنين : له مثل مالهم ، وعليه مثل ماعليهم، ومن كان على نَصْرانيته أو يهوديته فإنه لايُرَدُّ عنها ، وعلى كل حالم ذكر أو أنثي حُرٍّ أو عَبْد دينارٌ وافٍ أو عِوَضُه ثيابا ، فمن أدَّى ذلك فان له ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ رسوله ، ومن منع ذلك فانه عَدُوٌّ لله ولرسوله والمؤمنين جميعا ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته »

قُدُوم رِفَاعَةَ بن زَيْدٍ الْجُذَامِىّ

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هُدْنَة الْحُدَيْبِيَة قبل خَيْبَر رِفَاعَةُ بن زيد الْجُذَامِى ثم الضُّبَيْبِىُّ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما، وأسلم، فحسن إسلامه، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى قومه، وفى كتابه « بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لرفاعة بن زيد، إنى بعثتُه إلى قومه عامَّةً ومن دخل فيهم: يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقْبَلَ منهم ففى حزب الله وحزب رسوله، ومَنْ أدْبَرَ فله أَمَانُ شَهْرَيْن » فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا، ثم ساروا إلى الْحَرَّةِ حَرَّةِ الرَّجْلاء، ونزلوها.

كتاب رسول الله لرفاعة بن زيد

[قدوم] وَفْد هَمْدَان

قال ابن هشام: وقدم وَفْدُ هَمْدَان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثنى من أثق به، عن عمرو بن عبد الله بن أُذَيْنَةَ الْعَبْدِى، عن أبى إسحق السبيعى [1]، قال: قدم وَفْدُ هَمْدَان على رسول الله صلى الله عليه وسلم: منهم مَالِكُ بن نَمَط، وأبو ثور، وهو ذو الْمِشْعَار. وَمَالِكُ بن أَيْفَعَ، وَضِمَام بن مالك السلمانى، وَعَمِيرَةُ بْنُ مالك الخارفى، فَلَقُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

رجال الوفد

---

(١) وقع فى نسخة أوربة « عن ابن إسحق السبيعى » وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه وفاقا لسائر النسخ، وأبو إسحق السبيعى هو عمرو بن عبد الله الهمدانى السبيعى أبو إسحق الكوفى، أحد أعلام التابعين، يروى عن جرير البجلى وعدى بن حاتم وجابر بن سمرة وزيد بن أرقم وطائفة، ويروى عنه ابنه يونس وحفيده إسرائيل وسليمان التيمى وخلق آخرون، قال عنه أبو حاتم: ثقة يشبه الزهرى فى الكثرة، وقال الواقدى: مات سنة سبع وعشرين ومائة.

مَرْجِعَهُ من تَبُوك ، وعليهم مُقَطَّعَاتُ الْحِبَرَات والعمائم الْعَدَنِيَّة برحال الْمَيْس على الْمَهْرِيَّة والأَرْحَبِيَّة ، ومالكُ بن نَمَطٍ وَرَجُلٌ آخر يَرْتَجِزَانِ بالقوم : يقول أحدهما : —

هَمْدَانُ خَيْرُ سُوقَةٍ وَأَقْيَالْ   لَيْسَ لهَا فِى الْعَالَمِينَ أَمْثَالْ (١)
مَحَلُّهَا الْهَضْبُ وَمِنْهَا الْأَبْطَالْ   لَهَا أَطَابَاتٌ بِهَا وَآكَالْ (٢)

ويقول الآخر : —

إِلَيْكَ جَاوَزْنَ سَوَادَ الرِّيفِ
فِى هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ (٣)
مُخَطَّمَاتٍ بِحِبَالِ اللِّيفِ (٤)

مالك بن نمط بين يدى النبى يخطب فى شأن قومه ومنزلتهم

فقام مالك بن نَمَطٍ بين يديه ، فقال : يارسول الله ، نصيةٌ (٥) من من هَمْدَان من كل حاضرٍ وَبَادٍ أَتَوْكَ على قُلُصٍ (٦) نَوَاجٍ متصلة

---

(١) السوقة : الذين دون الملوك من الناس ، والأقيال : جمع قيل ـ بفتح فسكون ، وأصله التشديد خفف ـ والقيل : هو الملك ، ويقال : الأقيال هم الذين يلون الملك فى المنزلة

(٢) الهضب : الأمكنة المرتفعة ، واحدها هضبة ، والأبطال : جمع بطل والأطابات : الأموال الطيبة ، والآكال : ما يأخذه الملك من رعيته وظيفة له

(٣) السواد هنا : القرى الكثيرة الشجر والنخل ، والريف : هو الأرض القريبة من الأنهار والمياه الغزيرة ، والهبوات : جمع هبوة ، وهى الغبرة

(٤) مخطمات : قد جعل لها خطم ، وهى الحبال التى تشد فى رءوس الابل على آنافها ، والليف : هو ليف النخل

(٥) النصية : خيار القوم

(٦) القلص ـ بضمتين ـ جمع قلوص ، وهو الفتى من الابل ، والنواجى : جمع ناج أو ناجية ، وهو السريع

بحبائل الإسلام ، لاتأخذهم فى الله لومة لائم ، من مِخْـلاف [١] خارفٍ ويامٍ وشاكرٍ ، أهل السود [٢] والقود ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الآلهات والأنصاب ، عَهْدُهم لا ينقض ما أقامت لَعْلَع ، وما جرى الْيَعْفور بضَلَع [٣] .

كتاب رسول الله الى همدان

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لِمخْلاَفِ خارفٍ وأهل جناب الْهَضْب [٤] وحِقَاف الرمل مع وافدها ذى المشعار لمالك ابن نَمَط ومن أسْلَمَ من قومه ، على أن لهم فِرَاعَهَا [٥] ووهَاطَهَا ماأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، يأكلون علاَفَهَا [٦] وَيَرْعَوْنَ عَافِيَهَا ، لهم بذلك عَهْدُ الله وذِمَامُ رسوله ، وشاهدهم المهاجرون والأنصار » فقال فى ذلك مالك بن نَمَط : —

---

(١) المخلاف ـ بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة ـ هو المدينة بلغة أهل اليمن ، وخارف ويام وشاكر : قبائل من اليمن

(٢) السود هنا : الابل ، والقود : الخيل

(٣) اليعفور : ولد الظبية ، وضلع : تروى بالضاد المعجمة وبالصاد المهملة ، أما من رواها بالضاد المعجمة فانما أراد القوة ، وذلك مأخوذ من أصل قولك رجل ضليع إذا كان قويا ، وأما من رواها بالصاد المهملة فرأى أنه اسم موضع

(٤) الجناب : الجانب ، والهضب : جمع هضبة ، وهى ما ارتفع من الأرض ، والحقاف ـ بكسر الحاء المهملة ـ جمع حقف ـ بكسر فسكون ـ وهو مااستدار من الرمل

(٥) الفراع ـ بكسر الفاء ـ أعالى الأرض ، والوهاط : المنخفض المطمئن منها ، واحدها وهط

(٦) العلاف : ثمر الطلح ، ومثله العلف ، والعافى : النبات الكثير ، تقول : عفا النبت ، إذا طال وكثر

قصيدة لمالك بن نمط فى مدح النبى ومجيئهم اليه

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللهِ فِى فَحْمَةِ الدُّجَى
وَنَحْنُ بِأَعْلَى رَحْرَحَانَ وَصَلْدَدِ (١)

وَهُنَّ بِنَا خُوصٌ طَلَائِحُ تَغْتَلِى بِرُكْبَانِهَا فِى لَاحِبٍ مُتَمَدِّدِ (٢)

عَلَى كُلِّ فَتْلَاءِ الذِّرَاعَيْنِ جَسْرَةٍ تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الْهِجَفِّ الْخَفَيْدَدِ (٣)

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى
صَوَادِرَ بِالرُّكْبَانِ مِنْ هَضْبِ قَرْدَدِ (٤)

بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ فِينَا مُصَدَّقٌ
رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِى الْعَرْشِ مُهْتَدِ

فَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَشَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدِ

وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ
وَأَمْضَى بِحَدِّ الْمَشْرَفِيِّ الْمُهَنَّدِ

ذكر الْكَذَّابَيْنِ : مُسَيْلِمَةَ الحنفى ، والأسود الْعَنْسِى

قال ابن إسحق : وقد كان تَكَلَّمَ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الفحمة ـ بفتح فسكون ـ سواد الليل ، وقال بعض أصحاب الحديث: الفحمة لا تكون إلا فى أول الليل ، والدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة ، ورحرحان وصلدد : موضعان

(٢) هن : أراد بهن الابل ، وخوص : جمع خوصاء ، وهى الغائرة العين ، وطلائح : جمع طليح ، وهى المعيية ، وتغتلى : تشتد فى سيرها ، وهو بالغين المعجمة ، واللاحب : الطريق الواضح

(٣) الجسرة ـ بفتح فسكون ـ الناقة القوية على السير ، والهجف ـ بكسر ففتح ففاء مشددة ـ الذكر من النعام ، والخفيدد : السريع هنا

(٤) الراقصات : أراد بها الابل ، والرقص والرقصان : ضرب من السير فيه حركة ، وصوادر : رواجع ، الواحد صادر والأنثى بهاء ، والقردد : ما ارتفع من الأرض

الـكَذَّابان: مُسَيْلِمَةُ بن حَبيب[الـكَذَّاب] باليمامة في بني حَنيفة ، والأَسْوَدُ ابن كَعْب العَنْسِيُّ بِصَنْعَاء .

النبي يرى ليلة القدر ثم ينساها

قال ابن إسحق : حدثني يَزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، عن عطاء ابن يَسَار ، أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبي سعيد الخُدْري ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على مِنبَرِه ، وهو يقول : « أيها الناس ، إنِّي قد رَأَيْتُ ليلة القدر ، ثم أُنْسِيتها ، ورأيت في ذِرَاعَيَّ سِوَارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنَفَخْتُهما . فطارا ، فأوَّلتُهُما هذين الـكذابين صاحب اليمن وصاحب اليمامة » .

قال ابن إسحق : وحدثني من لا أتهم ، عن أبي هريرة ، أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لاتَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلاثُونَ دَجَّالاً كُلُّهُمْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ »

خروج الأُمَرَاء والعُمَّال على الصدقات

أسماء الامراء وعمال الصدقات على عهد النبي

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أُمَرَاءه وعُمَّالَهُ على الصَّدَقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البُلْدَان ، فبعث المُهَاجِرَ بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ؛ فخرج عليه العَنْسِيُّ ، وهو بها ، وبعث زياد بن لبيد أخا بني بَيَاضة الأنصاري إلى حَضْرَمَوْت ، وعلى صدقاتها ، وبعث عَدِيَّ بن حاتم على طيء وصدقاتها ، وعلى بني أسد ، وبعث مالك ابن نُوَيْرة (قال ابن هشام : اليربوعي) على صَدَقات بني حنظلة ، وفرّقَ صدقة بني سعد على رَجُلَين منهم : فبعث الزِّبْرِقَانَ ابن بَدْر على ناحية منها ، وقَيْسَ بن عاصم على ناحية ، وقد بعث العَلَاء ابن الحَضْرمي على البَحْرَيْن ، وبعث عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْرَان ليجمع صدقتهم وَيَقْدَمَ عليه بجِزْيَتِهم

كتاب مُسَيْلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والجواب عنه

كتاب مسيلمة إلى رسول الله

وقد كان مُسَيْلِمَةُ بن حَبيب قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مُسَيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد ، فاني قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معك ، و إن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكِنَّ قُرَيْشًا قومٌ يعتدون ؛ فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب

سؤال النبى لرسول مسيلمة

قال ابن إسحق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سَلَمَة بن نُعَيم بن مسعود الأشجعى ، عن أبيه نُعيم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه : «فما تَقُولَان أنتما» ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال « أما والله لولا أن الرُّسُلَ لاتُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أعناقَكُمَا »

جواب النبى على مسيلمة

ثم كتب إلى مُسَيْلمة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مُسيْلمة الكذاب ، السلام على من اتَّبَعَ الهدى ، أما بعد ؛ فإن الأرض لله يُورِثُها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » وذلك فى آخر سنة عشر

حَجَّة الْوَدَاع

وقت خروج النبى للحج

قال ابن إسحق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة تَجَهَّزَ للحج وأمر الناس بالْجِهَازله ، قال : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليالٍ بقين من ذى القعدة

عامل النبى على المدينة

قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دُجَانَة السَّاعِدِىَّ ويقال : سِبَاع بن عُرْفُطَةَ الْغِفَارِىَّ

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه [القاسم بن

محمد] ، عن عائشة ، قالت : لايذكر ولايذكر الناس إلا الحج حتى إذا كان بِسَرِفَ — وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدى — وأشرف الناس[1] أمَرَ الناسَ أن يحلُّوا بعُمْرَة إلا من ساق الهَدْىَ ، قالت: وحِضْتُ ذلك اليوم ، فدخل على وأنا أبكى ، فقال : « مَالَكِ يَاعَائِشَةُ لَعَلَّكِ نُفِسْتِ »قالت : قات : نعم ، والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى هذا فى هذا السفر ؛ فقال : « لاَ تَقُولِنَّ ذَلِكِ فإِنَّكَ تَقْضِينَ كلَّ مَايَقضى الحاجُّ إلاَّ أَنَّك لاَتطُوفِينَ بِالْبَيْتِ »قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فَحَلَّ كُلُّ من كان لاهَدْىَ معه ، وحل نساؤه بعمرة ، فلما كان يومُ النَّحْرِ أُتِيتُ بلَحْم بقرٍ كثير فطُرِحَ فى بيتى ، فقلت : ماهذا ؟ قالوا: ذَبَحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الْحَصْبَة بعث بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبدالرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التَّنْعِيم مكان عُمْرَتى التى فاتتنى

قال ابن إسحق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر ، عن حفصة ابنة عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يَحْلِلْنَ بعُمْرة قلنا : فما يمنعك يارسول الله أن تحل معنا ؟ فقال : « إنِّى أَهْدَيْتُ وَلَبَّدْتُ فَلاَ أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ هَدْيِى »

مُوَافاة علىٍّ رضوان الله عليه فى قُفُوله من اليمن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الحج

قال ابن إسحق : وحدثنى عبدالله بن أبى نَجِيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بَعَثَ عليا رضى الله عنه إلى نَجْران فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، فوجدها

(١) فى نسخة «وأشراف من أشراف الناس »

قد حَلَّتْ وَتَهَيَّأَت ، فقال : مالَك يابنتَ رسول الله ؟ قالت : أمَرَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمرة ، فحللنا ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انْطَلِقْ فَطُفْ بِالْبَيْتِ وَحِلَّ كَمَا حَلَّ أَصْحَابُكَ » قال : يارسول الله ، إنى أهْلَلْتُ كما أهللتَ ، فقال : « ارْجِعْ فَاحْلِلْ كما حَلَّ أَصْحَابُكَ » قال : يارسول الله ، إنى قلت حين أحرمت : اللهم إنى أُهِلُّ بما أَهَلَّ به نبيك وَعَبْدُكَ ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : « فَهَلْ مَعَكَ مِنْ هَدْيٍ » ؟ قال : لا ، فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه وثَبَتَ على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الْهَدْىَ عنهما

رسول الله يهدى عن على بن ابى طالب

قال ابن إسحق : وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة ،عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، قال : لما أقبل على رضى الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة تَعَجَّل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسْتَخْلَفَ على جُنْده الذين معه رَجُلاً من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكَسَا كُلَّ رجل من القوم حُلَّةً من البز الذى كان مع على رضى الله عنه ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فاذا عليهم الْحُلَل، قال : ويلك !! ماهذا ؟ قال : كَسَوْتُ القوم ليتجمَّلُوا به إذا قدموا فى الناس ، قال : ويلك انزع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فانتزع الْحُلَلَ من الناس فردَّها فى البز ، قال: وأظهر الجيشُ شَكْوَاه لما صنع بهم

جواب النبى لمن شكا عليا

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن مَعْمَر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجْرَة ، عن عمته زينب بنت كعب — وكانت عند أبى سعيد الخدرى — عن أبى سعيد الْخُدْرى ، قال : اشتكى

الناسُ عليًّا رضوان الله عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فسمعته يقول : « أيها الناس ، لاتَشْكُوا عليًّا ، فوالله إنه لأخْشَنُ فى ذات الله » أو « فى سبيل الله [من أن يُشْكَى] »

قال ابن إسحق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حَجِّه ، فأرى الناس مَنَاسكهم ، وأعلمهم سُنَن حَجِّهم ، وخطب الناس خطبته التى بَيَّنَ فيها مابين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيُّهَا الناسُ ، اسمعوا قولى ، فإنى لاأدرى لَعَلِّى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ، أَيها الناس ، إنَّ دماءكم وأمْوَالكم عليكم حرام إلى أن تَلْقَوْا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم سَتَلْقَوْنَ ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بَلَّغْتُ ، فمن كانت عنده أمانة فَلْيُؤَدِّهَا إلى مَن ائتمنه عليها ، وإنَّ كل رِباً مَوْضُوعٌ ، ولكن لكم رءوس أموالكم لاتَظْلِمُونَ ولا تُظْلَمُون ، قضى الله أنه لاربا ، وإن رِبَا عَبَّاس بن عبد المطلب مَوْضُوع كله ، وإن كُلَّ دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أَضَعُ دَمُ ابن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل ، فهو أَوَّلُ ما أَبدأ به من دماء الجاهلية ؛ أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس [من] أن يُعْبَدَ بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إنْ يُطَعْ فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس ، إن النسىء زيادةٌ فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونه عَاماً ويُحَرِّمونه عاما ليواطئوا عِدَّةَ ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله ويحرموا ما أَحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات وَالأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنَا عَشَرَ شهراً ، منها

خطبة الوداع

أَربعة حرم : ثلاثة متوالية ، ورَجَبُ مضر [1] الذى بين جمادى وَشعبان ، أَما بعد أَيها الناس ، فان لكم على نسائكم حَقًّا ، ولهنّ عليكم حَقًّا ، لكم عليهن أَن لا يُوطئن فرشكم أَحداً تكرهونه ، وعليهن أَن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد أَذِنَ لكم أَن تَهْجُرُوهُنَّ فى الْمَضَاجع وتضربوهن ضربا غير مُبَرِّح [2] فان انْتَهَيْنَ فلهن رزقهن وكُسْوَتُهُنَّ بالمعروف ، واسْتَوْصُوا بالنساء خيراً فانهن عندكم عَوَانٍ [3] لا يَمْلِكْنَ لأنفسهن شيئاً ، وَإنكم إنما أَخَذْتُمُوهن بأَمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أَيها الناس قَوْلى ، فأنى قد بَلَّغْتُ ، وقد تَرَكْتُ فيكم ما إن اعْتَصَمْتُم به فلن تَضِلُّوا أبداً أمراً بَيِّناً كتابَ الله وسنة نبيه ، أيها الناس اسمعوا قولى واعْقِلُوه ، تَعَلَّمُنَّ أن كلَّ مسلم أخٌ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تَظْلِمُنَّ أنفسكم ، اللهم هل بَلَّغْت » فذكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمْ اشْهَدْ »

قال ابن إسحق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كان الرجل الذى يَصْرُخ فى الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعَرَفَة ربيعةُ بن أمية بن خَلَف ، قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) إنما أضاف رجبا إلى مضر لأنها كانت تعظمه ، وما كان أحد من العرب يفعل ذلك سواها

(٢) غير مبرح : أى غير شديد ، تقول : برح به الأمر ، إذا اشتد عليه وشق

(٣) عوان : هو جمع عانية ، وهى الأسيرة ، ووقع فى بعض الروايات « عوار » بالراء المهملة ، جمع عارية

يقول : هَلْ تدرون أيّ شهر هذا» فيقوله لهم فيقولون: الشهر الحرام، فيقول له: «قل لهم : إن الله قد حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقَوْا ربكم كحرمة شهركم هذا »ثم يقول : «قل : ياأيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :هل تدرون أى بلدهذا » قال : فيصرخ به ،قال: فيقولون :البلد الحرام ،قال: فيقول «قل لهم: إن الله قد حرَّمَ عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تَلْقَوْا رَبَّكم كحُرْمة بلدكم هذا » قال : ثم يقول: «قل يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى يوم هذا »قال : فيقوله لهم ، فيقولون : يوم الحج الأكبر ، قال : فيقول : « قل لهم : إن الله قَدْ حرَّمَ عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تَلْقَوْا ربكم كحرمة يومكم هذا »

قال ابن إسحق : حدثنى لَيْثُ بن أبى سُلَيم ، عن شَهْر بن حَوْشَب الأشعرى ، عن عمرو بن خارجة ، قال : بعثنى عَتَّاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقفٌ بعرَفةَ ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم و إن لُغَامها (١) لَيقَعُ على رأسى ، فسمعته وهو يقول : « أيها الناس ، إن الله قد أدى إلى كل ذى حَقٍّ حَقَّهُ ، و إنه لا تجوز وَصيةٌ لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غيرَ مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفاً وَلا عَدْلاً »

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين وقف بعرفة — قال : « هذا الموقف (للجبل الذى هو عليه) وَكُلُّ عرَفةَ مَوْقِفٌ » وقال — حين وقف على قُزَحَ

(١) اللغام - بزنة غراب - الرغوة التى تخرج من فم البعير

صبيحةَ المزدلفة — « هَذَا الْمَوْقِفُ وَكُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ موقف » ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال : « هَذَا الْمَنْحَرُ وَكُلُّ مِنًى مَنْحَرٌ » فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حَجِّهم من الموقف وَرَمْى الجمار وطواف البيت ، وما أحل لهم من حَجِّهم وما حرَّم عليهم ؛ فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها

بَعْثُ أُسَامَةَ بن زَيْد إلى أرض فِلَسْطِين

قال ابن إسحق : ثم قَفَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفرا ، وضرب على الناس بَعْثًا إلى الشام ، وَأَمَّرَ عليهم أُسَامَةَ بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يوطىء الخيل تُخُومَ الْبَلْقَاء والدارُوم من أرض فِلَسْطِين ، فتجهَّزَ النَّاسُ ، وَأَوْعَبَ مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون

خروج رُسُل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

قال ابن هشام : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعث إلى الملوك رُسُلاً من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يَدْعوهم إلى الاسلام

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به ، عن أبى بكر الْهُذَلى ، قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذاتَ يوم بعد عُمْرَته التى صُدَّ عنها يوم الْحُدَيْبية فقال : « أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رَحْمَةً وكافَّةً ؛ فلاتختلفوا علىَّ كما اختلف الْحَوَارِيُّون على عيسى بن مريم» فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يارسول الله ؟ قال : « دَعَاهُم إلى الذى دعوتكم إليه ، فأما مَنْ بَعَثَهُ مَبعثاً قريباً فرضى وسلم ، وأما

من بَعَثَهُ مَبْعَثًا بعيدا فكره وَجْهَهُ وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلّم بلغة الأمة التى بُعِثَ إليها »

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام ، فبعث دِحْيَةَ ابن خليفة الْكَلْبِيَّ إلى قيصر ملك الروم ، وَبَعَثَ عَبْدَ الله بن حُذَافة السَّهْمِيَّ إلى كسرى ملك فارس ، و بعث عَمْرَو بن أمَيَّة الضَّمْرِيَّ إلى النَّجَاشِيِّ ملك الحبشة ، و بعث حاطب بن أبى بَلْتَعَة إلى الْمُقَوْقِس ملك الإسكندرية ، و بعث عَمْرَو بن العاص السَّهْمِيَّ إلى جَيْفَر وعياذ ابنى الْجُلُنْدَى الأَزْدِيَّيْن مَلِكَيْ عُمَان ، و بعث سَلِيط بن عَمْرٍو أحد بنى عامر بن لؤى إلى ثُمَامة بن أُثَال وهَوْذَة بن على الْحَنَفِيَّيْن مَلِكَي اليمامة ، و بَعَثَ الْعلَاء بن الْحَضْرَمِي إلى الْمُنْذِر بن ساوَى الْعَبْدِى ملك الْبَحْرَيْن ، و بعث شُجَاع بن وَهْب الأَسَدِيَّ إلى الحرث بن أبى شمر الْغَسَّانى ملك تخوم الشام .

رسل رسول الله إلى الملوك

قال ابن هشام: بعث شُجَاع بن وهب إلى جَبَلَة بن الأيهم الْغَسَّانى، و بعث الْمُهَاجر بن أبى أُمَيَّة الْمَخْزُومى إلى الحرث بن عبد كُلَال الْحِمْيَرِيِّ ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نَسَبْتُ سَليطا وَثُمَامة وَهَوْذة والمنذر .

قال ابن إسحق : حدثنى يزيد بن أبى حَبيب المصرى أنه وجد كتابا فيه [ذكر] من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزُّهْرى ، فعرفه ، [و] فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : « إن الله بعثنى رحمةً وكافّةً ؛ فأَدُّوا عنى يرحمكم الله ،

ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم » قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم ؟ قال : « دعاهم لمثل مادعوتكم له ؛ فأما من قَرُبَ به فأحَبَّ وسلم ، وأما من بَعُدَ به فكره وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم » .

رسل عيسى ابن مريم

قال ابن إسحق : وكان مَنْ بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع الذين كانوا بعدهم فى الأرض بُطْرس الْحَوارِى ، ومعه بُولس ، وكان بولس من الأتباع ولم يكن من الحواريين ، إلى رومية، وَأَنْدَرَائِس وَمَنْتا إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفِيبِلُيس إلى قرطاجَنَّة ، وهى إفريقية، وَيُحَنِّس إلى أفْسُوس قرية الفتية أصحاب الكهف ، وَيَعْقُوبُس إلى أُورَاشَلِم ، وهى إيلياء قرية بيت المقدس ، وابن ثَلْماء إلى الأعرابية ، وهى أرض الحجاز ، وَسِيمُن إلى أرض البربر ، ويهودا ولم يكن من الحواريين جعل مكان يُودِسْ.

ذكر جملة الْغَزَوَات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائى ، عن محمد بن إسحق المطلبى ، قال :

وكان جميع ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، منها غزوة وَدَّان ، وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بُوَاطَ من ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة الْعُشَيْرَة من بطن يَنْبُعَ ، ثم غزوة بَدْر الأولى

يطلب كُرْزَ بن جابر ، ثم غزوة بدرٍ [الـكبرى] التى قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سُلَيْم حتى بلغ الْـكُدْر ، ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غَطَفَان وهى غزوة ذى أَمَرَّ ، ثم غزوة بحران مَعْدن بالحجاز ، ثم غزوة أُحُد ، ثم غزوة حَمْرَاء الأسد ، ثم غزوة بنى النَّضير ، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نَخْل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دُومَةِ الجندل ، ثم غزوة الْخَنْدَق ، ثم غزوة بنى قُرَيْظَة ، ثم غزوة بنى لَحَيَان من هُذَيل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى الْمُصْطَلَق من خُزَاعة ، ثم غزوة الْحُدَيبة لا يريد قتالا فصدّه المشركون ، ثم غزوة خَيْبَر ، ثم عُمْرَة القضاء ، ثم غزوة الْفَتْح ، ثم غزوة حُنَيْن ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تَبُوك

قاتل منها فى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقُرَيْظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف

ذكر جملة السرايا والْبُعُوث

وكانت بُعُوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيا وثلاثين بَيْنَ بَعْثٍ وسرِيَّة : غزوة عُبَيدة بن الحرث [إلى] أسفل من ثنية المرة ، ثم غزوة حمزة ابن عبدالمطلب [إلى] ساحل البحر من ناحية العيص ، و بعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ، وغزوة سعد بن أبى وقاص الْخَرَّارَ ، وغزوة عبد الله بن جَحْش نخلةَ ، وغزوة زيد بن حارثة الْقَرَدَة ، وغزوة محمد بن مسلمة كَعْبَ بن الأشرف ، وغزوة مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الْغَنَوِىّ الرَّجيعَ ، وغزوة المنذر بن عمرو بِئْرَ مَعُونَةَ ، وغزوَة أبى عبيدة بن الْجَرَّاح ذَا الْقَصَّة من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تُرْبَةَ من أرض بنى عامر ، وغزوة على بن أبى طالب الْيَمَنَ ، وغزوة غالب بن عبد الله الـكلبى كلبِ ليثٍ الـكديدَ فأصاب بنى الْمُلوَّح

خبر غَزْوَة غالب بن عبدالله الليثى بنى الْمُلَوَّح

وكان من حديثها أن يَعْقُوبَ بن عُتْبَةَ بن الْمُغِيرة بن الأخنس حدثنى عن مسلم بن عبد الله بن خُبَيْب الْجُهَنى [١] عن جُنْدب بن مُكَيْث الجهنى ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبَ بن عبدالله الكلبى كلب بن عوف بن ليث ، فى سَرِيَّة كنتُ فيها ، وأمَرَهُ أن يَشُنَّ الْغَارة على بنى الْمُلَوَّح ، وهم بالْكَدِيد ، فخرجنا حتى إذا كنا بقُدَيْد لقينا الحرث ابن مالك ، وهو ابن الْبَرْصَاء الليثى ، فأخذناه ، فقال : إنى جئت أريد الاسلام ، ماخرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا له : إن تك مُسْلِما فلن يضيرك رِباطُ ليلة ، وإن تك على غير ذلك كُنَّا قد استوثقنا منك ، فَشَدَدْنَاه رباطا ، ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عَازَّكَ [٢] فاحْتَزَّ رأسه ، قال : ثم سرنا حتى أتينا الْكَدِيد عند غروب الشمس ، فَكُنَّا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى رَبِيئَةً لهم ، فخرجت حتى آتى تَلاًّ [٣] مشرفا على الحاضر ، فأَسْنَدْتُ [٤] فيه فَعَلَوْتُ فى رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لَمُنْبَطِح على التل إذ خرج رجلٌ منهم من خبائه ، فقال لامرأته : انى لأرى على التل سوادا مارأيته فى أول يومى ، فانظرى إلي أوعيتك هل تَفْقِدِين منها شيئاً ، لاتكون

---

(١) فى أكثر أصول الكتاب : « عن مسلم بن عبد الله بن خبيب ، عن المنذر عن جندب بن مكيث » بزيادة قوله « عن المنذر » وهو خطأ ، قال الخزرجى : « مسلم بن عبد الله بن خبيب بمعجمة مصغرا : عن جندب بن مكيث ، وعنه يعقوب بن عتبة الثقفى مجهول » اه

(٢) عازك : غالبك ، ومنه قوله تعالى : (وعزنى فى الخطاب) أى : غلبنى

(٣) التل : المرتفع من رمل وتراب ، والحاضر : الجماعة النازلون على الماء

(٤) أسندت : ارتفعت ، ووقع محرفا « فاستندت »

الـكلاب جرت بعضها ، قال : فنظرتْ فقالت : لا ، والله ماأفقد شيئا ، قال : فناولينى قَوْسى وسَهْمَين، فناولته ، قال : فأرسل سَهْمًا ، فوالله ماأخطأ جنبى،فأنْزِعهُ فأضَعه وثبَتٌّ مكانى ، قال: ثم أرسل الآخر فوضعه فى منكبى، فأنْزِعهُ فأَضَعُهُ وثبَتٌّ مَكانِى ، فقال لامرأته : لو كان رِبيئة [١] لقد تحرك ، لقدخالطه سَهْماىَ لاأبالك إذا أصْبَحْتِ فابتغيهما فَخُذِيهما لا تَمْضُغهما علىّ الـكلاب ، قال : ثم دخل ، قال : وأمهلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا وكان فى وَجْـه السَّحَر شَنَنَّا [٢] عليهم الغارة ، قال : فقتلنا واسْتقْنَا النَّعَمَ، وخرج صَرِيخُ [٣] القوم فجاءنا دَهمٌ [٤] لاقِبَلَ لنابه ، ومضينا بالنَّعَم، ومررنا بابن البَرْصاَء وصاحبه ، فاحتملناهما مَعَنَا ، قال : وأدْرَكَنَا القَوْمُ حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قُدَيْد، فأرسل الله الوادى بالسَّيْل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سَحَابة نراها ولا مطر ، فجاء بشىء ليس لأحدٍ به قوة ، ولا يقدر أحد أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا وإنا لنسوق نَعَمَهُم، مايستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ونحن نَحْدُوها سراعا حتى فُتْنَاهم ، فلم يقدروا على طلبنا ، قال: فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم

شعار أصحاب رسول الله

قال ابن إسحق : وحدثنى رجل من أسلم عن رجل منهم أن شعار [٥]

---

(١) الربيئة: الطليعة الذى ينظر لأصحابه ، وقد وقع فى بعض الروايات « لو كان زائلة » يريد لو كان شيئا يزول عن مكانه إنسانا أو حيوانا لـكان ينبغى أن يتحرك

(٢) شننا عليهم الغارة : فرقناها عليهم ، يريد أتيناهم من كل ناحية

(٣) الصريخ : المستغيث ، وقد يكون الصريخ المغيث والاغاثة ، قال الشاعر : ـ

كانَ الصَّرِيخَ لَهُ قَرْعُ الظَّنَابِيبِ

(٤) دهم : جمع كثيف

(٥) شعارهم : علامتهم التى يعرف بها بعضهم بعضا

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة « أَمِتْ أَمِتْ » فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها : —

أَبَى أَبُو الْقَاسِمِ أَنْ تَعَزَّبِي (١)   فِى خَضِلٍ نَبَاتُهُ مُغْلَوْلِبِ (٢)

* صُفْرٍ أَعَالِيهِ كَلَوْنِ الْمُذْهَبِ

قال ابن هشام : ويروى « كلون الذَّهَبِ »

[تم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبعوث]

عود الى ذكر السرايا والبعوث

قال ابن إسحق : وغزوة على بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبدالله ابن سعد من أهل فَدَكَ ، وغزوة أبى الْعَوْجَاء السُّلَمِيّ أرضَ بنى سُلَيم أصيب بها هو وأصحابه جميعا ، وغزوة عُكَّاشَةَ بن مِحْصَن الْغَمْرَةَ ، وغزوة أبى سَلَمَة بن عبد الأسد قَطَنًا ماء من مياه بنى أسد من ناحية نجد ، قُتِلَ بها مَسْعُود بن عروة ، وغزوة محمد بن مَسْلَمَة أخى بنى حارثة الْقُرَطَاءَ من هَوَازن ، وغزوة بَشِير بن سعد بن مُرَّة بفَدَك ، وغزوة بشير بن سعد ناحيةَ خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الْجَمُومَ من أرض بنى سُلَيم ، وغزوة زيد بن حارثة جُذَامَ من أرض خُشَيْنٍ

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعى عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحق : من أرض حِسْمَى

---

(١) تعزبى : تروى بالراء المهملة وبالزاى ، فأما من رواه بالراء المهملة فمعناه أن ترددى المرة بعد المرة ، تقول : عربت عليه القول ، إذا رددته ، وأما من رواه بالزاى فمعناه أن تقيمى فى المرعى ، تقول : تعزب فى المرعى ، إذا أقام فيه ولم يرجع لأهله

(٢) الخضل : النبات الأخضر المبتل ، والمغلولب : الكثير الذى يغلب الماشية ، والبيت خطاب للنعم التى استاقوها

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام

قال ابن إسحق : وكان من حديثها — كما حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذَام كانوا علماء بها — أن رفاعة بن زَيْدٍ الْجُذَامِى لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الاسلام فاسْتَجَابُوا له ، [ثم] لم يلبث أن قدم دِحْيَةُ بن خَليفة الْكَلْبِىّ من عند قَيْصَر صاحب الروم حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ومعه تجارة له حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له شِنَار أغار على دِحْيَةَ بن خليفة الْهُنَيْدُ بن عُوصٍ وابنه عُوصُ بن الهنيد الضُّلَعِيَّانِ (وَالضُّلَيْع: بطن من جُذَام) فأصابا كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قَوْماً من الضُّبَيْب رهطِ رفاعةَ بن زيد ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الْهُنَيْدِ وابنه ، فيهم من بنى الضُّبَيْب: النُّعْمَانُ بن أبى جِعال ، حتى لقوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قُرَّةُ بن أشقر الضِّفَارِى ثم الضُّلَعِى ، فقال: أنا ابن لُبْنَى، ورمى النعمان بن أبى جِعال بسهم ، فأصاب ركبته ،فقال حين أصابه :خذها وأنا ابن لُبْنَى ، وكانت له أم تدعى لُبْنَى ، وقد كان حَسَّان بن مِلَّة الضُّبَيْبِى قد صحب دِحْيَةَ بن خليفة قبل ذلك فعلمه أم الكتاب

قال ابن هشام : ويقال : قُرَّة بن أشقر الضِّفَارى وحيَّان بن ملَّة

قال ابن إسحق : حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذَام ، قال : فاسْتَنقَذوا ما كان فى يد الْهُنَيْد وابنه ، فردُّوه على دِحْيَة ، فخرج دِحْيَةُ حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الْهُنَيْد وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم زَيْدَ بن حارثة ،

وذلك الذى هَاجَ غَزْوَةَ زيدٍ جُذَامَ ، وبعث معه جَيْشاً ، وقد وَجَّهَت غطفانُ من جُذَام ووَائل ومن كان من سلامان وسعد بن هُذَيْم — حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — حتى نزلوا الحَرَّةَ حَرَّةَ الرَّجلاَء ، ورفاعة بن زيد بكُرَاع رِيَّةَ لم يعلم ، ومعه ناسٌ من بنى الضُّبَيب ، وَسائرُ بنى الضُّبيب بوادى مَدَان من ناحية الحَرَّةِ مما يَسِيل مُشَرِّقاً ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأَوْلاَج فأغار بالمَاقِصِ من قِبَل الحَرَّة ، فجمعوا ما وجـدوا من مال أو أُناس ، وقتلوا الهُنَيْدَ وابنه ورجلين من بنى الأخيف

قال ابن هشام : من بنى الأحنف (١)

قال ابن إسحق فى حديثه : ورَجُلًا من بنى خَصِيب ، فلما سمعت بذلك بنو الضُّبَيْب والجيشُ بفَيْفاَء مَدَان رَكِبَ نفَرٌ منهم ، وكان فيمن ركب حَسَّان بن مِلَّة على فرس لسويد بن زيد يقال لها العَجَاجة ، وَأُنَيْفُ بن مِلَّة على فرس لِملة يقال له رِغَال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شَمِرٌ ، فانطلقوا حتى إذا دَنَوْا من الجيش قال أبو زيد وحسان لأنيف بن مِلَّة : كُفَّ عَنَّا وانصرف ؛ فانا نخشى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يَبْعُدَا منه حتى جَعلَتْ فَرَسُهُ تَبْحَثُ بيديها وَتَوَثَّبُ ، فقال : لأنا أضَنُّ بالرجلين منك بالفَرَسين ، فأرخى لها حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذْ فعَلْتَ ما فعلت فكُفَّ عنا لسانك ولا تَشْأَمْنَا اليوم ، فتَوَاصَوْا أن لا يتـكلم منهم إلا حسان بن مِلَّة ، وكانت بينهم كلمة فى الجاهلية قد عَرَفَهَا بعضهم من بعض : إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال :

---

(١) وقع فى بعض النسخ فى رواية ابن إسحق « بنى الأحنف » بالحاء المهملة والنون ، وفى رواية ابن هشام « بنى الأخنف » بالخاء المعجمة والنون

بورى ، أو ثورى ، فلما بَرَزُوا على الجيش أقبل القومُ يبتدرونهم ، فقال لهم حسان : إنا قوم مُسْلمون، وكان أول من لقيهم رجلٌ على فرس أدْهَم، فأقبل يَسُوقهم ، فقال أُنَيْفٌ : بورى ، فقال حسان : مَهْلاً ، فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد : فاقرأ أم الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا فى الجيش إن الله قد حَرَّمَ علينا ثُغْرَةَ الْقَوْمِ (١) التى جاءوا منها إلا من ختر (٢)

قال ابن إسحق : وإذا أُخْتُ حَسَّان بن مِلَّةَ — وهى امرأة أبى وَبْر ابن عدى بن أمية بن الضبيب — فى الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأَخذَتْ بِحَقْوَيْه (٣) ، فقالت أم الْفِزْرِ الضُّلَعِية : أتنطلقون ببناتكم وتَذَرُونَ أمهاتكم ؟ فقال أَحدُ بنى الْخصِيب : إنها بنو الضُّبيب وسِحْرُ ألسنتهم سائر اليوم ، فسمعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حَسَّان ففُكَّتْ يداها من حَقْوَيْه (٣) ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكُنَّ حُكْمَهُ ، فرجعوا ، وَنَهَى الجيشَ أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأَمْسَوْا فى أهليهم ، وَاسْتَعْتَمُوا ذَوْدًا (٤) لِسُوَيْد بن زيد ، فلما شربوا عَتَمَتَهُمْ ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلةَ : أبو زيد بن عمرو ، وأبو شَمَّاس ابن عمرو . وَسُوَيْد بن زيد ، وَبَعْجَة بن زيد ، وبَرْذَعُ بن زيد ، وَثَعْلَبَةُ

---

(١) ثغرة القوم : ناحيتهم التى يحمونها

(٢) ختر : خاس ونقض العهد

(٣) الحقو ـ بفتح فسكون ـ الخصر

(٤) استعتموا : انتظروا به وقت العتمة ، والذود : ما بين الثلاث إلى العشر من الابل

ابن زيد [١] وَمُخَرِّبَة بن عَدِىّ، وَأُنَيْفُ بن مِلَّة ، وَحَسَّان بن مِلَّة ، حتى صَبَّحُوا رفاعةَ بن زيد بكُرَاعِ رِبَّةَ بظَهْرِ الحَرَّةِ على بئر هنالك من حَرَّة لَيْلَى ، فقال له حسان بن مِلَّة : إنك لجالس تَحْلُبُ المِعْزَى ونساء جُذَام أَسارَى قد غرَّها كتابك الذى جئتَ به ، فدعا رفاعةُ بن زيد بجمل له ، فجعل يَشُدُّ عليه رَحْلَهُ وهو يقول : —

* هَلْ أَنْتَ حَىٌّ أَوْ تُنَادِى حَيًّا *

ثم غدا وهم معه بأمية بن ضَفَارة أخى الخُصِيبى المقتول مُبَكِّرين من ظَهْر الحَرَّة ، فساروا إلى جَوْف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا المدينة وَانتَهَوْا إلى المسجد نظر إليهم رجلٌ من الناس فقال : لا تُنِيخُوا إبلكم فَتُقَطَّعَ أَيْدِيهِنَّ ، فنزلوا عنهن وَهُنَّ قيام ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم أَلاَحَ إليهم [٢] بيده أن تَعَالَوْا من وراء الناس ، فلما استفتح رفاعةُ بن زَيْدٍ المنطق قام رجل من الناس فقال : يارسول الله ، إن هؤلاء قومٌ سَحَرَة ، فردَّدها مرتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحِمَ الله من لم يحْذُنا فى يومه هذا إلا خيرا [٣] ، ثم دفع رفاعةُ [بن زيد] كتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتبه له فقال : دُونَكَ يارسول الله قَدِيماً كتابه حديثاً غَدْرُه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « اقْرَأْهُ يَا غُلاَمُ وَأَعْلِنْ » فلما قرأ كتابه استخبرهم ، فأخبروه الخبر ،

---

(١) فى نسختين من أصول الكتاب « بن عمرو »

(٢) ألاح لهم : أشار ، ويقال : ألاح البرق ، إذا تحرك واضطرب ، وقد يجىء ألاح فى موضع آخر بمعنى أشفق

(٣) لم يحذنا إلا خيرا : يريد لم يعطنا من كلامه ومشورته إلا خيرا ، والحذو : العطاء ، والحذية : العطية

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْقَتْلَى » ثلاث مرار ، فقال رفاعة : أنت يارسول الله أعلم ، لا نُحَرِّم عليك حَلالاً ، ولا نحلّ لك حراماً ، فقال أبو زيد بن عمرو : أَطْلِقْ لنا يارسول الله من كان حَيًّا ، ومن قُتِلَ فهو تحت قَدَمى هذه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « صَدَقَ أَبُو زَيْدٍ ، ارْكَبْ مَعَهُمْ يَا عَلِيّ » فقال على رضى الله عنه : إِنَّ زَيْداً لن يطيعنى يارسول الله ، قال : « خُذْ سَيْفِي هٰذَا » فأعطاه سيفه فقال على : ليس لى يارسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لِثَعْلَبَة ابن عمرو يقال له مِكْحَال ، فخرجوا ، فاذا رسولٌ لزيد بن حارثة على ناقةٍ من إبل أبى وَبْر يقال لها الشَّمِرُ ، فأنزلوه عنها ، فقال : ياعلى ، ماشأنى ؟ فقال : مَا لَهُمْ عَرَفُوه فأخذوه ، ثم ساروا فلَقُوا الجيشَ بِفَيْفَاءِ الْفَحْلَتَيْنِ ، فأخذوا مافى أيديهم ، [حتى] كانوا ينزعون لُبَيْدَ المرأة من تحت الرَّحْل ، فقال أبو جِعال حين فرغوا من شأنهم : —

وَعَاذِلَةٍ وَلَمْ تَعذِلْ بِطِبٍّ وَلَوْلاَ نَحْنُ حُشَّ بِهَا السَّعِيرُ (١)

تَدَافِعُ فِي الْأَسَارَى بِابْنَتَيْهَا وَلاَ يُرْجَى لَهَا عِتقٌ يَسِيرُ

وَلَوْ وُكِلَتْ إِلَى عُوصٍ وَأَوْسٍ لَحَارَبِهَا عَنِ الْعِتْقِ الْأُمُورُ (٢)

وَلَوْ شَهِدَتْ رَكَائِبَنَا بِمِصْرٍ تُحَاذِرُ أَنْ يُعَلَّ بِهَا الْمَسِيرُ (٣)

---

(١) العاذلة : اللائمة ، والطب هنا : الرفق ، وقوله « حش » بالبناء للمجهول-أى أوقد ، تقول : حششت النار ، إذا أوقدتها، والسعير : تلهب النار

(٢) لحاربها : معنى حارهنا رجع ، ومنه قوله تعالى : (إنه ظن أن لن يحور)

(٣) يعل : يكرر ، وأصل العل ما يقابل النهل ، والنهل : الشرب أول مرة ، والعل : الشرب ثانيا

وَرَدْنَا مَاءَ يَثْرِبَ عَنْ حِفَاظٍ لِرَبْعٍ إِنَّهُ قَرَبٌ ضَرِيرُ (١)

بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كَالسِّيدِ نَهْدٍ عَلَى أَقْتَادِ نَاجِيَةٍ ضَبُورِ (٢)

فِدًى لِأَبِي سُلَيْمَى كُلُّ جِبْسٍ بِيَثْرِبَ إِذْ تَنَاطَحَتِ النُّحُورُ (٣)

غَدَاةَ تَرَى الْمُجَرَّبَ مُسْتَكِيناً خِلَافَ الْقَوْمِ هَامَتُهُ تَدُورُ

قال ابن هشام : قوله « ولا يرجى لها عتق يسير » وقوله « عن العتق الأمور » عن غير ابن إسحق .

تمت الغزاة وعُدْنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث

عود الى ذكر السرايا والبعوث

قال ابن إسحق ، وغزوة زَيْدِ بن حارثة أيضا الطَّرَفَ من ناحية نَخْلٍ من طريق العراق

غزوة زَيْد بن حارثة بنى فَزَارَةَ ومُصَابُ أمِّ قِرْفَةَ

وغزوة زيد بن حارثة أيضا وَادِيَ الْقُرَى لقى به [بنى] فَزَارَةَ فأصيب بها ناسٌ من أصحابه وَارْتُثَّ (٤) زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب وَرْدُ بن

---

(١) الحفاظ ـ بزنة كتاب ـ الغضب ، والربع : أن ترد الابل الماء لأربعة أيام ، والقرب : السير فى طلب الماء ، وضرير : ههنا بمعنى ضار ، فعيل بمعنى فاعل

(٢) السيد ـ بكسر السين ـ الذئب ، ونهد ـ بفتح فسكون ـ أى غليظ والأقتاد : أداة الرحل ، والناجية ، السريعة ، وأراد بها ناقة ، وضبور تروى هذه الكلمة بالضاد المعجمة وتروى بالصاد المهملة ، فأما من رواها بالمعجمة فأراد أنها موثقة الخلق ، وهو من أوصاف الناجية ، فى البيت إقواء ، وأما من رواه بالمهملة فهو صيغة مبالغة من الصبر

(٣) الجبس ـ بالجيم والباء والسين المهملة ـ الجبان اللئيم ، والنحور الصدور

(٤) ارتث زيد ـ بالبناء للمجهول ـ رفع من بين القتلى وبه بقية حياة

عمرو بن مَدَاش ، وكان أحد بنى سعد بن هُذَيل ، أصابه أحد بنى بدر

قال ابن هشام : سعد بن هُذَيْم .

قال ابن إسحق : فلما قدم زيد بن حارثة آلى أن لا يَمَسَّ رَأسَهُ غِسْلٌ من جنابة حتى يَغْزُوَ بنى فَزَارة ، فلما اسْتَبَلَّ من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة في جيش ، فَقَتَلَهُمْ بوادى الْقُرَى ، وأصاب فيهم ، وقتل قيسُ بن الْمُسَحَّر الْيَعْمُرِىُّ مَسْعَدَةَ بن حَكَمَةَ بن مالك بن حُذَيفةَ بن بدر ، وأُسِرت أُمُّ قِرْفَةَ فاطمةُ بنت ربيعة بن بدر ، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، وبنتٌ لها . وعَبْدُ الله بن مَسْعَدة . فأمر زيد بن حارثة قَيْس بن المسحَّر أن يقتل أُمَّ قِرْفة ، فقتلها قتلاً عنيفا ، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أمِّ قرفة وبابن مسعدة ، وكانت بنتُ أم قرفة لِسَلَمَةَ بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ، وكانت فى بيت شَرَفٍ من قومها ، كانت العرب تقول : لَوْ كُنتَ أعَزَّ مِنْ أمِّ قِرْفَةَ مازدتَ ، فسألها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَلَمَةُ ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حَزْن بن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن . فقال قَيْسُ بن الْمُسَحَّر فى قتل مَسْعَدَةَ : —

سَعَيتُ بِوَرْدٍ مِثْلَ سَعْىِ ابْنِ أُمِّهِ
وَإِنِّى بِوَرْدٍ فِى الْحَيَاةِ لَثَائِرُ (١)

---

(١) ورد : يجوز أن يكون اسم فرسه ، ويجوز أن يكون وصفا ، تقول : فرس ورد ، إذا كان بين الكميت والأشقر ، وهو بفتح الواو وسكون الراء ، وثائر : آخذ بالثأر

كَرَرْتُ عَلَيْهِ الْمُهْرَ لَمَّا رَأَيْتُهُ عَلَى بَطَلٍ مِنْ آلِ بَدْرٍ مُغَاوِرِ (١)
فَرَكَّبْتُ فِيهِ قَعْضَبِيًّا كَأَنَّهُ شِهَابٌ بِمَعْرَاةٍ يُذَكَّى لِنَاظِرِ (٢)

غزوة عبد الله بن رَوَاحة لقتل اليُسَيْر بن رِزَام

وغزوة عبد الله بن رَوَاحة خَيْبَرَ مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليُسَيْر بن رِزَام .

[قال ابن هشام : ويقال : ابن رازم] .

وكان من حديث اليُسَيْر بن رِزَام أنه كان بخيبر يجمع غَطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن رَوَاحة فى نفرٍ من أصحابه ، منهم عبدُ الله بن أُنَيْسٍ حليفُ بنى سَلِمَة ، فلما قدموا عليه كَلَّمُوهُ وَقَرَّبوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به حتى خرج معهم فى نفرٍ من يهود ، فحمله عبدُ الله بن أُنَيْس على بعيره ، حتى إذا كانوا بالْقَرْقَرة من خَيْبَر على ستة أميال ندم الْيُسَيْر بن رِزَام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَفَطِن له عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف ، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف فقطع رجله ، وضربه الْيُسَيْرُ بِمِخْرَشٍ (٣)

---

(١) « على بطل » هذا بدل من قوله فى أول البيت « عليه » والبطل الشجاع ، والمغاور : الكثير الغارة على الأعداء

(٢) القعضبى : السنان ، منسوب إلى قعضب ـ بزنة جعفر ـ وهو رجل كان يصنع الأسنة ، والمعراة : الموضع الذى لا يستره شىء ، وهى بفتح الميم وسكون العين المهملة ، ويذكى : يوقد ، ووقع فى نسخه أوربة « بمعزاه » وكأنهم حسبوا أن هذه الهاء هاء الغائب ، وهو خطأ

(٣) المخرش ـ بزنة منبر ـ وفى بعض النسخ « بمخراش » بزنة منشار وهو اسم آلة من الخرش ، والخرش : الخدش ، تقول : خرشه خرشا ، إذا خدشه

فى يده من شَوْحَطٍ [١] فأَمَّه [٢] ، ومال كُلُّ رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحدا أفلت على رجليه ، فلما قدم عبدُ الله بن أُنَيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تَفَل [٣] على شَجَّتِه فلم تَقِحْ [٤] ولم تُؤْذِه

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبى الْحُقيق

غزوة عبد الله بن أُنَيس لقتل خالد بن سفيان بن نُبَيْحٍ الْهُذَلى

غزوة عبد الله بن أنيس خالدا الهذلى

وغَزوة عبد الله بن أنيس خَالدَ بن سُفْيان بن نُبَيْح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنَخْلَة أو بعُرَنَة يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ ليغزوه فقتله

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبدُ الله ابن أُنَيْسٍ : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إنَّهُ قَدْ بَلَغَنِى أنَّ ابْنَ سُفْيَانَ بن نُبَيْحٍ الْهُذَلِى يَجْمَعُ لِى النَّاسَ لِيغْزُوَنِى وَهُوَ بِنَخْلَةَ ، أَوْ بِعُرَنَةَ ، فَأْتِهِ فَاقْتُلْه » قلت : يارسول الله ، انْعَتْه لى حتى أعرفه ، قال : « إنَّكَ إِذا رَأَيْتَهُ أَذْكَرَكَ الشَّيْطَانَ ، وَآيَةُ ما بَيْنَكَ وَبينَهُ أنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرَةً » [٥] قال : فخرجت مُتَوَشِّحًا سيفى حتى دفعت إليه وهو فى ظُعُنٍ [٦] يرتاد لهن [٧] منزلا ،

---

(١) الشوحط — بزنة كوثر — شجر من أشجار النبع
(٢) أمه — مثل شده وشجه — جرحه فى رأسه
(٣) تفل : بصق بصاقا خفيفا
(٤) لم تقح : لم يتولد فيها قيح
(٥) القشعريرة — بزنة الطمأنينة — رعدة وارتعاش كارتعاش المحموم
(٦) الظعن — بضم الظاء والعين المهملة — جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج ، وقد يقال للمرأة ظعينة وإن لم تكن فى الهودج كما هنا
(٧) يرتاد : يطلب ، والمنزل : موضع النزول

وحيث كان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بيني و بينه مُجَاوَلَة تشغلني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه أُومِئ برأسي ، فلما انتهيت إليه قال : مَنِ الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك و بجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك ، قال : أَجَلْ (١) إنى لفى ذلك ، قال : فَمَشَيْت معه شيئاً ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُنْكَبَّاتٍ عليه ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى قال : « أَفْلَحَ الْوَجْهُ » قلت : قد قتلته يارسول الله ، قال : « صَدَقْتَ » ثم قام بي فأدخلني بيته ، فأعطاني عصًا ، فقال : « أَمْسِكْ هٰذِهِ الْعَصَا عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ أُنَيْسٍ » قال : فخرجت بها على الناس فقالوا : ماهذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أمسكها عندي ، قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله، لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال : « آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ الْمُتَخَصِّرُونَ (٢) يَوْمَئِذٍ » قال : فقرنها عبد الله بن أُنَيْس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضُمَّت فى كفنه ، ثم دفنا جميعا .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أُنَيْس في ذلك : —

---

(١) أجل : كلمة جواب مثل نعم

(٢) المتخصرون : المتكئون على المخاصر ، وهى العصى ، واحدتها مخصرة — بزنة مكنسة —

تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْرٍ كَالْحُوَارِ وَحَوْلَهُ
نَوَائِحُ تَفْرِى كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ (١)

تناوَلْتهُ وَالظُّعْنُ خَلْفِى وَخَلْفَهُ
بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنَّدِ (٢)

عَجُومٍ لِهَامِ الدَّارِعِينَ كَأَنَّه
شِهَابُ غَضًا مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ (٣)

أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ :
أَنَا ابْنُ أُنَيْسٍ فَارِساً غَيْرَ قُعْدَدِ (٤)

أَنَا ابْنُ الَّذِى لَمْ يُنْزِلِ الدَّهْرُ قِدْرَهُ
رَحِيبُ فِنَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مُزَنَّدِ (٥)

---

(١) الحوار ـ بزنة غراب ـ ولد الناقة إذا كان صغيرا ، وتفرى: تقطع

(٢) بأبيض : يريدبه سيفا ، والمهند : المنسوب إلى الهند ، ويقولون : سيف هندى وهندوانى ومهند

(٣) عجوم : هو من صفات الأبيض ، وهذه صيغة مبالغة من العجم وهو العض وزنا ومعنى ، والهام ههنا : الرؤس ، والشهاب ـ بزنة كتاب ـ القطعة من النار ، والغضا : شجر يشتد التهاب النار فيه ، والملهب : اسم مفعول من ألهبته إذا أوقدت فيه النار

(٤) القعدد : اللئيم الدنىء القاعد عن الحرب والمكارم ، وقال الشاعر : ـ

دَعَانِى أَخِى وَالْخَيْلُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ فَلَمَّا دَعَانِى لَمْ يَجِدْنِى بِقُعْدَدِ

(٥) رحيب : متسع ، وأصله من الرحب وهو الفضاء ، والمزند : الضيق البخيل

وَقُلْتُ لهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَاجِدٍ
حَنِيفٍ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ (١)

وَكُنْتُ إِذَا هَمَّ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

[تمت الغزاة ، وعدنا إلى خبر الْبُعُوث]

عود الى ذكر السريا والبعوث

قال ابن إسحق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله ابن رَوَاحَةَ مُؤْتَةَ من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعا ، وغزوة كعب بن عُمَيْر الْغِفَارِى ذاتَ أَطْلاَحٍ من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ، وغزوة عُيَيْنَةَ بن حصن بن حذيفة بن بدر بنى العنبر من بنى تميم

غزوة عُيَيْنَةَ بن حصن بنى العنبر من [بنى] تميم

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ، وسَبَى منهم أناسا .

فحدثنى عاصم بن عُمَرَ بن قتادة ، أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إن علىَّ رقبةً من ولد إسمعيل ، قال : « هذَا سَبْىُ بَنِى الْعَنْبَرِ يَقْدَمُ الآنَ فَنُعْطِيكِ مِنْهُمْ إِنْسَانًا فَتُعْتِقِينَهُ »

قال ابن إسحق : فلما قُدِم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فيهم وَفْدٌ من بنى تميم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم : منهم ربيعة بن رُفَيْع ، وسَبْرَة بن عَمْرو ، والْقَعْقَاع بن مَعْبَد ، ووَرْدَان بن مُحْرِز ، وقَيْسُ بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والْأَقرع بن حابس ، وفِرَاس ابن حابس ؛ فكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فأعتق بعضا ، وأفدى بعضا

---

(١) الماجد : الشريف ، والحنيف هنا : الذى نزع عن الشرك إلى دين الاسلام

وكان ممن قتل يومئذ من بنى العنبر عبدُ الله وأخوان له بنو وهب ، وشَدَّاد بن فِرَاس ، وحَنْظَلة بن دارم ، وكان ممن سُبى من نسائهم يومئذ أسْماء بنت مالك ، وكأس بنتُ أرِىّ ، ونَجْوَة بنت نَهْد ، وجُمَيْعة بنت قيس ، وعمْرَة بنت مَطَر ، فقالت فى ذلك اليوم سلمى بنت عَتَّاب : —

لَعَمْرِى لَقَدْ لاَقَتْ عَدِىُّ بْنُ جُنْدَبٍ
مِنَ الشَّرِّ مَهْوَاةً شَدِيداً كَؤُودُهَا (١)
تَكَنَّفَهَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَغُيِّبَ عَنْهَا عِزُّهَا وَجُدُودُهَا (٢)

قال ابن هشام : وقال الفرزدق فى ذلك : —

وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ قَامَ ابْنُ حَابِسٍ
بِخُطَّةِ سَوَّارٍ إلَى الْمَجْدِ حَازِمِ (٣)
لَهُ أَطْلَقَ الْأَسْرَى الَّتِى فِى حِبَالِهِ
مُغَلَّلَةً أعْنَاقُهَا فِى الشَّكَائِمِ
كَفَى أُمَّهَاتِ الْخَائِفِينَ عَلَيْهِمُ
غَلاَءَ الْمُفَادِى أَوْ سِهَامَ الْمُقَاسِمِ (٤)

(١) المهواة : المكان المنخفض بين جبلين ، وأصله اسم مكان من هوى. والكئود : العقبة الصعبة

(٢) تكنفها : أحاط بها ، والجدود : جمع جد ، وهو هنا الحظ والبخت والسعد

(٣) الخطة : الخصلة ، والسوار : الذى يرتقى ويتسور ويثب ، والمجد : الشرف .

(٤) « أمهات الخائفين » وقع فى أكثر نسخ الأصل «أمهات الخالفين» وهم الذين تخلفوا فى أهلهم

وهذه الأبيات فى قصيدة له ، وعدى بن جُنْدَب : من بنى العنبر ، والعنبر : ابن عَمْرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مُرَّة

قال ابن إسحق : وَغَزْوَة غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليثٍ أرضَ بنى مرة ، فأصاب بها مِرْدَاسَ بن نَهيكٍ حليفاً لهم من الُحُرْقة من جُهَيْنَة، قتله أسامةُ بن زيد ورجلٌ من الأنصار

قال ابن هشام : الُحْرَقة : فيما حدثنى أبو عبيدة .

قال ابن إسحق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شهَرْنَا عليه السلاح قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : فلم ننزع عنه حتى قتلناه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ، فقال : « يا أُسَامَةُ مَنْ لَكَ بِلاَإلَهَ إلاَّ اللهُ» قال : قلت:يارسول الله ، إنه إنما قالها تَعَوُّذاً بها من القتل ، قال : « فَمَنْ لَكَ بِهَا يَاأُسَامَةُ » قال : فوالذى بعثه بالحق مازال يُرَدِّدها على حتى لوددت أن ما مضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئد ، وأنى لم أقتله ، قال : قلت : أَنْظِرْنى يارسول الله ، إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إلهَ إلا الله أبدا ، قال : « تَقُولُ بَعْدِى ياأُسامة » قال : قُلْتُ بَعْدَكَ .

غزوةُ عَمْرِو بن العاص ذاتَ السَّلاَسل

وغزوة عمرو بن العاص ذَاتَ السَّلاَسِلِ من أرضْ بنى عُذْرَة ، وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يَسْتَنْفِرُ العربَ إلى الشام ، وذلك أن أمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بَلِيٍّ ، فبعثه رسول الله

صلَّى الله عليه وسلم إليهم يَسْتَأْلِفُهُم لذلك ،حتى إذا كان على ماء بأرض جُذَام يقال له السَّلْسَل ، وبذلك سميت تلك الغزوة غزْوَة ذات السلاسل ، فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسْتَمِدُّه ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبَيْدَة بن الجَرَّاح فى المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبى عبيدة حين وَجَّهه : « لا تَخْتَلِفَا » فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مَدَداً لى ، قال أبو عبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلاً لينا سهْلاً هَيِّنًا عليه أَمْرُ الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مَدَدٌ لى ، فقال له أبو عبيدة : ياعمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لا تختلفا وإنك إن عَصَيْتَنِى أطعتك ، قال : فإنى الأمير عليك وأنت مَدَدٌ لى ، قال : فَدُونَكَ ، فصلَّى عَمْرٌو بالناس .

صحبة أبى بكر لرافع بن أبى رافع

قال : وكان من الحديث فى هذه الغَزَاة أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدّث — فيما بلغنى — عن نفسه ، قال : كنت امرأ نصرانيا ، وَسُمِّيتُ سَرْجِسَ ، فكنت أَدَلَّ الناس وأهداه بهذا الرمل ، كنت أَدْفِنُ الماء فى بَيْضِ النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أُغِير على إبل الناس ، فاذا أَدْخَلْتُهَا الرَّمْلَ غلبتُ عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذى خَبَأْتُ فى بَيْض النعام فأستخرجه فأشرب منه ، فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل .

قال : فقلت : والله لأخْتَارَنَّ لنفسى صاحبا ، قال : فَصَحِبْتُ أبا بكر قال : فكنت معه فى رَحْله ، قال : وكانت عليه عَبَاءَة له [1] فَدَكِيَّة ،

---

(١) العباءة : الكساء الغليظ ، ويقال فيه عباية أيضا ، وفدكية : منسوبة إلى فدك ، وهو موضع

فكان إذا نَزَلْنَا بَسَطها ، وإذا ركبنا لَبِسَهَا ثم شَـكَّهَا[1] عليه بخِلَالٍ له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد — حين ارتدُّوا كفَّارا — : نَحْنُ نُبَايِعُ ذا العَبَاءه ؟ قال : فلما دَنَوْنا من المدينة قافلين ، قال : قلت : ياأبابكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلمنى ، قال : لولم تَسْأَلنِي ذلك لفعلت ، قال : آمُرُكَ أن تُوَحِّد الله ، ولاتشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وَتَحُجَّ هذا البيت ، وَتَغْتَسِلَ من الجنابة ، ولاتتأمر على رجلين من المسلمين أبدا ، قال : قلت : ياأبا بكر ، أما أنا والله فانى أرجو أن لاأشرك بالله أبدا ، وأما الصلاة فلن أتركها أبدا إن شاء الله ، وأما الزكاة فان يك لى مال أُؤَدِّهَا إن شاء الله وأما رمضان فلن أتركه أبدا إن شاء الله ، وأما الحج فَإِنْ أَسْتَطِـعْ أَحُجّ إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فانى رأيت الناس يا أبابكر لا يَشْرُفُون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بهـا فَلِمَ تَنْهَانِي عنها ، قال: إنك إنمـا استَجْهَدْتَنِي لأَجْهَدَ لك ، وسأخبرك عن ذلك إن شاء الله ، إن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، َفجَاهَدَ عليه حتى دخل الناس فيه طَوْعًا وَكَرْهًا ، فلما دخلوا فيه كانوا عُوَّاذَ الله وجيرانه وفى ذمته ، فاياك أن تُخْفِرَ[2] الله فى جيرانه فَيَتْبَعَكَ الله فى خُفْرَتهُ ، فان أحدكم يُخْفَرُ فى جاره فيظل نَاتِئًا عَضَلُهُ[3] غَضَبًا لجاره أنْ أُصِيبت له شاةٌ أو بعير ، فالله أشَدُّ غَضَبًا لجاره ، قال: ففارقته على ذلك ،

وصية أبى بكر لرافع بن أبى رافع

أبو بكر يبين مشاق الامارة على الناس

---

(١) شكها : أنفذ فيها الخلال الذى كان يخللها به

(٢) تخفر الله : أى تنقض عهده

(٣) ناتئا : مرتفعا مرتفعا ، والعضل : جمع عضلة ، وهى القطعة من اللحم الشديدة

قال : فلما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُمِّرَ أبو بكر على الناس ، قال : قَدِمْتُ عليه فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تَكُ نَهَيْتَني عن أن أتأمَّرَ على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فقلت له : فَمَا حَمَلَكَ على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بُدًّا ، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الْفُرْقَةَ

شأن عوف ابن مالك الاشجعى

قال ابن إسحق : أخبرنى يزيدُ بن أبي حبيب ، أنه حُدِّث عن عوف ابن مالك الأشجعى ، قال : كنت فى الْغَزَاة التى بَعَثَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعُمَرَ ، فمررت بقوم على جَزور لهم قد نَحَرُوهَا وهم لايقدرون على أن يُعَضُّوها [1] ، قال : وكنت أمرأً لَبِقًا جَازِرًا [2] ، قال : فقلت : أتعطونني منها عَشِيرًا [3] على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشَّفْرَتَين ، فجزَّأتها مكانى ، وأخذت منها جزأ فحملته إلى أصحابى ، فأَطَّبَخْنَاه فأكلناه ، فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : أنَّى لك هذا اللحم ياعوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ، فقالا : والله ماأَحْسَنْتَ حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يَتَقَيَّآن مافى بطونهما من ذلك ، قال : فلما قَفَلَ النَّاسُ من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجئته وهو يصلى فى بيته ، قال : فقلت : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله

---

(١) يعضوها : مضارع عضى ـ بتضعيف الضاد ـ ومعناه يقسموها ، والتعضية : القسمة

(٢) اللبق ـ بفتح اللام وكسر الباء ـ الحاذق الرفيق فى العمل ، والجازر : الذى يصطنع الجزر

(٣) العشير : النصيب ، وذلك لأنهم كانوا يقسمون الجزور على عشرة أجزاء ، فكل جزء عشير

وبركاته ، قال : « أَعَوْفُ بْنُ مَالِكٍ ؟ » قال : قلت : نعم بأبى أنت وأمى قال : « أَصَاحِبُ الجَزُورِ » ؟ ولم يزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئاً [ولم يردّ علىّ السلام]

غزوة ابن أبى حَدْرَد بطنَ إضم ، وقَتْلُ عامر بن الأضبط [الأشْجَعِيّ]

غزوة ابن أبى حدرد بطن إضم

وغزوة ابن أبى حَدْرَد وأصحابه بطنَ إِضَمٍ وكانت قبل الفتح

قال ابن إسحق : حدثنى يَزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، عن القَعْقَاع ابن عبد الله بن أبى حَدْرَد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حَدْرَد ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم فى نفر من المسلمين ، منهم أبو قتَادَةَ الحرثُ بن رِبْعِيٍّ ، ومُحَلِّم بن جَثَّامة بن قيس ، فخرجنا ، حتى إذا كنا ببطن إضم مَرَّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعى على قَعُودٍ (١) له ومعه مُتَيِّع (٢) له ووَطْبٌ (٣) من لبن ، قال : فلما مر بنا سلَّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه مُحَلِّم بن جَثَّامة فقتله ، لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره وأخذ مُتَيِّعه ، قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا (٤ : ٩٣) (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) إلى آخر الآية

محلم بن جثامة يقتل ابن الاضبط

قال ابن هشام : قرأ أبو عَمْرو بن العَلاَء (وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا) لهذا الحديث

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد

---

(١) القعود ـ بفتح القاف ـ البعير المتخذ للركوب
(٢) متيع ـ بضم الميم وفتح التاء وتشديد الياء مكسورة ـ تصغير متاع
(٣) الوطب ـ بفتح الواو وسكون الطاء ـ وعاء اللبن

ابن ضُمَيْرَةَ [1] بن سَعْد السُّلَمى يحدث ، عن عُرْوَة بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حُنَيْنًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: صَلَّى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الظهر . ثم عَمَدَ إلى ظل شجرة فجلس تحتها ، وهو بحُنَيْن ، فقام إليه الأقرع بن حابس وعُيَيْنَةُ ابن حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر يختصمان فى عامر بن الأضبط الأشجعى : عُيَيْنة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع بن حابس يَدْفع عن مُحَلِّم بن جَثَّامةَ لمكانه من خِنْدِفَ ، فتَدَاولا الخُصُومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعنا عُيَيْنةَ بن حِصْن وهو يقول : والله يا رسول الله لا أدعه حتى أُذِيقَ نساءه من الحرقة [2] مثل ما أذاق نسائى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ خَمْسِينَ فِى سَفَرِنَا هٰذا وَخَمْسِينَ إذَا رَجَعْنَا » وهو يأبى عليه ، إذ قام رجل من بنى ليث يقال له مُكَيْثِر قصير مجموع (قال ابن هشام : مُكَيْتِل) فقال : والله يا رسول الله ما وَجَدْتُ لهذا القتيل شبها فى غُرَّة الإسلام [3] إلا كغنمٍ وَرَدَتْ فرُمِيَتْ أولاها فنَفَرَتْ أخراها ، اسْنُنِ اليومَ [4] وغَيِّرْ غداً ، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، فقال : « بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ خَمْسِينَ فِى سَفَرِنَا هٰذَا وَخَمْسِينَ إذَا رَجَعْنَا » قال : فقبلوا الدية ، قال : ثم قالوا : أين صاحبكم هذا يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فقام رجل آدم

الاختلاف فى دم عامر بن الاضبط

(١) « زياد بن ضميرة » قال أبو ذر : « يروى أيضا ضبيرة بالباء ، والصواب ضميرة بالميم ، وكذلك ذكره البخارى فى تاريخه الكبير » اهـ

(٢) « من الحرقة » وقع فى نسخة أوربة « من الحر »

(٣) غرة الاسلام : أوله ، وغرة كل شىء : أوله

(٤) « اسنن اليوم وغير غدا » قال أبو ذر : « يريد احكم لنا اليوم بالدم فى أمرنا هذا واحكم غدا بالدية لمن شئت ، وغير : من الغيرة ، وهى

ضَرْبٌ (١) طويل عليه حُلّة له قد كان تَهَيَّأ فيها للقتل ، [حتى]جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « ماٱسْمُكَ ؟ » قال : أنا مُحَلِّم ابن جَثَّامة ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال : « اللَّهُمَّ لاتَغْفِرْ لِمُحَلِّم بْن جَثَّامَةَ » ثلاثا ، قال : فقام وهو يتلقى دَمْعَه بفضل ردائه ، قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا .

دعاء النبى على محلم بن جثامة

قال ابن إسحق : وحدثنى من لاأتهم ، عن الحسن البصرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : « أمَّنْتَهُ بالله ثُمَّ قَتَلْتَه » ثم قال له المقالة التى قال ، قال: فوالله ما مكث مُحَلِّم بن جَثَّامة إلا سَبْعًا حتى مات ، فَلَفَظَتْهُ (٢) والذى نفس الحسن بيده — الْأَرضُ ، ثم عادوا له ، فَلَفَظَتْه الأرضُ ، ثم عادوا له فلفظته الأرضُ ؛ فلما غُلِبَ قَوْمُه عمدوا إلى صُدَّيْن (٣) فَسَطَحوه بينهما ثم رَضَمُوا عليه الحجارة حتى وَارَوْه ، قال : فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : « وَاللهِ إِنَّ الْأَرْضَ لَتَطَّابَقُ عَلَى مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ ، وَلٰكِنَّ اللهَ أَرَادَ أنْ يَعِظَكُمْ فِى حُرَمِ مَابَيْنَكُمْ بِمَا أَرَاكُمْ مِنْهُ » .

الدية ههنا ، ومن رواه غبر ـ بالباء بواحدة من تحتها ـ فمعناه وأبق حكومة الدية إلى وقت آخر ، من قولك : غبر ، بمعنى بقى ، والغبر والغبراء : البقية» اهـ كلامه

(١) الضرب من الرجال ـ بفتح الضاد وسكون الراء المهملة ـ الخفيف
(٢) لفظته الأرض : ألقته على وجهها
(٣) الصد : الجبل ، وهو بضم الصاد وتضعيف الدال

قال ابن إسحق : وأخبرنا سالم أبو النَّضْر ، أنه حُدِّث، أن عُيَيْنَةَ بن حِصْن وقَيْساً حين قال الأقرع بن حابس وَخَلاَ بهم : يامعشر قَيْس ، منعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قَتيلاً يَسْتَصْلح به الناسَ ، أفأمنتم أن يَلْعَنَكُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته ؟ أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه ؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لَتُسْلِمُنَّهُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَلَيَصْنَعَنَّ فيه ماأراد أو لآتِيَنَّ بخمسين رجلا من بنى تميم يَشْهَدُون بالله كلهم لَقُتِلَ صاحبكم كافرا ماصَلَّى قطُّ فَلَأُطُلَّنَّ دمه [1] ، ف[لما سمعوا ذلك]قبلوا الدية .

قال ابن هشام : محلم فى هذا الحديث كله عن غير ابن إسحق ، وهو مُحَلِّم ابن جَثَّامَةَ بْنِ قَيْس اللَّيْثِيّ .

وقال ابن إسحق : ملجم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبى حَدْرَد لقتل رفاعة بن قيس الْجُشَمِى

غزوة ابن أبى حدرد الغابة

قال ابن إسحق : وغزوة ابن أبى حَدْرَد الْأَسلمى الْغَابَةَ

وكان من حديثها — فيما بلغنى عمن لا أتّهم، عن ابن أبى حدرد — قال : تزوّجْتُ امرأة من قومى ، وَأَصْدَقْتُهَا مائتى درهم ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحى ، فقال : « وَكَمْ أَصْدَقْتَ » ؟ فقلت : مائتى درهم يارسول الله ، قال: « سُبْحَانَ اللهِ !! لَوْ كُنْتُمْ تَأْخُذُونَ الدَّرَاهِمَ مِنْ بَطْنِ وَادٍ مَازِدْتُمْ ، وَاللهِ مَاعِنْدِى مَا أُعِينُكَ بِهِ »

النبى يستكثر مائتى درهم صداقا

---

(١) لأطلن دمه : أى لأبطلنه ، تقول : طل دم القتيل ، إذا أهدر ولم يؤخذ بثأره

رفاعة بن قيس يجمع لحرب النبى

قال : فلبثت أياما وأقبل رجل من بنى جُشَمَ بن معاوية يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، فى بطن[١] عظيم من بنى جُشَم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالْغَابَةَ يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم فى جُشَمَ وشرف

النبى يرسل لقتل رفاعة بن قيس

قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معى من المسلمين ، فقال : « اخرُجُوا إلَى هٰذَا الرَّجُلِ حَتَّى تَأْتُوا مِنْهُ بِخَبَرٍ وَعِلْمٍ » قال : وَقَدَّمَ لنا شَارِفًا عَجْفَاء[٢] ، فحمل عليها أحدنا ، فو الله ما قامت به ضعفا ، حتى دَعَمَهَا الرجال[٣] من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ، ثم قال : « تبَلَّغُوا عَلَيْهَا وَاعْتَقِبُوهَا »[٤] قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبْلِ والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر[٥] عُشَيْشِيَةً[٦] مع غروب الشمس ، قال : كمنت فى ناحية ، وأمرت صاحبىَّ ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضرى القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كَبَّرْتُ وشددت فى ناحية العسكر فكبرا وشُدَّا معى ، قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر غِرَّة القوم[٧] ، أو أن نصيب منهم شيئا ، قال : وقد غشينا الليلُ

---

(١) البطن : أصغر من القبيلة ، والفخذ : أصغر من البطن

(٢) الشارف : الناقة المسنة ، والعجفاء : المهزولة

(٣) دعمها الرجال : قووها بأيديهم ، يريد أعانوها على النهوض

(٤) اعتقبوها : اركبوها واحداً بعد واحد

(٥) الحاضر : جماعة القوم النازلين على الماء

(٦) عشيشية : هو تصغير عشاء على غير القياس ، كتصغيرهم مغربا على مغيربان ، وليلة على لييلية

(٧) غرة القوم ـ بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء المهملة ـ غفلتهم

حتى ذهبت فَحْمَةُ العشاء (١) ، وقد كان لهم راعٍ [و] قد سرح فى ذلك البلد ، فأبطأ عليهم ، حتى تخوفوا عليه ، قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعة ابن قيس فأخذ سيفه فجعله فى عنقه ، ثم قال : والله لأتبعَنَّ أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر ، فقال [له] نفر ممن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك ، قال : والله لا يذهب إلا أنا ، قالوا : فنحن معك ، قال : والله لا يتبعنى أحد منكم ، قال : وخرج حتى يمر بى ، قال : فلما أمكننى نَفَحْتُه بسَهْمِى (٢) فوضعته فى فؤاده ، قال : فو الله ما تكلم ، ووثبت إليه فاحتززت رأسه ، قال : وشددت فى ناحية العسكر وكَبَّرت ، وشَدَّ صاحباى وكبرا ، قال : فو الله ما كان إلا النجاء ممن فيه عِنْدَكَ عِنْدَكَ (٣) بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خَفّ معهم من أموالهم ، قال : واستَقْنَا إبلا عظيمة وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وجئت برأسه أحمله معى ، قال : فأعاننى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا فى صداقى ، فجَمَعْتُ إلىّ أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دُومَةِ الْجَنْدَل

إرسال العمامة خلف الرجل

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن إرسال الْعِمَامَة من خَلْف الرُّجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم ، كُنْتُ عاشر عَشَرَةِ رهطٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده : أبو بكر ،

(١) فحمة العشاء : أول ظلام الليل

(٢) نفحته بسهمى : رميته به ، تقول : نفحته بكذا ، إذا رميته به

(٣) عندك عندك : هما كلمتان يقولها الانسان عند الاغراء

وعمر ، وعثمان ، وعلى . وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهم ، وأنا ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذ أقبل فَتًى من الأنصار ، فسلَّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يا رسول الله صلى الله عليك ، أىُّ المؤمنين أفضل ؟ فقال : « أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » قال : فأىُّ المؤمنين أكيَسُ ؟ قال : « أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ وَأَحْسَنُهُمْ اسْتِعْدَاداً لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، أُولٰئِكَ الْأَكْيَاسُ » ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ . خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا نَزَلْنَ بِكُمْ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ، إِنَّهُ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِى قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِى لَمْ تَكُنْ فِى أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا الزَّكَاةَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ فَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ مَا مُطِرُوا ، وَمَا نَقَضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذَ بَعْضَ مَا كَانَ فِى أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ يَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَتَجَبَّرُوا [١] فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ » ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهّز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتمَّ بعمامة من كَرَابِيسَ [٢] سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ثم نقضها ، ثم عمَّمه بها ، وأرسل من خلفه أرْبَعَ أصابع ، أو نحوا من ذلك ثم قال : « هٰكَذَا يَا ابْنَ عَوْفٍ فَاعْتَمَّ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ وَأَعْرَفُ » ثم

أى المؤمنين أفضل

(١) فى نسخة « وتخيروا » ولعلها أحسن .
(٢) كرابيس : جمع كرباس ، مثل قرطاس وقراطيس ، والكرباس : القطن ، قال ابن الأثير

أمر بلالا أن يدفع إليه اللِّواء ، فدفعه إليه ، فحمد الله تعالى وصلى على نفسه [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ثم قال : « خُذْهُ يَا ابْنَ عَوْفٍ فَاغْزُوا جَمِيعاً فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ ، لاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تُمَثِّلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيداً فَهٰذَا عَهْدُ اللهِ وَسِيرَةُ نَبِيِّهِ فِيكُمْ » فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء

قال ابن هشام : فخرج إلى دُومَةِ الْجَنْدَلِ

غزوة أبي عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاح إلى سيفِ الْبَحْرِ

غزوة أبى عبيدة سيف البحر

قال ابن إسحق : وحدثنى عُبَادَةُ بن الوليد بن عُبَادَة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جده عُبَادة بن الصامت ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً إلى سِيفِ الْبَحْرِ [١] عليهم أبو عُبَيدة بن الْجَرَّاح ، وَزَوَّدَهُمْ جِرَاباً من تمر [٢] ، فجعل يَقُوتُهُمْ إياه ، حتى صار إلى أن يَعُدَّهُ عليهم عَدَدًا ، قال : ثم نَفِدَ التَّمر حتى كان يُعْطِي كلَّ رجل منهم كلَّ يوم تمرةً ، قال : فقسمها يوما بيننا ، قال : فنقصت تمرةٌ عن رجل ، فوجدنا فَقْدَهَا ذلك اليوم ، قال : فلما جَهَدَنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر فأصَبْنامن لحمها وَوَدَكها ، وأقمنا عليها عِشْرِين ليلةً حتى سَمِنَّا وَابْتَلَلْنَا [٣] وأخذ أميرنا ضِلَعًا من أضلاعها فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجْسَمِ بعير معنا فحمل عليه أجْسَم رجل منا ، قال : فَجَلَسَ عليه ؛ قال : فخرج من تحتها وما مَسَّتْ رأسه ، قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

نفد زاد المسلمين فأخرج الله لهم من البحر دابة عظيمة

---

(١) سيف البحر : جانبه وساحله

(٢) الجراب ـ بكسر أوله ـ المزود

(٣) ابتللنا : أى أفقنا من ألم الجوع الذى كان بنا ، وهو من قولهم : بل المريض ، وأبل ، واستبل ، إذا أخذ فى الراحة والعافية

أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال :
« رِزْقٌ رَزَقَكُمُوهُ اللهُ »

بَعْثُ عَمْرو بن أمية الضَّمْرِى لقتال أبى سُفْيان بن حَرْب [وما صنع فى طريقه]

قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحق من بُعُوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه بَعْثُ عَمْرو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِى ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما حدثنى من أثق به من أهل العلم — بعد مقتل خُبَيْب بن عَدِىٍّ وأصحابه ، إلى مكة ، وَأَمَرَهُ أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جَبَّارَ بن صَخْر الأنصارى ، فخرجا حتى قدما مكة وحَبَسا جمليهما بشِعْبٍ من شعاب يَأْجج [1] ثم دخلا مكة ليلا ، فقال جَبَّار لعمرو : لو أنا طُفْنَا بالبيت وصَلّينا ركعتين ، فقال عمرو : إن القوم إذا تَعَشَّوْا جلسوا بأَفْنِيَتِهِمْ ، فقال : كلا إن شاء الله ، قال عمرو : فطُفْنَا بالبيت وَصَلَّيْنَا ، ثم خرجنا نريد أباسفيان ، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىَّ رجلٌ من أهل مكة فعرفنى ، فقال : عَمْرو بن أُمَيَّة ، والله إن قدمها إلا لشر ، فقلت لصاحبى : النَّجاءَ ، فخرجنا نَشْتَدُّ حتى أَصْعَدْنَا فى جبل ، وخرجوا فى طلبنا ، حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا ، فرجعنا ، فدخلنا كَهْفًا فى الجبل فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فَرَضَمْنَاهَا [2] دوننا ، فلما أصبحنا غدا رجلٌ من قريش يقود فرساله ويُخْلِى عليها [3] فغشينا ونحن فى الغار ، فقلت : إن

(١) الشعب ـ بكسر فسكون ـ الطريق الخفى بين جبلين ، ويأجج : اسم موضع
(٢) رضمناها دوننا : أى جعلنا بعضها فوق بعض لتكون حاجزا دوننا
(٣) يخلى عليها : أى يجمع لها الخلا ، وهو الربيع ، وإنما سمى الربيع خلا لأنه يخلى : أى يقتطع

رآنا صاح بنا فأُخِذْنَا فَقُتِلْنَا قال : ومعى خَنْجَر قد أعْدَدْته لأبى سفيان ، فأخرج إليه فأضر به [به] على ثَدْيِهِ ضربةً ، وصاح صَيْحة أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكانى ، وجاءه الناس يَشْتَدُّون وهو بآخر رَمَق ، فقالوا : مَنْ ضَرَبَكَ ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت فمات مكانه ، ولم يَدْلُلْ على مكاننا ، فاحتملوه ، فقلت لصاحبى لما أمسينا : النَّجَاء ، فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فمررنا بالْحَرَس وهم يحْرُسُون جيفَةَ خُبَيْب بن عَدِىٍّ ، فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بِمِشْيَةِ عَمْرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ، قال : فلما حاذى الخشبة شَدّ عليها [فأخذها] فاحتملها وخرجا شَدًّا وخرجوا وراءه حتى أتى جُرفًا بِمَهْبِطِ مسيل يأجَجَ ، ورمى بالخشبة فى الْجُرف فغيبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبي : النَّجَاءَ [النجاءَ] حتى تأتى بعيرك فتَقْعُدَ عليه فانى سأشغل عنك القوم ، وكان الأنصارى لا رُجْلَةَ له[1] ، قال : ومضيت حتى أخرج على ضَجْنَانَ[2] ، ثم أوَيْتُ إلى جبل فأدخل كهفا ، فبينا أنا فيه [إذ] دخل على شيخٌ من بنى الدِّيل أعْوَرُ فى غُنَيْمَةَ له ، فقال : مَنِ الرجل ؟ فقلت : من بنى بكر ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بكر ، فقلت : مَرْحَبًا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال : —

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَادُمْتُ حَيًّا ‏ ‏ وَلاَ دَانٍ بِدِينِ الْمُسْلِمِينَا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته حتى إذا نام أخذت قَوْسى فجعلت سِيَتَهَا فى عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت

---

(١) لا رجلة له : أى ليست به قدرة على أن يمشى على رجليه ، وتقول : فلان ذو رجلة ، إذا كان قويا قادراً على المشى

(٢) ضجنان — بالضاد والجيم — اسم موضع

النَّجَاء حتى جئت الْعَرْجَ ، ثم سلكت رَكُوبَةَ ، حتى إذا هبطت النَّقيع إذا رجلان من قريش من المشركين كانت قريش بعثهما عينا إلى المدينة ينظران ويتجسسان فقلت : استأسرا ، فأبيا ، فأرمى أحدهما بِسَهْمٍ فأقتله واستأسر الآخر ، فأوثقته رِبَاطاً ، وقدمت به المدينة

سَرِيَّةُ زيد بن حارثة إلى مَدْيَنَ

قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مَدْيَنَ

ذكر عبد الله بن حسن بن حسن(١) ، عن أمه فاطمة ابنة الحسين بن على رضوان الله عليهم ، أن رسول الله صلى الله عيه وسلم بَعَثَ زيد بن حارثة نحو مَدْيَنَ ومعه ضُمَيْرَة مَوْلى على بن أبى طالب رضوان الله عليه وأخ له ، قالت : فأصاب سَبْيًا من أهل مِيناء ، وهى السواحل وفيها جُمَّاع من الناس ، فبيعوا ، فَفُرِّقَ بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يَبْكُونَ ، فقال : « مالهم » ؟ فقيل : يارسول الله ، فُرِّقَ بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لاَ تَبِيعُوهُمْ إلاَّ جَمِيعًا »

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد

سرية سالم بن عُمَيْر لقتل أبى عفك

قال ابن إسحق : وغزوة سالم بن عُمَيْرٍ [وهو أحد الْبَكَّائين] أبَا عفك أحَدَ بنى عَمْرو بن عوف ثم من [بنى] عُبَيْدة ، وكان قد نَجَمَ(٢)

(١) فى نسخة أوربة « عبد الله بن حسين » وليست بشىء ، وهو عبد الله ابن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب أبو محمد المدنى ، وأمه فاطمة بنت الحسين بن على ، وهى ابنة عم أبيه ، وهو يروى عن أبيه وعن أمه ، ويروى عنه يزيد بن الهاد وليث بن أبى سليم ومالك والثورى ، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم ، ومات سنة خمس وأربعين ومائه

(٢) نجم نفاقه : ظهر وبدا

نفاقهُ حين قتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الْحرِثَ بن سُوَيْد بن صَامت ، فقال :

لَقَدْ عِشْتُ دَهْراً وَمَا إنْ أرَى مِنَ النَّاسِ دَاراً وَلاَ مَجْمَعَا
أَبَرَّ عُهُوداً وَأَوْفَى لِمَنْ يُعَاقَدُ فِيهِمْ إِذَا مَادَعَا
مِنَ أوْلاَدِ قَيْلَةَ فِي جَمْعِهِمْ يَهُدُّ الجِبَالَ وَلَنْ يَخْضَعَا
فَصَدَّعَهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُمْ حَلاَلٌ حَرَامٌ لَشَتَّى مَعَا
فَلَوْ أَنَّ بِالْعِزِّ صَدَّقْتُمُ أَوِ الْمُلْكِ تَابَعْتُمُ تُبَّعَا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لِي بِهٰذَا الْخَبِيث ؟ » فخرج سالم بن عمير أخو بنى عَمْرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ، فقالت أمامة الْمُزَيْرِيَّة فى ذلك : —

تُكَذِّبُ دِينَ اللهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدَا
لَعَمْرُ الَّذِى أَمْنَاكَ أَنْ بِئْسَ مَا يَمْنِي(١)
حَبَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَعْنَةً
أَبَا عَفَكٍ خُذْهَا عَلَى كِبَرِ السِّنِّ(٢)

غزوة عُمَيْر بن عَدِيٍّ [الْخَطْمِيّ] لقتل عَصْمَاء بنت مَرْوَان

وغزوة عُمَيْر بن عدى الخَطْمِىّ عَصْمَاءَ بنتَ مروان ، وهى من بنى أمية بن زيد ، فلما قُتِلَ أبو عَفَكٍ نافقت .

دواعى قتل عصماء بنت مروان

فذكر عبد الله بن الحرث بن الفُضَيْل ، عن أبيه ، قال : وكانت

---

(١) أمناك : أنساك ، قاله أبو ذر ، وعندنا أن خيرا من ذلك أن يكون أمناك بمعنى بلاك ، وقولها « مايمنى » فى آخر البيت هو مضارع هذا الفعل

(٢) حباك : منحك وأعطاك ، وحنيف : مسلم ، وأصل الحنيف المائل فقيل للمسلم حنيف ، لأنه مال عن الشرك وسوء الأخلاق وانحرف

تحت رجل من بنى خَطْمة يقال له : يزيد بن زيد ، فقالت تعيبُ الإسلام وأهله : —

بِاسْتِ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّبِيتِ وَعَوْفٍ وَبِاسْتِ بَنِي الْخَزْرَجِ

أَطَعْتُمْ أَتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلاَ مِنْ مُرَادٍ وَلاَ مَذْحِجِ (١)

تُرَجُّونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرُّؤُسِ كَمَا يُرْتَجَى مَرَقُ الْمُنْضَجِ (٢)

أَلاَ أَنِفٌ يَبْتَغِى غِرَّةً فَيَقْطَعَ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجِى (٣)

[قال :] فأجابها حسان بن ثابت ، فقال : —

بَنُو وَائِلٍ وَبَنُو وَاقِفٍ وَخَطْمَةَ دُونَ بَنِي الْخَزْرَجِ

مَتَى مَادَعَتْ سَفَهًا وَيْحَهَا بِعَوْلَتِهَا وَالْمَنَايَا تَجِى (٤)

فَهَزَّتْ فَتًى مَاجِدًا عِرْقُهُ كَرِيمَ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ

فَضَرَّجَهَا مِنْ نَجِيعِ الدِّمَا ءِ بَعْدَ الْهُدُوِّ فَلَمْ يَحْرَجِ (٥)

رسول الله يأمر بقتل عصماء بنت مروان

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين بلغه ذلك — : « أَلاَ آخِذٌ لِى مِنَ ابْنَةِ مَرْوَان » فسمع ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمَيْرُ بن عَدِىٍّ الْخَطْمِى ، وهو عنده ، فلما أمسى من تلك الليلة سَرَى عليها فى بيتها ، فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) الأتاوى : الغريب ، ومراد ومذحج : قبيلتان من قبائل اليمن

(٢) الرؤس : أشراف القوم

(٣) الأنف — بفتح الهمزة وكسر النون — الذى يترفع عن الشىء ويكبر نفسه عنه ، والغرة : الغفلة ، وقد روى « ألا أنف يبتغى عزة »

(٤) العولة — بفتح العين المهملة وسكون الواو — المرة من العويل ؛ وهو البكاء مع ارتفاع صوت ، وتجى فى آخر البيت أصله تجىء بالهمز فخففه بحذفها

(٥) ضرجها : لطخها ، والنجيع هنا : الكثير ، وبعد الهدو : أى بعد ساعة من الليل ، وقوله « لم يحرج » هو من الحرج وهو الإثم

فقال : يارسول الله ، إنى قد قتلتها ، فقال : « نَصَرْتَ اللهَ وَرَسُولَهُ يَا عُمَيْرُ » فقال : هل علىَّ شىء من شأنها يارسول الله ؟ فقال : « لاَ يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ [١] » فرجع عمير إلى قومه و بنو خَطْمَةَ يومئذ كَثِيرٌ مَوْجُهُمْ [٢] فى شأن بنت مروان ، ولها يومئذ بَنُونَ خَمْسَةَ رجال ، فلما جاءهم عُمَيْر بن عدىٍّ من عند رسول صلى الله عليه وسلم قال: يابنى خَطْمَةَ ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعا ثم لاتُنْظِرُون

كان قتل عصماء عزاً للاسلام بين بنى خطمة

فذلك اليوم أول ماعَزَّ الاسلام فى دار بنى خَطْمة ، وكان يستخفى باسلامه فيهم مَنْ أسلم ، وكان أول من أسلم من بنى خَطْمة عُمَيْرُ بن عَدِىٍّ ، وهو الذى يدعى القارىء ، وعبدالله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت؛ وأسلم يوم قتلت ابنة مروان رجال من بنى خطمة لما رأوه من عِزّ الاسلام

أسر ثُمَامة بن أُثَال الحنفى ، و إسلامه [بعد امتنان رسول الله صلى الله عليه وسلم]

والسَّرِيَّة التى أسرت ثُمَامة بن أُثَالٍ الحنفى

بلغنى عن أبى سعيد المَقْبُرِى ، عن أبى هريرة ، أنه قال : خَرَجَتْ خيلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت رجلا من بنى حنيفة لاَيَشْعُرُون مَنْ هو ، حتى أَتَوْابه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أَتَدْرُونَ مَنْ أَخَذْتُمْ ؟ هٰذَا ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ الحَنَفِيُّ ، أَحْسِنُوا إِسَارَه »

إكرام النبى لثمامة ابن أثال وقد جىء به أسيرا

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال : « اجْمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ فَابْعَثُوا بِهِ إليه » وأمر بِلِقْحَتِهِ أن يُغْدى عليه بها

---

(١) وله صلى الله عليه وسلم « لاينتطح فيها عنزان » معناه أن شأن قتلها هين لايكون فيها طلب ثأر ولا اختلاف

(٢) كثير موجهم : أراد به اختلاط كلامهم .

ويراح ، فجعل لايقع من ثمامة موقعا ، ويأتيه رسول الله صلى عليه وسلم فيقول : « أَسْلِمْ يَا ثُمَامَةُ » فيقول : إيهاً [1] يامحمد ، إنْ تَقْتُلْ تقتل ذا دَمٍ وانْ تُرِدِ الْفِدَاءَ فَسَلْ ماشئت ، فمكث ماشاء الله أن يمكث ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يوما : « أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ » فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع ، فتطهر فأحسن طهوره ، ثم أقبل فبايع النبى صلى الله عليه وسلم على الاسلام ، فلما أمسى جاؤه بما كانوا يأتونه به من الطعام فلم يَنَلْ منه إلا قليلا ، وباللِّقْحَة فلم يصب من حِلابها إلا يسيرا ، فعجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : « مِمَّ تَعْجَبُونَ ؟ أمِنْ رَجُلٍ أَكَلَ أَوَّلَ النَّهَارِ فِي مِعَي كَافِرٍ وَأَكَلَ آخِرَ النَّهَارِ فِى مِعَي مُسْلِمٍ ؟ إنَّ الْكَافِرَ يَأْكُلُ فِى سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ ، وَإِنَّ الْمُسْلِمَ يَأْكُلُ فِى مِعًى وَاحِدٍ »

ثمامة بن أثال أول من دخل مكة يلبى

قال ابن هشام : فبلغنى أنه خرج مُعْتَمِرا حتى إذا كان ببطن مكة لَبَّى فكان أول من دخل مكة يلبى ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اجترأت علينا ، فلما قدموه ليضربوا عنقه قال قائل منهم : دَعُوه فانكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم ؛ فَخَلَّوْهُ ، فقال الحنفى فى ذلك : —

وَمِنَّا الَّذِى لَبَّى بِمَكَّةَ مُعْلِناً
بِرَغْمِ أَبِي سُفْيَانَ فِى الْأَشْهُرِ الْحُرُمْ

وحُدِّثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلَّم حين أسلم : لقد كان وجهك أبْغَضَ الوجوه إلىَّ ، ولقد أصبح وهو أحَبُّ الوجوه إلى ، وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك ، ثم خرج معتمرا ، فلما قدم مكة قالوا : أصبوتَ يا ثمام ؟ فقال : لاولكنى اتَّبَعْتُ خير الدين دينَ محمد ، ولا والله لاتصل

(١) إيها : قال الخليل هى كلمة بمعنى حسبك

ثمامة يقطع عن أهل مكة الحب فيأمره النبي أن يخلي بينهم وبينه

إليكم حَبَّةٌ من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنك تأمر بِصِلَةِ الرَّحِم، وإنك قد قَطَعْتَ أرحامنا [وقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع] فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يُخَلِّى بينهم وبين الحَمْل

سرية عَلْقَمَة بن مُجَزِّز [ولم يَلْقَ كَيْدًا]

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مُجَزِّز

لما قُتل وَقَّاص بن مُجَزِّز المُدْلِجِيُّ يوم ذى قرد، سأل علقمة بن مُجَزِّز رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه فى آثار القوم ليدرك ثأره فيهم

فذكر عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن عمر ابن الحكم بن ثَوْبَان، عن أبى سعيد الخُدْرى، قال: بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلْقَمَةَ بن مُجَزِّز، قال أبو سعيد الخدرى: وأنا فيهم، حتى إذا بلغنا رأس غَزَاتنا، أو كنا ببعض الطريق، أذن لطائفة من الجيش، واستعمل عليهم عبدَ الله بن حُذَافة السَّهْمِيَّ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت فيه دُعَابة، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ثم قال للقوم: أليس لى عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى، قال: أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه؟ قالوا: نعم، قال: فانى أعزم عليكم بحق وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار، قال: فقام بَعْضُ القوم يَحْتَجِزُ حتى ظن أنهم واثبون فيها، فقال لهم: اجلسوا، فإنما كنت أضحك معكم، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَمَرَكُمْ [منهم] بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تُطِيعُوهُ»

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مُجَزِّز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيداً

سرية كُرْز بن جابر لقتل الْبَجَلِيّين الذين قتلوا يَسَاراً

[وبعث كرز بن جابر]

حدثنى بعض أهل العلم، عمن حدثه، عن محمد بن طلحة، عن عثمان ابن عبد الرحمن، قال: أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عَبْدًا يقال له يسار، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لِقَاحٍ له كانت تَرْعَى [فى] ناحية الْجَمَّاءِ [1] فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كُبَّةَ [2] من بَجِيلة، فاسْتَوْبَؤُا [3] وطُحِلُوا [4] فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى اللِّقَاحِ [5] فَشَرِبْتُمْ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا » فخرجوا إليها، فلما صَحُّوا وانطوت بطونهم [6] عَدَوْا على راعى

---

(١) وقع فى بعض نسخ الأصل « فى ناحية الحمى » والذى أثبتناه أوثق، والجماء - بفتح الجيم وتشديد الميم وآخره همزة - جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف، وقال أبو القاسم محمود بن عمر: الجماء جبيل بالمدينة، سميت بذلك لأن هناك جبلين هى أقصرهما فكأنها جماء، وفى كتاب أبى الحسن المهلبى: الجماء اسم هضبة سوداء، قال: وهما جماوان يعنى الهضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة، قال حسان بن ثابت: -

وَكَانَ بِأَكْنَافِ الْعَقِيقِ وَبِيدِهِ ... يَحُطُّ مِنَ الْجَمَّاءِ رُكْنًا مُلَمْلَمَا

(٢) قيس كبة: قبيلة من بجيلة

(٣) استوبؤا: هو من الوباء، وهو كثرة الأمراض

(٤) طحلوا - بالبناء للمجهول - أى أصابهم وجع الطحال وعظمه

(٥) اللقاح: الابل ذوات اللبن، واحدها لقحة

(٦) انطوت بطونهم: صار فيها طرائق الشحم وعكنه

رسول الله صلى الله عليه يَسَارٍ فذبحوه،وغرزوا الشوك فى عينيه ، واستاقوا اللقاح ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كُرْزَ بن جابر ، فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَهُ من غزوة ذى قرد ، فقطع أيديهم وأرجلهم وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ (١)

غزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن

وغزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن ، غزاها مرتين

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب إلى اليمن و بعث خالد بن الوليد فى جند آخر ، وقال : « إنِ الْتَقَيْتُمَا فالأمير على بن أبى طالب» وقد ذكر ابن إسحق بَعْثَ خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكره فى عدة البعوث والسرايا ، فينبغى أن تكون العدة فى قوله تسعا وثلاثين

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فِلَسْطِين ، وهو آخر البعوث

قال ابن إسحق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسَامَةَ بن زيد ابن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطىء الخيل تخُومَ الْبَلْقَاء وَالدَّارُومَ من أرض فِلَسْطين ، فتجَهَّز الناس ، وأوْعَبَ مع أسامة المهاجرُون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابتداء شَكْوَى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فبينا الناس على ذلك ابْتُدِىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بشَكْوَاه الذى قَبَضَهُ الله فيه إلى ما أراد [به] من كرامته

---

(١) سمل عيونهم : فقأها

ورحمته ، فى ليال بَقينَ من صفر ، أوفى أول شهر ربيع الأول ، وكان أول ما ابتدىء به من ذلك — فيما ذُكِر لى — أنه خرج إلى بَقيع الغَرْقد من جَوْف الليل فاستَغْفَرَ لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابْتُدِىء بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن عمر ، عن عُبَيد بن جُبَيْر مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مُوَيْهِبَة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جَوفِ الليل ، فقال : « يَا أَبَا مُوَيْهِبَة ، إنّى قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأَهْلِ هٰذَا الْبَقِيعِ ، فَانْطَلِقْ مَعِى » فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ ، لِيَهْنِىءْ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ ، أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا ، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى » ثم أقبل على فقال : « يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيتُ مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلدَ فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة » قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ؛ فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : « لا ، والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة » ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وَجَعُهُ الذى قبضه الله فيه

خروج النبى ليلا إلى البقيع واستغفاره لأهله

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدنى وأنا أجدُ صُدَاعًا فى رأسى ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : « بَلْ أَنَا وَاللهِ يَا عَائِشَةُ وَارَأْسَاه » قالت : ثم قال : « وما ضرك لو مُتِّ قَبْلِى فقُمْتُ عليك وكَفَّنْتُكِ وصليت عليك ودفنتك » قالت : قلت :

والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتى فأعْرَسْت فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَتَتَامَّ به وجعه وهو يدور على نسائه ، حتى اسْتَعَزَّ به [1] وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن [فى] أن يمرض فى بيتى ، فأذِنَّ له

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم [أمهات المؤمنين]

عدة أزواجه صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وكُنَّ تسعاً : عائشة بنت أبى بكر ، وحَفْصَة بنت عمر بن الخطاب ، وأمُّ حَبيبة بنت أبى سفيان بن حَرْب ، وأمُّ سَلَمَة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وسَوْدَة بنت زَمْعَة بن قيس ، وزينب بنت جَحْش ابن رئاب ، وَمَيْمُونة بنت الحرث بن حَزْن ، وجُوَيْرِية بنت الحرث بن أبى ضرار ، وَصَفِيَّة بنت حُيَيّ بن أخطب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم ، وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثَلَاثَ عَشْرَةَ

خديجة بنت خويلد

خَدِيجَةُ بنت خويلد : وهى أول من تَزَوَّج ، زَوَّجَهُ إياها أبوها خُوَيْلِد ابن أسد ، ويقال : أخوها عَمْرو بن خُوَيْلد ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرَةً ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَدَهُ كُلَّهُمْ ، إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبى هَالَةَ بن مالك أحد بنى أُسَيد ابن عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدار ، فولدت له هِنْدَ بن أبى هَالَةَ ، وزينب بنت أبى هالة ، وكانت قبل أبى هالة عند عُتَيِّق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله وجارية

عائشة بنت أبى بكر

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائِشَةَ بنتَ أبى بكر الصديق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وَبَنَى بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين

(١) استعزبه : اشتد عليه وغلبه على نفسه ، وتقول : عزه يعزه ، إذا غلبه ، ومنه قوله تعالى : (وعزنى فى الخطاب)

أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكْرًا غيرها ، زَوَّجَه إياها[أبوها] أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم

سودة بنت زمعة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى ، زَوَّجَه إياها سليط بن عمرو ، ويقال : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم

قال ابن هشام : ابنُ إسحقَ يخالفُ هذا الحديث ، يذكر أن سليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت ، وكانت قبله عند السَّكْرَان بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حسل

زينب بنت جحش

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْنَبَ بنت جَحْش بن رئاب الأسدية ، زَوَّجَه إياها أخوها أبو أحمد بن جَحْش ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : (٣٣ : ٣٧) (فلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَا كَهَا)

أم سلمة هند بنت أبي أمية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّ سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ، زَوَّجَه إياها سَلَمَةُ بن أبى سَلَمَةَ ابْنُهَا ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فِرَاشاً حَشْوُهُ ليفٌ وقَدَحًا وَصَحْفَةً ومِجَشَّةً[1] وكانت قبله عند أبى سَلَمَةَ بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له : سلمة ، وعمر ، وزينب ، ورُقَيَّة

---

(١) المجشة : أراد بها الرحى ، وهى اسم آلة الجش ، تقول : جششت الطعام - من باب نصر - إذا طحنته طحنا غليظا ، ومنه الجشيش والجشيشة

حفصة بنت عمر

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفْصَةَ بنت عُمَرَ بن الخطاب زوجه إياها أبوها عمر [بن الخطاب] رضى الله عنه ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند خُنَيْس بن حُذَافة السَّهْمى

أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّ حبيبة . واسمها رَمْلَةُ ، بنتَ أبى سفيان بن حرب ، زَوَّجَه إياها خالدُ بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشىُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عُبَيْد الله بن جَحْش الأسدى

جويرية بنت الحارث

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جُوَيْرِيَةَ بنت الحرث بن أبى ضِرَار الْخُزَاعية ، كانت فى سبايا بنى الْمُصْطَلَق من خُزَاعة ، فوقعت فى السَّهْم لثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس الأنصارى ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها ، فقال : « هَلْ لَكِ فِى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكِ » ؟ قالت : وماهو ؟ قال : « أَقْضِى عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ » فقالت : نعم ، فتزوجها

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زيادُ بن عبد الله [الْبَكَّائى] ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى الْمُصْطَلَق ومعه جُوَيْرِية بنت الحرث فكان بذات الْجَيْش دفع جويريةَ إلى رجل من الأنصار وديعةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه سلم المدينة ، فأقبل أبوها الحرث بن أبى ضِرَار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء فرغبَ فى بعيرين منها ، فغَيَّبَهُمَا فى شِعْب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبي صلى الله

عليه وسلم ، فقال : يامحمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللَّذَانِ غَيَّبْتَ بِالْعَقِيقِ فِى شِعْبِ كَذَا وَكَذَا » ؟ فقال الحرث : أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله صلى الله عليك ، فوالله مااطلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحرث وأسلم معه ابنان له وناس [كثير] من قومه ، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودُفعت إليه ابنته جُوَيْرِيَةُ ، فأسلمت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال : اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس ، فأعتقها ، وتزوجها ، وأصدقها أربعمائة درهم

صفية بنت حيى ابن أخطب

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيةَ بنت حُيَيِّ بن أَخْطَب ، سَبَاها من خَيْبَرَ ، فاصطفاها لنفسه ، وأَوْلَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَليمةً مافيها شَحْمٌ ولا لحم ، كان سويقا وتمراً ، وكانت قبله عند كِنَانَةَ ابن الربيع بن أبي الْحُقَيْق .

ميمونة بنت الحارث

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مَيْمُونَةَ بنت الحرث بن حَزْن بن بَحِيْر بن هُزَمَ بن رُؤَيْبَةَ بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زَوَّجَه إياها العبَّاسُ بن عبد المطلب ، وأصدقها العباسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند أبي رُهْم بن عبد الْعُزَّى بن أبي قَيْس بن عبد وُدٍّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، ويقال : إنها التي وَهَبَتْ نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خِطْبَةَ النبي صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهي على بعيرها ،

فقالت : البعير وماعليه لله ولرسوله ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (٣٣ : ٥٠) (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ [إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا]) ويقال : إن التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم زَيْنَبُ بنت جَحْش ، ويقال : أم شريك غَزِيَّةُ بنت جابر بن وَهْب من بنى مُنْقِذ بن عَمْرو بن مَعِيص بن عامر بن لؤى ، ويقال : بل هى امرأة من بنى سَامَةَ بن لُؤَى فأَرْجَأَهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم

زينب بنت خزيمة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْنَبَ بنت خُزَيْمَةَ بن الحرث ابن عبد الله بن عَمْرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تُسَمَّى أمَّ المساكين ، لرحمتها إياهم ورقتها عليهم ، زوجه إياها قَبِيصَةُ بن عمرو الهلالى ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند عُبَيْدَةَ بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عُبَيْدَةَ عند جَهْم بن عمرو بن الحرث ، وهو ابن عمها

فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إحدى عشرة

فمات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خُوَيْلد ، وزينب بنت خُزَيمة ، وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث

لم يدخل النبى باثنتين من زوجاته

وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النُّعْمَان الكِنْدِيَّة ، تزوجها فوجد بها بَيَاضاً ، فمتَّعَهَا وَرَدَّها إلى أهلها ، وَعَمْرَة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنِيعٌ عائذُ اللهِ» فردها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِنْدِيَّةٌ بنتُ عمٍّ لأسماء بنت النعمان ،

ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها فقالت : إنا قوم نُؤْتَى ولا نأتِى ، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها

القرشيات منهن

القرشيات من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ست : خديجة بنت خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى ، وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قُحَافَةَ بن عامر بن عَمْرو بن كَعْب ابن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لؤى، وحَفْصَةُ بنت عُمَرَ بن الخطاب ابن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن عبدالله بن قُرْط بن رياح بن رِزاح بن عدىّ بن ابن كعب بن لؤى ، وأمُّ حبيبة بنت أبى سفيان بن حَرْب بن أمية بن عبدشمس بن عبد مناف بن قصىّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وأُم سَلَمَةَ بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مَخْزُوم بن يَقَظَة بن مرة ابن كعب بن لؤى ، وسَوْدَة بنت زَمْعَةَ بن قيس بن عبد شمس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى

العربيات منهن

والعربيات غيرهن سبع : زَيْنَبُ بنت جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر ابن صَبْرَة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، ومَيْمُونَةُ بنت الحرث بن حَزْن بن بَحير بن هُزَمَ بن رُوَيْبَةَ بن عبد الله بن هلال ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بَكر بن هوازن بن منصور بن عِكْرِمة ابن خَصَفَةَ بن قيس بن عيلان ، وزَيْنَبُ بنت خُزَيْمَةَ بن الحرث بن عبد الله بن عَمْرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وَجُوَيْرِية بنت الحرث بن أبى ضِرار الْخُزَاعِيةَّ ثم الْمُصْطَلَقية، وأسماء بنت النعمان الـكِنْدِية ، وَعَمْرَة بنت يَزِيدَ الـكلابية

شكوى النبى

ومن غير العربيات: صَفِيَّةُ بنت حُيَىِّ بن أَخْطَبَ من بنى النضير

تمريض النبى فى منزل عائشة

عدنا إلى ذكر شَكْوَى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق: حدثنى يعقوب بن عُتْبَة ، عن محمد بن مُسْلِم الزهرى ؛

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يَمْشِي بين رَجُلَيْن من أهله : أحدهما الفضل بن عبـاس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسَهُ تَخُطُّ قدماه ، حتى دخل بيتي ، قال عبيد الله : فحدثت هذا الحديث عَبْدَ الله بن عباس ، فقال : هل تدرى مَن الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا ، قال : على بن أبي طالب ، ثم غُمِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَاشْتَدَّ [به] وَجَعُهُ ، فقال : «هَرِيقُوا عَلَيَّ سَبْعَ قِرَبٍ مِنْ آبَارٍ شَتَّى حتَّى أَخْرُجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعْهَدَ إِلَيْهِمْ » قالت : فأقعدناه في مِخْضَبٍ لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء ، حتى طفق يقول : « حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ »

النبي ينعى نفسه للمسلمين

قال ابن إسحق : وقال الزُّهْرِيُّ : حدثني أيوب بن بشير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسَهُ حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صَلَّى على أصحاب أُحُدٍ ، واستغفر لهم ؛ فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : « إِنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ الدُّنْيَا [والآخرة] وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ » قال : ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يريد ، فبكى ، وقال : بل نحن نَفْدِيك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : « عَلَى رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ » ثم قال : « انْظُرُوا هٰذِهِ الأَبْوَابَ اللاَّفِظَةَ فِي الْمَسْجِدِ (١) فَسُدُّوهَا إِلاَّ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ فَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ أَحَداً كَانَ أَفْضَلَ فِي الصُّحْبَةِ عِنْدِي يَدًا مِنْهُ »

قال ابن هشام : ويروى إلاَّ بَابَ أبي بكر

قال ابن إسحق : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل [أبي] سعيد بن المعلى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ في كلامه

(١) اللافظة في المسجد : أي النافذة إليه

هذا « فإنِّى لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ الْعِبَادِ خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، وَلٰكِنْ صحبةٌ وإخاءُ إيمانٍ حَتَّى يَجْمَعَ الله بَيْنَنَا عِنْدَهُ »

رسول الله يأمر بانفاذ بعث أسامة

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناسَ فى بعث أسامة وهو فى وَجَعِه ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناسُ قالوا فى إِمْرَة أُسامة : أَمَّرَ غُلاَمًا حَدَثًا على جِلَّة المهاجرين والأنصار ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : « أَيُّهَا الناس ، أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسامَة ، فَلَعَمْرِى لَئِنْ قُلْتُمْ فِى إِمَارَتِه لَقَدْ قُلْتُمْ فِى إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ لِلْإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَخَلِيقاً لَهَا » قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكمش الناس فى جهازهم ، واستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج بجيشه معه ، حتى نزلوا الْجُرْفَ من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتامَّ إليه الناس ، وثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قَاضٍ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصية رسول الله بالانصار

قال ابن إسحق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلى وَاسْتَغْفَرَ لأصحاب أُحُدٍ وذكر من أمرهم ماذكر مع مقالته يومئذ : « يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، اسْتَوْصُوا بالْأَنْصَارِ خَيْرًا فَإِنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ وَإِنَّ الْأَنْصَارَ عَلَى هَيْئَتِهَا لا تَزِيدُ وَإِنَّهُمْ كَانُوا عَيْبَتِى الَّتِى أَوَيْتُ إِلَيْهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتامَّ به وَجَعُه حتى غُمِر [١] .

(١) غمر ـ بالبناء للمجهول ـ أصابته غمرة المرض

أرادوا أن يلدوا النبي فتألم

فاجتمع إليه نساء من نسائه أمُّ سلمة وميمونةُ ونساء من نساء المسلمين منهن أسْماء بنت عُمَيْس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا [على] أن يَلُدُّوه (١) وقال العباس: لَأَلُدَّنَّه، قال: فَلَدُّوه فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَنَعَ هٰذَا بِي»؟ قالوا: يارسول الله عمك، قال: «هٰذَا دَوَاءٌ أَتَى بِهِ نِسَاءٌ جِئْنَ مِنْ نَحْوِ هٰذِهِ الْأَرْضِ» وأشار نحو أرض الحبشة، قال: «وَلِمَ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ»؟ فقال عمه العباس: خشينا يارسول الله أن يكون بك ذات الْجَنْبِ، فقال: «إِنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ مَا كَانَ اللهُ لِيَقْذِفَنِي بِهِ، لاَ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا لُدَّ إِلَّا عَمِّي» فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ عقوبةً لهم بما صنعوا به

دعاء رسول الله لأسامة بالإشارة

قال ابن إسحق: وحدثني سعيد بن عُبَيْد بن السَّبَّاق، عن محمد ابن أسامة، عن أبيه أسامة بن زيد، قال: لما ثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هَبَطْتُ وهبط الناسُ معى إلى المدينة، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أُصْمِتَ فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليَّ فأعرف أنه يدعو لى

النبي يختار الآخرة على الدنيا

قال ابن إسحق: وقال ابن شهاب الزهرى: حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه يقول: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى يُخَيِّرَهُ» قالت: فلما حُضِر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول: «بَلِ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ» قالت: قلت: إذاً والله لايختارنا، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا «إن نبيا لم يُقْبَضْ حتى يُخَيَّر»

---

(١) تقول: لددت المريض ـ من باب نصر ـ إذا جعلت الدواء فى شق فمه، واللدود ـ بفتح أوله ـ ما يسقاه المريض فى أحد شقى فمه، ولديدا الفم: جانباه.

صلاة أبى بكر رضى الله عنه بالناس

قال الزهرى : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت : لما اسْتَعَزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مُرُوا أبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » قالت : قلت : يانبى الله ، إن أبا بكر رجلٌ رقيق ضعيفُ الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن ، قال : « مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » قالت : فعدت بمثل قولى ، فقال : « إنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ فَمُرُوهُ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » قالت : فوالله ماأقول ذلك إلا أنى كنت أحبُّ أن يُصْرَف ذلك عن أبى بكر ، وعرفت أن الناس لايُحِبُّون رجلا قام مقامه أبدًا ، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر

عمر يصلى بالناس فيأبى ذلك النبى ويسأل عن أبى بكر

قال ابن إسحق : وقال ابن شهاب : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَة بن الأسود ابن المطَّلب بن أسد ، قال : لما اسْتَعَزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بِلَالٌ إلى الصلاة ، فقال : « مُرُوا مَنْ يُصَلِّى بالناس » قال : فخرجت فاذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : قُمْ ياعمر فصَلِّ بالناس ، قال : فقام ، فلما كَبَّر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مُجْهِرًا [1] قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ ؟ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ ، يأبى الله ذلك والمسلمون » قال : فبعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس ، قال : قال عبد الله بن زمعة : قال لى عمر : وَيْحَكَ ! ! ماذا صَنَعْتَ بى يا ابن زَمْعَةَ ؟ والله ماظننتُ حين أَمَرْتَنى إلا أن رسول

---

(١) مجهرا : أى رفيع الصوت ، وأصله الجهارة ، وهى ارتفاع الصوت

الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس ، قال : قلت : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقَّ من حضر بالصلاة بالناس

خروج النبي صبيحة اليوم الذى مات فيه

قال ابن إسحق : وقال الزهرى : حدثنى أنس بن مالك ، أنه لما كان يوم الاثنين الذى قَبَض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس وهم يصلون الصُّبْح ، فرفع الستر وفتح الباب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يَفْتَتِنُونَ فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فَرَحًا به ، وَتَفَرَّجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ، قال : وتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم سُرُورًا لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أَحسن هيئةً منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع ، وانصرف الناس ، وهم يُرَوْنَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفْرَقَ من وَجَعِهِ [(١)] ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح [(٢)]

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث ، عن القاسم ابن محمد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : « أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ ؟ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ » فلولا مَقَالةٌ قالها عمر عند وفاته لم يَشُكَّ المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته . إنْ أَسْتَخْلِفْ فقد

(١) أفرق من وجعه : برى واستبل ، تقول : أفرق المريض ، إذا أبل من مرضه

(٢) السنح - بضم فسكون - موضع كان لأبى بكر رضى الله عنه فيه مال وكان ينزله بأهله

اسْتَخْلَفَ مَنْ هو خير منى ، وإن أَتْرُكْهُمْ فقد تركهم من هو خير منى، فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا،وكان عمر غَيْرَ مُتَّهَمٍ على أبى بكر

خروج النبي صبيحة الاثنين وصلاته بجنب أبى بكر

قال ابن إسحق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مُلَيْكة ، قال : لما كان يومُ الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه إلى الصُّبح، وأبو بكر يُصَلِّى بالناس ، فلما خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم تَفَرَّجَ الناسُ ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يَصْنَعُوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَنَكَصَ عن مُصَلَّاه ، فدفع رسولُ الله صلي الله عليه وسلم فى ظهره ، وقال : « صَلِّ بِالنَّاسِ » وجَلَسَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنْبه ؛ فَصَلَّى قاعداً عن يمين أبى بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلَّمهم رافعًا صَوْتَهُ ، حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : « أَيُّهَا النَّاسُ ، سُعِّرَتِ النَّارُ وَأَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَإِنِّى وَاللهِ مَا تَمَسَّكُونَ عَلَىَّ بِشَىْءٍ ، إِنِّى لَمْ أُحِلَّ إلاَّ مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ وَلَمْ أُحَرِّمْ إِلاَّ مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ » قال : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كلامه قال له أبو بكر : يانبى الله، إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله وَفَضْلٍ كما نُحِبُّ وَالْيَوْمُ يومُ بنت خارجةَ أفآتيها ؟ قال : «نَعَمْ» قال : ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح

شأن العباس وعلى بن أبى طالب

قال ابن إسحق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ علىٌّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : ياأبا حسن ، كَيْفَ أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، قال : فأخذ العباسُ بيده ، ثم قال : ياعلى ، أنت والله

عَبْدُ العصا ، بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفْتُ الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كنْتُ أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن كان هذا الأمر فينا عَرَفْنَاه ، وإن كان فى غيرنا أَمَرْنَاه فأوصى بنا النَّاسَ ؛ قال : فقال له على : إنى والله لا أفعل ، والله لئن مَنَعنَاه لا يُؤْتيناهُ أحدٌ بعده

فتُوُفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين اشْتَدَّ الضُّحَاء من ذلك اليوم .

استياك النبى قبيل وفاته

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبَةَ ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة . قال : قالت : رَجَعَ [إلىَّ] رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد فاضطجع فى حَجْرِى ، فدخل علىَّ رجلٌ من آل أبى بكر وفى يده سِوَاكٌ أخضر ، قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظراً عَرَفْتُ أنه يريده ، قالت : فقلت : يارسول الله ، أتحبُّ أن أعطيك هذا السواك ؟ قال : « نعم » قالت : فأخذته فمَضَغْتُه حتى لَيَّنْتُه ، ثم أعطيته إياه ، قالت : فاسْتَنَّ به كأشدّ مارأيته يَسْتَنُّ [1] بسواكٍ قَطُّ ، ثم وضعه ، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَثْقُل فى حجرى ، فذهبت أنظر فى وجهه ، فاذا بَصَرُه قد شَخَصَ ، وهو يقول : « بَلِ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ » قالت : فقلتُ : خُيِّرْتَ فاخْتَرْتَ والذى بَعَثَك بالحق ، قالت : وقُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثنى يَحْيَى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعتُ عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله

(١) فى نسخه « كأشد مارأيته استن بسواك قط »

عليه وسلم بين سَحْرِى وَنَحْرِى (١) وفى دَوْلَتِى (٢) لم أظلم فيه أحدا ، فمِنْ سَفَهِى وَحَدَاثة سنى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قُبِضَ وهو فى حجرى ، ثم وضعت رأسه على وِسَادة وقمت أَلْتَدِمُ (٣) مع النساء وأَضْرِبُ وجهى .

دهشة عمر حين سمع بوفاة رسول الله

قال ابن إسحق : قال الزُّهْرِى : وحدثنى سعيد بن الْمُسَيَّب ، عن أبى هريرة ، قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب فقال : إن رجالاً من المنافقين يَزْعُمُونَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوُفِّى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات ، ولكنه ذَهَبَ إلى ربه كما ذهب موسى بن عِمْرَان ؛ فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات ، والله لَيَرْجِعَنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى فَلَيَقْطَعَنَّ أَيدىَ رجالٍ وَأَرْجُلَهُمْ زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات

رزانة أبى بكر وهدوءه

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد — حين بلغه الخبر — وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شىء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُسَجًّى (٤) فى ناحية البيت عليه بُرْدُ حِبَرَةٍ (٥) فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) السحر : الرئة وما يتصل بها إلى الحلقوم ، وهو بفتح فسكون أو بضم فسكون ، والنحر : أعلى الصدر

(٢) فى دولتى : تريد فى نوبتها التى كانت لها

(٣) ألتدم : أضرب صدرى ، تقول : التدمت المرأة ، إذا ضربت صدرها

(٤) مسجى : مغطى الوجه

(٥) هو ضرب من ثياب اليمن

ثم أقبل عليه فَقَبَّله ، ثم قال : بأبي أنت وأمّي ، أما المَوْتَةُ التي كتب الله عليك فقد ذُقْتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا ، قال : ثم رَدَّ البُرْدَ على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : على رِسْلِكَ يا عمر ، أنْصِتْ ، فَأَبَى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنْصِتُ أقبل على الناس ، فلما سمع الناسُ كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حَيٌّ لا يموت ، قال : ثم تلا هذه الآية (٣ : ١٤٤) : (وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ) قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت ، حتى تلاها أبو بكر يومئذ . قال : وأخذها الناسُ عن أبي بكر ، فانما هي في أفواههم ، قال : فقال أبو هريرة قال عمر : فوالله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فَعُقِرْتُ [1] حتى وقعت إلى الأرض ما تَحْمِلني رِجْلاَيَ ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات

أمر سَقِيفة بني سَاعدَةَ

المسلمون يصيرون ثلاث جماعات

قال ابن إسحق : ولما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحيُّ من الأنصار إلى سَعْد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة ، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر [وعمر] ، وانحاز معهم أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرِ

---

(١) عقرت ـ بالبناء للمجهول ـ دهشت وتحيرت ؛ تقول : عقر الرجل إذا تحير ودهش

فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آتٍ إلى أبى بكر وعمر فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سَعْد بن عُبَادة فى سقيفة بنى ساعدة قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يُفْرَغْ من أمره قد أَغْلَق دونه البابَ أَهْلُه ، قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه

عمر يحدث الناس على المنبر حديث السقيفة

قال ابن إسحق : وكان من حديث السقيفة — حين اجتمعت بها الأنصار — أن عبدَ الله بن أبى بكر حدثنى ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرنى عبدُ الرحمن بن عَوْف ، قال : وكنت فى منزله بمنًى أنتظره وهو عند عمر فى آخر حَجَّة حَجَّها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر فوجدنى فى منزله بمنًى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس : فقال لى عبد الرحمن بن عوف : لو رأيتَ رجلاً أتى أمير المؤمنين فقال : ياأمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، والله ما كانت بَيْعَةُ أبى بكر إلا فَلْتَةً فتمَّتْ ، قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشيةَ فى الناس فمُحَذِّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصِبُوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : ياأمير المؤمنين ، لاتَفْعَلْ ، فإن الموسم يجْمَعُ رعاع الناس وَغَوْغَاءَهُم (١) ، وإنهم هم الذين يغلبون على قُرْبك حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطِيرُ بها أولئك عنك كلَّ مَطِيرٍ ولا يَعُوها ولا يَضَعُوها على

(١) الرعاع : سقاط الناس ، والغوغاء : سفال الناس ، وأصل الغوغاء الجراد ، فشبه سفال الناس به لكثرتهم .

مواضعها ، فأمْهِلْ حتى تَقْدَمَ المدينة ؛ فانها دار السنة ، وتَخْلُصَ بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت بالمدينة متمكِّنًا ؛ فيعى أهل الفقه مَقَالَتَكَ ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لَأَقُومَنَّ بذلك أولَ مَقَامٍ أقومه بالمدينة .

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عَقِبِ ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عَجَّلْتُ الرَّواح حين زالت الشمس ، فأَجدُ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر ، فجاست حَذْوَهُ تَمَسُّ ركبتى ركبته ، فلم أَنْشَبْ أن خرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد : لَيَقُولَنَّ العشيةَ على هذا المنبر مقالةً لم يقلها منذ استخلف ، قال : فأنكرعلىَّ سعيدُ بن زيد ذلك ، وقال : ماعسى أن يقول مما لم يقل قبله ؟ فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال: أما بعد ؛ فانى قائل لكم [اليوم] مقالةً قد قُدِّرَ لى أن أقولها ، ولاأدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عَقَلَهَا ووعاها فليأْخذبها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لايعيها فلايحلُّ لأحد أن يكذب علىَّ ، إن الله بعث محمدا ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أُنزل عليه آية الرجم ، فقرأْناها وعلمناها ووَعَيْنَاها ورَجَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زَمَان أن يقول قائل : والله مانجد الرجم فى كتاب الله ؛ فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أُحصن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة ، أوكان الْحَبَلُ ، أوالاعتراف، ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله لاَ تَرْغَبُوا عن آبائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ، ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتُطْرُونى كما أُطرِىَ عِيسَى بْنُ مَرْيم ، وقولوا عبد الله و رسوله »

آية الرجم كانت فى القرآن

ثم إنه قد بلغنى أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يغُرَّنَّ امرأً أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتَةً فتمَّتْ ، وإنها قدكانت كذلك ، إلاأن الله [قد] وَقَى شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مَشُورَة من المسلمين فإنه لابَيْعَةَ له هو ولا الذى بايعه تَغِرَّةً أن يُقْتَلَا ، إنه كان من خبرنا ــ حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ــ أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سقيفة بنى ساعدة ، وتخلَّفَ عنا علىٌّ بن أبى طالب وَالزُّبَيْر بن الْعَوَّام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نَؤُمُّهُمْ ، حتى لَقِينَا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ما تَمَالأَ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم أن لاتقربوهم يامعشر المهاجرين ، اقْضُوا أمركم ، قال : قلت : والله لَنَأْتِيَنَّهُمْ ، فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فاذا بين ظَهْرَانِيهِمْ رجل مُزَمَّلٌ (١) ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سَعْدُ بن عُبَادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وَجِعٌ ، فلما جلسنا تَشَهَّدَ خطيبهم فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ؛ فنحن أنصارالله ، وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رَهْطٌ منا ، وقد دَفَّتْ دَافَّةٌ (٢) من قومكم ، قال : وإذا هم يريدون أن يَحْتَازُونَا من أصلنا ويَغْصبونا الأمر ، فلما سَكَتَ أردتُ أن أتكلم

---

(١) مزمل : ملتف ؛ تقول : تزمل الرجل ، إذا التف فى كساء أو نحوه ، وقد زملته

(٢) الدافة : الجماعة تأتى من البادية إلى الحاضرة وهى أيضا الجماعة تسير برفق

وقد زَوَّرْتُ[1] [فى نفسى] مقالةً قد أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض[2] الحد ، فقال أبو بكر : على رِسْلِكَ ياعمر ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم وهو كان أعلم منى وأوقر . فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تَزْوِيرى إلا قالها فى بديهته ، أومثلها ،أوأفضل ، حتى سكت ، قال : أما ما ذكرتم فيكم من خَيْرٍ فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش : هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيتُ لكم أحدهذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى و بيد أبى عبيدة بن الجراح وهوجالس بيننا ، ولم أكره شيئاً مما قال غيرها ، كان والله أن أُقَدَّمَ فتضرب عنقى لايُقَرِّبُنى ذلك إلى إثم أحبُّ إلىمن أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، قال : فقال قائل من الأنصار : أنا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ وَعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ[3] منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش ، قال : فكثر اللَّغَط ، وارتفعت الأصوات ، حتى تَخَوَّفْت الاختلافَ ، فقلت : ابْسُطْ يَدَكَ يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونَزَوْنَا على سعد بن عُبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عُبَادة ، قال : فقلت : قتل الله سَعْدَ بن عُبَادة

كلام أبى بكر يوم السقيفة

قال ابن إسحق . قال الزهرى : أخبرنى عروة بن الزبير ، أن أحد الرجلين اللذين لَقُوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُوَيْمُ بن ساعدة ،

---

(١) زورت مقالة : أعددتها وحسنتها فى نفسى

(٢) يريد أنه قد كان فى أخلاقه بعض الحدة فكان جهد عمر أن يداريه

(٣) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود ينصب فى وسط الابل تحتك به وتستريح إليه ، والعرب تضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه ، والعذيق : تصغير عذق ، وهى النخلة نفسها ، والمرجب : الذى تبنى إلى جانبه دعامة لكثرة حمله وعزه على أهله ، ويضرب به المثل فى الرجل الشريف المعظم

والآخر مَعْنُ بن عدى أخو بنى العَجْلاَن ؛ فأما عُوَيْمُ بن ساعدة فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم مَنِ الذين قال الله عز وجل لهم (١٠٨:٩) : (فيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعْمَ الْمَرْءُ مِنْهُمْ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ » وأما مَعْنُ بن عدى فبلغنا أن الناس بَكَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لَوَدِدْنَا أنا مُتْنَا قبله ، إنا نخشى أن نُفْتَنَ بعده ، قال معن بن عدى : لكنى والله ما أُحبُّ أنى مت قبله ، حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا ، فَقُتِلَ معنٌ يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر ، يوم مسيلمة الكذاب

خطبة عمر قبل أبى بكر ثانى يوم استخلافه

قال ابن إسحق : وحدثنى الزهرى ، قال : حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إنى قد كنت قلتُ لكم بالأمس مقالةً ما كانت ، وما وَجَدْتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهداً عَهِدَهُ إلىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت أُرَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَيُدَبِّرُ أمرنا ، يقول : يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هَدَى [الله] رسولَهُ صلى الله عليه وسلم ، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وَإنَّ الله قد جمع أمركم على خيركم صاحبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بَيْعَتَه العامة بعد بيعة السقيفة

خطبة أبى بكر

ثم تكلم أبو بكر ؛ فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ؛ فانى قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فان أَحْسَنْتُ

فأعينونى ، وإن أسأت فقوّمونى ، الصِّدْقُ أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قَوِىٌّ عندى حتى أُريح عليه حَقَّه إن شاء الله ، وَالقوىُّ فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يَدَعُ قومٌ الجهادَ فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، وَلا تَشِيعُ الفاحشة فى قوم قَطُّ إلا عَمَّهُمُ الله بالبلاء ، أطيعونى ماأطعت الله ورسوله ، فاذا عَصَيْتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله

اعتذار عمر لدهشته يوم وفاه النبى

قال ابن إسحق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد إلى حاجة له وفى يده الدِّرَّةُ ومامعه غيرى ، قال : وهو يحدث نفسه ، ويضرب وَحْشِيَّ قَدَمِهِ بدِرَّته ، قال : إذ الْتفت إلىَّ فقال : ياابن عباس ، هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لاأدرى ياأمير المؤمنين . أنت أعلم ، قال : فانه والله إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية (٢ : ١٤٣) : (وَكَذلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُمْ شَهِيدًا) فوالله إن كنت لأَظُنُّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ؛ فانه لَلَّذى حملنى على أَنْ قلت ماقلت

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

قال ابن إسحق : فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء

الذين ولوا غسل النبى صلى الله عليه وسلم

فحدثنى عبد الله بن أبى بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وَقُثَمَ بن العباس

وأسامة بن زيد وَشُقْرَانَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذى وَلُوا غسله ، وأن أوْسَ بن خَوْلِيٍّ أحد بنى عوف بن الخزرج قال لعلي بن أبى طالب : أَنْشُدُكَ الله ياعلى وَحَظَّنَا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : أُدخل ، فدخل فجلس ، وحضر غُسْلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده علىٌّ بن أَبى طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلبونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشُقْرَان مولاه هما اللذان يَصُبَّان الماء ، وعلىٌّ يغسله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يَدْلكه من ورائه ، لايُفْضِى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطْيَبَكَ حَيًّا وميتا !! ولم يُرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء مما يُرَى من الميت

لم يجرد النبي من ثيابه حين غسل

قال ابن إسحق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أَبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه ، فقالوا : والله ماندرى أَنُجَرِّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد مَوْتَانَا أو نغسله وعليه ثيابه ، قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى مامنهم رجل إلا ذَقَنُه فى صدره ، ثم كَلَّمهم مُكَلِّم من ناحية البيت لايدرون من هو أن اغسلوا النبى وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه يَصُبُّون الماء فوق القميص ويدلكونه والقميص دون أيديهم

كفن رسول الله

قال ابن إسحق : فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفِّنَ فى ثلاثة أثواب ثوبين صُحَارِيَّيْن [1] وبُرْدِ حِبَرَةٍ أُدْرِجَ فيه إدراجا ،

---

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار ، وهى بلدة من بلاد اليمن ، ويقال : هى عمان

كما حدثنى جعفر بن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه، عن جده على بن الحسين ، والزهرى عن على بن الحسين

كان لهم فى الدفن طريقتان

قال ابن إسحق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو عبيدة بن الجراح يَضْرَحُ كحَفْر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل هو الذى يَحْفر لأهل المدينة فكان يلحد ، فدعا العباسُ رجلين، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وللآخر : اذهب إلى أبى طلحة ، اللهم خِرْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحبُ أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وُضِعَ على سريره فى بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه ، فقال قائل : ندفنه فى مسجده ، وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قُبِضَ نَبِىٌّ إلاَّ دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ » فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى عليه ، فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلُّون عليه أرْسَالاً ، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أُدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان ، ولم يَؤُمَّ الناسَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد

الصلاة على رسول الله

دفن رسول الله

ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وَسَط الليل ليلة الأربعاء

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة[1] ، عن عائشة رضى

---

(١) فى نسخة أسعد بن زرارة

الله عنها ، قالت : ماعلمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صَوْتَ الْمَسَاحِى من جَوْف الليل من ليلة الأربعاء .

قال محمد بن إسحق : وقد حدثتنى فاطمة هذا الحديث

الذين تولوا دفن رسول الله

قال ابن إسحق : وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، والفضل بن عباس ، وقُثَم بن عباس ، وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال أوس بن خَوْلىٍّ لعلى بن أبى طالب : ياعلى أنشدك الله وحَظَّنَا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شقران — حين وُضِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته و بنى عليه — قد أخذ قطيفة قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها و يفترشها ، فدفنها فى القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً ، قال : فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحدث الناس عهدا برسول الله

وقد كان المغيرة بن شعبة يدعى أنه أَحْدَثُ الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : أخذت خاتمى ، فألقيته فى القبر ، وقلت : إن خاتمى سقط منى ، وإنما طرحته عمداً لأَمَسَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهدا به صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فحدثنى أَبى إسْحٰقُ بن يَسَار ، عن مِقْسَم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحرث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحرث ، قال : اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر ، أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانىء بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع ، فسُكِبَ له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : ياأبا حسن ، جئناك نسألك عن أمر نحبُّ أن تخبرنا عنه ، قال:

أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أَحْدَثَ الناس عهدًا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : أجل ، عن ذلك جئناك نسألك ، قال : أَحْدَثُ الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قُثَمُ بن عباس

قال ابن إسحق : وحدثنى صالح بن كَيْسَان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خَمِيصَةٌ سَوْداء [1] حين اشْتَدَّ به وَجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، و[هو] يقول : « قَاتَلَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يحذر ذلك على أمته

قال ابن إسحق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « لاَ يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ » .

قال ابن إسحق : ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَظُمَت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة — فيما بلغنى — تقول : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارْتَدَّت العرب ، واشْرَأَبَّت اليهودية [2] والنصرانية ، ونجم النفاق [3] وصار المسلمون كالْغَنَمِ الْمطِيرة فى الليلة الشاتية لفَقْد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر

أهل مكة يهمون بالعودة الى الكفر

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم ، أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَمُّوا

(١) الخميصة : كساء أسود ، وهو من لباس الزهاد

(٢) تقول : اشرأب الرجل ، إذا صعد عنقه لينظر

(٣) نجم النفاق : ظهر وبدا

بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عَتَّابُ بن أَسِيد [1] فتَوَارَى ، فقام سُهَيْل بن عمرو ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الاسلام إلا قوة ، فمن رَابنَا ضَرَبْنا عنقه ، فتراجع الناسُ ، وكَفُّوا عما هموا به ، وظهر عَتَّابُ بن أَسِيد ، فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطاب : « إِنَّهُ عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لاَ تَذُمُّهُ » .

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى : —

قصيدة لحسان يرثى بها النبى صلى الله عليه وسلم

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ ... مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ

وَلاَ تَمْتَحِى الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حرْمَةٍ ... بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِى الَّذِى كَانَ يَصْعَدُ

وَوَاضِحُ آثَارٍ وَبَاقِى مَعَالِمٍ ... وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ

بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَا ... مِنَ اللهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ

مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا ... أَتَاهَا الْبِلَى فَالْآىُ مِنْهَا تَجَدَّدُ

عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ ... وَقَبْراً بِهَا وَارَاهُ فِى التُّرْبِ مُلْحِدُ

ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ ... عُيُونٌ وَمِثْلاَهَا مِنَ الْجِفْنِ تُسْعِدُ

---

(١) عتاب بن أسيد : كان والى مكة حين وفاة النبى إمام المتقين صلى الله عليه وسلم

يُذَكِّرْنَ آلاَءَ الرَّسُولِ وَمَا أرَى　　لَهَا مُحْصِياً نَفْسِي فَنَفْسِي تَبَلَّدُ

مُفَجَّعَةٌ قَدْ شَفَّهَا فَقْدُ أَحْمَدٍ　　فَظَلَّتْ لِآلاَءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ

وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ

وَلٰكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ

أَطَالَتْ وُقُوفاً تَذْرِفُ الْعَيْنُ جَهْدَهَا

عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ

فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ

بِلاَدٌ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ

وَبُورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا　　عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدُ

تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنٌ　　عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعُدُ

لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً　　عَشِيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرَى لاَ يُوَسَّدُ

وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ

وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ

يُبَكُّونَ مَنْ تَبْكِي السَّمٰوَاتُ يَوْمَهُ

وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ

وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكٍ

رَزِيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيــهِ مُحَمَّدُ

تَقَطَّعَ فِيهِ مُنْزَلُ الْوَحْيِ عَنْهُمُ　　وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ

يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ

وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ

إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِداً　　مُعَلِّمُ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا

عَفُوٌّ عنِ الزَّلاَّتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللّٰهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرُ مَا يَتَشَدَّدُ
فَبَيْنَاهُمُ فِى نِعْمَةِ اللّٰهِ بَيْنَهُمْ دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لاَ يُثَنِّى جَنَاحَهُ
إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ
فَبَيْنَاهُمُ فِى ذٰلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللّٰهِ رَاجِعًا يُبَكِّيهِ جَفْنُ الْمُرْسَلاَتِ وَيَحْمَدُ
وَأَمْسَتْ بِلاَدُ الْحَرْمِ وَحْشًا بِقَاعُهَا
لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْىِ تَعْهَدُ
قِفَاراً سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا
فَقِيدٌ يُبَكِّيهِ بَلاَطٌ وَغَرْقَدُ
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ خَلاَءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثَمَّ أَوْحَشَتْ
دِيَارٌ وَعَرَصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ
فَبَكِّى رَسُولَ اللّٰهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً وَلاَ أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
وَمَالَكِ لاَتَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِى عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُودِى عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِلِى لِفَقْدِ الَّذِى لاَ مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدَ

وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... وَلاَ مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ ... وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلاً لاَ يُنَكَّدُ
وَأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ ... إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلِدُ
وَأَكْرَمَ صِيتًا فِى الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى ... وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ
وَأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَتَ فِى الْعُلاَ ... دَعَائِمَ عِزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشَيَّدُ
وَأَثْبَتَ فَرْعًا فِى الْفُرُوعِ وَمَنْبِتًا ... وَعُودًا غَذَاهُ الْمُزْنُ فَالْعُودُ أَغْيَدُ
رَبَاهُ وَلِيدًا فَاسْتَتَمَّ تَمَامُهُ ... عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ ... فَلاَ الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلاَ الرَّأْىُ يُفْنَدُ
أَقُولُ وَلاَ يُلْفَى لِقَوْلِىَ عَائِبٌ ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَوَائِى نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ ... لَعَلِّى بِهِ فِى جَنَّةِ الْخُلْدِ أُخْلَدُ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جِوَارَهُ ... وَفِى نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت فى رثاء رسول الله

وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

مَا بَالُ عَيْنِكَ لاَ تَنَامُ كَأَنَّمَا ... كُحِلَتْ مَآقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِىِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا ... يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لاَ تَبْعَدِ
وَجْهِى يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِى لَيْتَنِى ... غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ
بِأَبِى وَأُمِّى مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ ... فِى يَوْمِ الاثْنَيْنِ النَّبِىُّ الْمُهْتَدِى
فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا ... مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِى لَمْ أُولَدِ

أَأُقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ   يَالَيْتَنِي صُبِّحْتُ سُمَّ الْأَسْوَدِ
أَوَحَلَّ أَمْرُ اللهِ فِينَا عَاجِلاً   فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ
فَتَقُومَ سَاعَتُنَا فَنَلْقَى طَيِّباً   مَحْضاً ضَرَائِبُهُ كَرِيمَ الْمَحْتِدِ
يَا بِكْرَ آمِنَةَ الْمُبَارَكَ بِكْرُهَا   وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الْأَسْعُدِ
نُوراً أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا   مَنْ يُهْدَ لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي
يَارَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا   فِي جَنَّةٍ تَثْنِي عُيُونَ الْحُسَّدِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنَا
يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّودَدِ
وَاللهِ أَسْمَعُ مَا بَقِيتُ بِهَالِكٍ   إِلاَّ بَكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
يَاوَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ   بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ
ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحُوا   سُودًا وُجُوهُهُمُ كَلَوْنِ الْإِثْمِدِ
وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ   وَفُضُولَ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ نَجْحَدِ
وَاللهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ   أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةِ مَشْهَدِ
صَلَّى الْإِلٰهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ   وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت فى رثاء رسول الله

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

نَبِّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ
مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمُ سَحَرَا
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي
وَرِزْقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنِسُوا الْمَطَرَا

أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لاَ نَخْشَى جَنَادِعَهُ إِذَا اللِّسَانُ عَتَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثَرَا

كَانَ الضِّيَاءَ وَكَانَ النُّورَ نَتْبَعُهُ بَعْدَ الْإِلٰهِ وَكَانَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَا

فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمَلْحَدِهِ وَغَيَّبُوهُ وَأَلْقَوْا فَوْقَهُ الْمَدَرَا

لَمْ يَتْرُكِ اللهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا

وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ أُنْثَى وَلاَ ذَكَرَا

ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَارِ كُلِّهِمُ وَكَانَ أَمْرًا مِنَ أَمْرِ اللهِ قَدْ قُدِرَا

وَاقْتُسِمَ الْفَيْءُ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمُ وَبَدَّدُوهُ جِهَارًا بَيْنَهُمْ هَدَرَا

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا : —

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت فى رثاء رسول الله

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا

مِنِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرِ إِفْنَادِ

تَاللهِ مَا حَمَلَتْ أُنْثَى وَلاَ وَضَعَتْ مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الْأُمَّةِ الْهَادِي

وَلاَ بَرَى اللهُ خَلْقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ

مِنَ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِرْشَادِ

أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطَّلْنَ الْبُيُوتَ فَمَا يَضْرِبْنَ فَوْقَ قَفَا سِتْرٍ بِأَوْتَادِ

مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسْنَ الْمَبَاذِلَ قَدْ

أَيْقَنَّ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النِّعْمَةِ الْبَادِي

يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهَرٍ

أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمُفْرَدِ الصَّادِي

قال ابن هشام : عجُز البيت الأول عن غير ابن إسحق

وجد بآخر نسخة من الأصول مانصه : وهذا آخر الكتاب ، والحمد لله كثيرا ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الأخيار الراشدين

أنشدنى أبو محمد بن عبد الواحد ، عن محمد بن عبد الرحمن البرقى ، قال : أوعب أبو محمد عبد الملك بن هشام كتاب السيرة وبحضرته رجال من فصحاء العرب فقال :

تَمَّ الكتاب وصار فى العرض عشرين جزءا كلها ترضى
كملت بلا لحن ولا خطل فى الشكل والإعجام والقرض
والحمل حق صح ناقله بعض من العلماء عن بعض

قد تم بحمد الله تعالى وحسن معونته وتوفيقه

طبع الجزء الرابع من كتاب

« سـيرة النبي صلى الله عليه وسلم »

لأبى محمد عبد الملك بن هشام

وبتمام هذا الجزء قد كمل الكتاب .

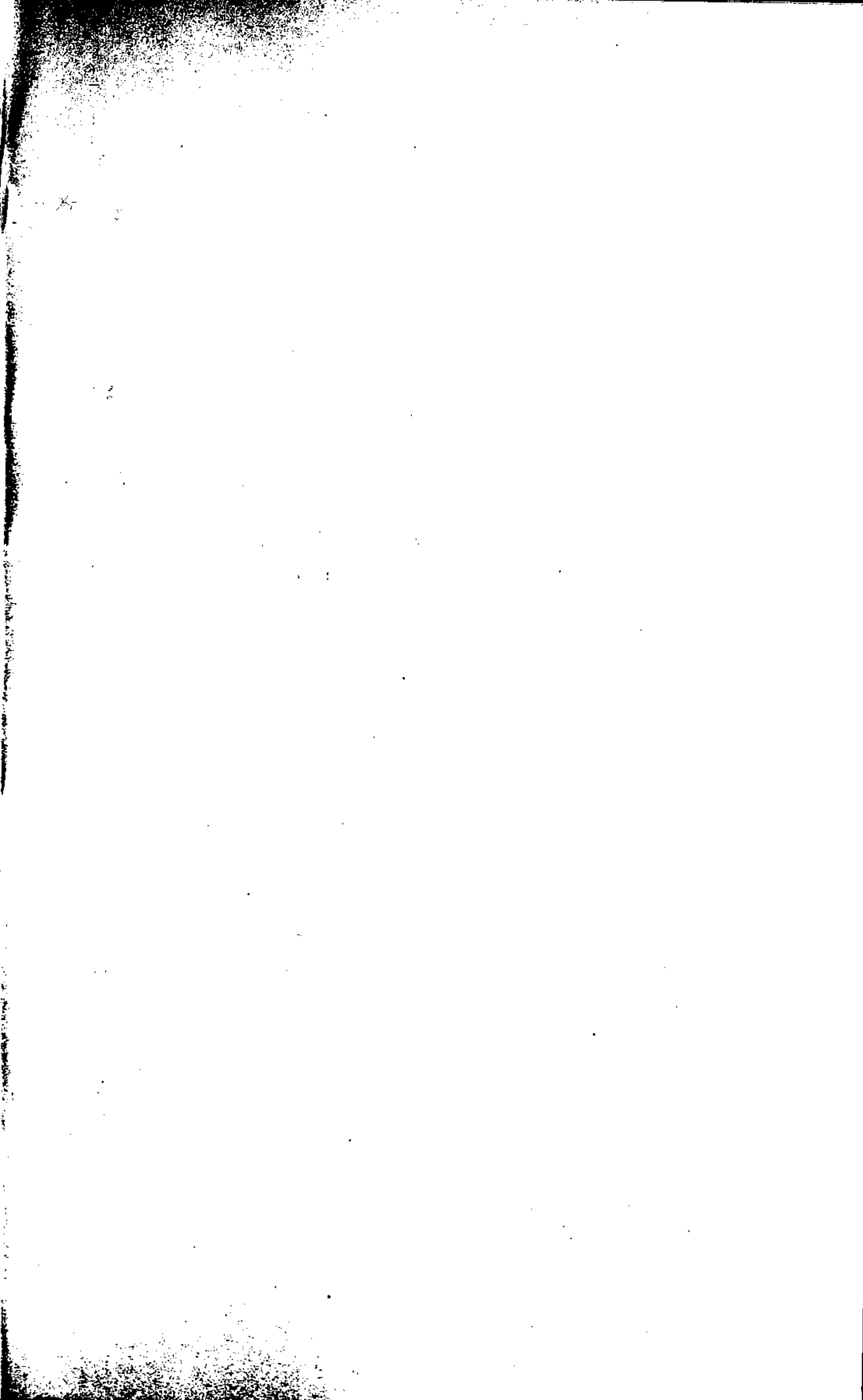
والحمد لله حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وصلاة الله وسلامه على معدن الفضائل ونبراس الكمالات سيدنا محمد ابن عبد الله خاتم النبيين وإمام المتقين ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم باحسان ، وألحقنا بهم على مايحب ويرضى من صالح العمل والايمان . آمين

فهرست الموضوعات

الواردة فى الجزء الرابع من كتاب



لأبى محمد عبد الملك بن هشام



الفهارس الهجائية لكتاب



لأبي محمد عبد الملك بن هشام

وضعها

محمد محيي الدين عبد الحميد

المدرس في كلية اللغة العربية

بالجامع الأزهر

فهرست أسماء الرجال والنساء

وتشـــمل أسماء القبائل والبطون

حرف الهمزة

حرف الباء الموحدة

حرف التاء المثناة

حرف الثاء المثلثة

حرف الجيم

حرف الخاء المعجمة

حرف الدال المهملة

حرف الذال المعجمة

حرف الراء المهملة

حرف الزاى

حرف السين المهملة

حرف الشين المعجمة

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد المعجمة

حرف الطاء المهملة

حرف الظاء المعجمة

حرف العين المهملة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون الموحدة

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء المثناة

تمت فهرست الأعلام الواردة فى كتاب

سيرة النبى صلى الله عليه وسلم

لأبى محمد عبد الملك بن هشام

وهى تشتمل على ما يأتى :

(١) أعلام الأشخاص الذين لهم ذكر فى الكتاب من الرجال والنساء
(٢) أسماء القبائل والبطون والأفخاذ والعشائر وما شاكل ذلك
(٣) أعلام الشعراء

فهرست

الأصنام ومعبودات العرب وأماكن عبادتها

تمت فهرست الأصنام ومعبودات العرب و بيوت عبادتهم الواردة فى كتاب «سيرة النبى صلى الله عليه وسلم» لأبى محمد عبد الملك بن هشام، والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على رسوله وآله وسلم